

62

924

I

٣٨٩	فصل في ملخص اخبار هذه الدولة من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٩٦
٣٩٥	الباب «٩٤» في النمسا
٣٩٨	فصل في ملخص اخبار هذه الدولة من سنة ١٨٦٧ الى سنة ١٨٩٦
	الباب «٩٥» في ايطاليا
	فصل في ملخص اخبار هذه الدولة منذ صيرورة رومة عاصمة لها الى ١٨٩٦
٤٠٣	الباب «٩٦» في سويسرا من سنة ١٨٧٨ الى ١٨٩٦
٤٠٤	الباب «٩٧» في اسبانيا من سنة ١٨٤٥ الى ١٨٩٦
٤٠٧	فصل في اسبانيا وكوبا
٤٠٨	الباب «٩٨» في البرتغال من سنة ١٨٢٣ الى سنة ١٨٩٦
٤٠٩	الباب «٩٩» في بلجيكا الى سنة ١٨٩٦
	الباب «١٠٠» في هولنده الى سنة ١٨٩٦
٤١١	الباب «١٠١» في الدانرك الى سنة ١٨٩٦
٤١٢	الباب «١٠٢» في اسوج ونروج الى سنة ١٨٩٦



﴿ انتهى الجزء الثاني وفهرسته ﴾

﴿ والحمد لله ﴾



وقد وقعت أغلاط مطبعية متعددة في هذا الجزء لم تر حاجة

لذكر صوابها لسهولة التنبيه لها

فصل في تسليم متس	٣٦٦
: سقوط ستراسبرج وعدة حصون	
: فيما فعله غمبتا وذكر بلاء جيش الشمال	٣٦٧
: جيش الفوج وحضور غريبلدي وجيش الشرق	٣٦٨
: التجاء جيش الشرق الى سويسرا وتسليم باريس	٣٦٩
: قيام الجمعية الوطنية في بوردو وفرساييل وتولي تيرس	
رئاسة الجمهورية ومعاهدة فرنكفورت	
: يوم ١٨ مارس وقيام الكومون وضرب الطوق الثاني	٣٧٠
على باريس	
: عقد القرصين ونهاية الاحتلال البروسي	٣٧١
: استقالة تيرس وتولي ماك ماهون رئاسة الجمهورية	
: رئاسة جول غريفي	٣٧٢
: الرئاسة الثانية لجول غريفي	٣٧٣
: رئاسة كارنو	
: رئاسة كازيمير بويه	٣٧٩
: رئاسة فلкс فور	
الباب ٩١٥، في الدولة البريطانية	٣٨١
فصل في ملخص اخبار الدولة الانكليزية الى سنة ١٨٩٦	
الباب ٩٢٥، في الدولة الروسية	٣٨٥
فصل في ملخص اخبار هذه الدولة من سنة ١٨٤٨ الى سنة ١٨٩٦	
الباب ٩٣٥، في المانيا	٣٨٩

فصل في السلطان عبد الحميد	٣٣٤
عبد العزيز : : :	٣٤٦
مراد الخامس : : :	٣٤٨
عبد الحميد الثاني : : :	
المملكة الرومانية : : :	٣٥٥
الصرب : : :	٣٥٦
امارة الجبل الاسود : : :	٣٥٧
ثورة اليونان وانتخاب جورج الاول الداغري	٣٥٨
ملكا عليهم	
فصل في تجدد الثورات في كريد	٣٥٩
: : امارة البلغار	
الباب «٩٠» في حرب السبعين وسائر حوادث فرنسا الى سنة ١٨٩٦	٣١١
فصل في مواقع ساربروك وويسميرج وورث وفورباك	٣ ٢
: : سقوط وزارة اوليفيه وقيام وزارة باليكو وتولي بازين	
القيادة العامة	
: : فيلق شالون	٣ ٣
: : تقدم ما كاهون نحو متس	
: : موقعة سيدان واحتلالها	٣١٤
: : ثورة ٤ ستمبر وقيام الجمهورية الثالثة وحكومة الدفاع	
عن الوطن	
: : بازين بمس	٣٦٥

فصل في تقدم الانكليز في آسيا	٣١٦
فصل في التنازع بين الانكليز والروس مباشرة في آسيا الوسطى	٣٧
فصل في المسألة الشرقية الثالثة ومسألة المحيط الباسيفيكي	٣١٩
فصل في عزلة الصين واليابان وحرب الافون	٣٢٠
فصل في معاهدة فرنسا للصين والاستيلاء على بكين وفتح اليابان للتجارة الاجنبية واخذ الروس منشوريا	٣٢١
الباب «٨٤» في مبادئ ثورات ١٨٤٨	٢٢٣
فصل فيما جرى بين سنة ١٨٤٠ و ١٨٤١ وتقدم الافكار الاشتراكية	
: في فرنسا من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٤٦	
: : النظام الدستوري في روسيا	٢٢٩
فصل في نهضة اقوام بطلب الحرية في النمسا وايطاليا	٣٣٠
الباب «٨٥» في امريكا من سنة ١٨١٤ الى ١٨٤٨	٣٣٣
الباب «٨٦» في ثورة ١٨٤٨	٣٣٤
الباب «٨٧» في اهم حوادث فرنسا من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٧٠	٣٣١
فصل في الجمهورية الفرنسية الثانية	
: : الامبراطورية الثانية	٣٣٨
الباب «٨٨» في اوربا من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٧٠	
: «٨٩» في بقية تاريخ الدولة العلية والولايات التي سلخت عنها	٣٤٠
فصل في السلطان سليم الثالث	
: : : مصطفى الرابع	٣٤١
: : : محمود الثاني	٣٤٢

	صفحة
فصل في وزارة لافيت ووزارة كازيمير بربه	٢٩٤
: في وزارة ١١ اكتوبر ١٨٣٢ وسياسة فرنسا الخارجية	٢٩٥
: في فتنة باريس وليون وجناية فياشي	٢٩٦
: في وزارة تيرس	٢٩٧
: في وزارة موله	٢٩٨
: في وزارة المارشال سونت	٢٩٩
الباب «٨٢» في نتائج ثورة يوليو في اوربا	٣٠٠
فصل في حالة اوربا سنة ١٨٣٠	
: في انكسار وقيام الوزارة الحرة فيها ولائحة الاصلاح	
: في الثورة البلجكية	٣٠١
: في تعديل النظمات الدستورية بسويسرا والدانمرك واسوج	٣٠٢
: في ثورات اسبانيا والبرتغال والتحالف الرباعي	٣٣
: في عدم فوز الاحرار في المانيا وايطاليا واتحاد الثورة البولونية	٣٠٥
الباب «٨٣» في مسائل الشرق الثلاث	٣٠٨
فصل في مصالح الدول الاوربية باسيا	
: في المسألة الشرقية الاولى وهي مسألة الاستانة	٣٠٩
: في انحطاط تركيا وتعاضل شأن والي مصر	٣١٠
: في فتح ابرهيم باشا للشام ومعاهدة انكيار اسكلهسي	٣١١
: في معاهدة لندره ومعاهدة البواغيز	٣١٢
: في المسألة الشرقية الثانية وآسيا الوسطى	٣١٤
: في تقدم الروس في آسيا	

فصل في علو كلمة التحالف المقدس في اوربا وحملي ايطاليا واسبانيا	٢٧٥
في كارلوس العاشر والوزارة الاخوية	٢٧٨
الباب « ٧٩ » في اتساع نطاق الافكار الحرة	٢٧٩
فصل في فرنسا ونشأة المعارضة القانونية فيها وحالة الاداب والعلوم	
في نشأة المعارضة القانونية في فرنسا	٢٨١
في انكلترا واذكر هاسكيسون وكانج ومبدأ عدم التداخل	٢٨٢
في استقلال المستعمرات الاسبانية ونشأة امبراطورية البرازيل	٢٨٤
الدستورية وثورة الاحرار في البرتغال	
في تحرير بلاد اليونان	٢٨٧
في حل جيش الانكشارية وفوز الروم	٢٨٩
الباب « ٨٠ » في خيمة المساعي التي بذلت لاعادة الفوز للنظام	٢٩٠
التقديم على الجديد	
فصل في دون ميغل بالبرتغال ودون كارلوس باسبانيا	
في وزارة ولنتن ومجلس اتحاد فرانكفورت	
في القيصر تقولا	٢٩١
في وزارة بولينياك	٢٩٢
في فتح الجزائر	
في ثورة ١٨٣٠	٢٩٣
الباب « ٨١ » في نتائج ثورة يوليو في فرنسا وتنازع المحافظين والاحرار والجمهوريين	
فصل في الملك لويس فيليب	٢٩٤

- ٢٥٠ فصل في التحالف الثالث وموقعة اوسترلتس ومعاهدة برسبورج
- ٢٥١ : في محالفة الرين والحكومات التابعة للامبراطورية
- ٢٥٢ : في موقعة يانا ومعاهدة تيلست
- ٢٥٣ : في الحصار البري
- ٢٥٤ : في فتح اسبانيا
- ٢٥٥ : في موقعة واغرام
- الباب «٧٦»
- ٢٥٦ فصل في تحالف الشعوب والملوك على نابليون وتنبه الشعوب واستعداد المانيا للشورة
- ٢٥٧ فصل في تقدم الافكار الحرة في اوربا
- ٢٥٧ : في موقعتي موسكو وليبزك والغارة على فرنسا
- ٢٦٠ : في العود الاول والايام المته وموقعة واترلو
- ٢٦٢ : الباب «٧٧» في مؤتمر ويانة والتحالف المقدسة
- فصل في مؤتمر ويانه
- ٢٥٥ فصل في التحالف المقدس
- ٢٦٦ : الباب «٧٨» في التحالف المقدس والجمعيات السرية والثورات
- فصل في الروح الحديث والروح القديم من سنة ١٨١٥ الى ١٨٣٠
- فصل في محاولة ارجاع النظام القديم
- ٢٦٩ فصل في تعاهد الكنيسة والحكومة وذكر الاخوية
- ٢٧٠ فصل في حرية الصحف والجمعيات السرية
- ٢٧٢ فصل في المؤامرات والثورات

الثورة من سنة ١٩٧٢ الى ١٨٠٢

فصل في الجمعية التشريعية.

: في تأثير الثورة خارج فرنسا والتحالف الاول

٢٣٠ : في كومون باريس وواقعتي ٢٠ يونيه و ١٠ أغسطس سنة

١٧٩٢ ومذابح سبتمبر

٢٣٢ فصل في التحالف الاول وانكسار البروسيين في عالمي

: في جمعية الاتفاق الوطني وتأسيس الجمهورية الفرنسية

ومقتل لويس السادس عشر

٢٣٣ فصل في حكومة الارهاب

: في تاسع ترميدور ٢٣٥

٢٣٦ فصل في المواقع التي جرت من سنة ١٧٩٣ الى سنة ١٧٩٥

٢٣٧ فصل في دستور السنة الثورية الثالثة ويوم ١٥ اكتوبر ١٧٩٥

٢٣٩ فصل في اللجنة الانفاذية أو الديركتوار

٢٤٠ فصل في مواقع بونابرت في ايطاليا

٢٤٢ فصل في حملة مصر والتحالف الثاني وموقعة زورنج

٢٤٣ فصل في الفوضى الداخلية و ١٨ برومير

٢٤٤ فصل في دستور السنة الثامنة والفنصلية

٢٤٦ فصل في موقعة مارنغو و صلح لونيفيل وصح اميان

٢٤٨ الباب ٧٦ في عظمة فرنسا

فصل في ما تقرر من منح بونابرت الفنصلية مدة حياته

٢٤٩ فصل في ارتقاء بونابرت اريكة الامبراطورية

- ٢٣ الباب ٧١ في تأسيس الولايات المتحدة الامريكية
- فصل في أصل الجاليات لانكايزية التي قطنت امريكا
- ٢١٤ : في حرب امريكا
- : في واشنطن واشتراك فرنسا في الحرب وعصاة أهل الحياض
- ٢١٦ الباب «٧٢» في اقتسام بولونيا وانحطاط تركيا واقطاع روسيا
- فصل في كاترينه الثانية وفريدريك الثاني وتجربة بولونيا للمرة الاولى
- ٢١٧ : في معاهدي فينارجيه وياش
- ٢١٨ : في اقتسام بولونيا ثانية وثالثة
- : في محاولة اقتسام اسوج
- ٢١٩ الباب «٧٣» في مهدات الثورة الكبرى
- فصل في الاكتشافات العلمية والجغرافية
- ٢٢٠ : في الاداب في القرن اثمان عشر
- ٢٢١ : في اختلاف الافكار ونظام الحكومات
- : في اواخر سني لويس الخامس عشر
- ٢٢٢ : في لويس السادس عشر الى ابتداء الثورة
- ٢٢٤ — القسم الخامس —
- في التاريخ العصري
- الباب الرابع والسبعون في الثورة الفرنسية
- فصل في الجمعية الواضعة للدستور وسقوط الباستيل
- ٢٢٥ : في واقعة اكتوبر والهجرة ودستور سنة ١٧٨٩
- ٢٢٩ الباب «٧٥» في تحالف الملوك على فرنسا وانخذلهم وذكر

الباب ٦٦، في تحالف الدول على فرنسا	١٩١
فصل في عصاة اوجسبرج	
: : حرب عصاة اوجسبرج	١٩٢
: : حرب الخلافة الاسبانية	
: : معاهدي اوترخت وراستاد	١٩٥
الباب ٦٧ في الصنائع والاداب والعلوم في القرن السابع عشر	١٩٦
فصل في الاداب والصنائع في فرنسا	
: : الاداب والصنائع في الامصار الاخرى	١٩٧
: : العلوم في القرن السابع عشر	
الباب ٦٨ في نشأة روسيا وانحطاط اسوج	١٩٩
فصل في دول الشمال اول القرن السابع عشر	
: : بطرس الكبير	٢٠٠
الباب ٦٩ في نشأة بروسيا وانحطاط فرنسا والنمسا	٢٠٣
فصل في نيابة دوق اورليان عن الملك ووزارات دوبوا ودوق بوربون وفلوري	
فصل في نشأة بروسيا	٢٠٥
: في ماري تيريزا وفريدريك الثاني وحرب السبع السنين	٢٠٦
: في حرب السبع السنين الثانية	٢٠٨
الباب «٧٠» في قوتي انكاترا البحرية والاستعمارية	٢١٠
فصل في انكاترامن سنة ١٦٨٨ الى سنة ١٧١٣	
فصل في الشركة الانكايزية للهند الشرقية	٢١١

- ١٧٢ الباب «٦٢» في ريشليو وازارين وبلوغ الملكية الفرنسية منتهى
استبدادها وعظمتها
فصل في لويس الثالث عشر ايام حداثة سنة
- ١٧٥ : : استيزار ريشليو وسقوط أمر البروتستنت والشرفاء
: : ذكر ازارين وقتنة الفروند
- ١٧٧ : : معاهدة الرانس
- ١٧٨ الباب «٦٣» في انكلترا من سنة ١٦٠٣ الى سنة ١٦٧٤
فصل في حالة اوزبا سنة ١٦٦١
- ١٧٩ : : كارلوس الاول
- ١٨١ : : الحرب الاهلية
- ١٨٢ : : مقتل كارلوس الاول
- ١٨٣ : : جمهورية انكلترا و كروويل
- ١٨٤ : : كارلوس الثاني
- ١٨٥ الباب «٦٤» في لويس الرابع عشر من سنة ١٦٦١ الى ١٨٥
فصل في كولبير
- ١٨٦ : : لوفوا
- ١٨٨ : : حرب قلعةك
- ١٨٨ : : نقض منشور نانت
- ١٨٩ الباب «٦٥» في ثورة انكلترا
فصل في بعثة الافكار الحرة في انكلترا
- ١٩٠ : : سقوط جاك الثاني وتولي غليوم الثالث

فصل في تفرق قوى اسبانيا وانتصار لبياته	١٥٥
في المؤامرات الكاثوليكية بانكاترا وفرنسا	١٥٦
في نجاح البروتستان	١٥٧
فشل اسبانيا والرفضين من الكاثوليك	١٩٥
الباب « ٥٩ » في نتائج الحروب الدينية في غربي اوربا	١٦١
فصل في المخطاط اسبانيا وافلاسها	
في تقدم انكاترا وهولنده	١٦٢
في تجديد هنري الرابع لنظام فرنسا	١٦٣
الباب (١٠) في الحروب الدينية التي جرت في وسط اوربا وعرفت بحرب الثلاثين سنة	١٦٤
فصل في مسببات حرب الثلاثين سنة	
في القسم الاول المعروف باللاتيني	١٦٦
في القسم الدانمركي	
في القسم الاسوجي	١١٧
في القسم الفرنسي	١٦٨
الباب « ٦١ » في نتائج الحروب الدينية التي جرت في وسط اوربا	١٦٩
فصل في مصالحة وستفالي	
في تقدم البروتستان وحصول الولايات الالمانية على الاستقلال الديني	١٧٠
فصل في الاستقلال السياسي في الولايات الالمانية	١٧١
فصل في مكاسب اسوج وفرنسا	

- ١٣٧ فصل في لوثير
- ١٣٩ : في الاصلاحات اللوثيرية في الممالك السكندنافية
- ١٤٠ : في الاصلاح في سويسرا و ذكر زوينكل وكلفينوس
- : في الاصلاح في هولنده وفرنسا واسكتلنده وانكاترا
- ١٤٢ الباب « ٥٦ » في نهضة المذهب الكاثوليكي
- فصل في الاصلاحات التي جرت في البلاط البابوي والكنيسة
وذكر اليسوعيين
- ١٤٣ فصل في الجمع الترتي او التريديتي
- ١٤٤ الباب (٥٧) في حروب اخرى جرت بايطاليا و ذكر فرنسيس
الاول وشرلكان وسليمان الاول القانوني
- فصل في فرنسيس الاول واتصاره بمارينيان
- ١٤٥ : في عظمة شرلكان
- ١٤٦ : في موقعة بافي ومعهديتي مدريد وكامبراي
- ١٤٨ : في محالفات فرنسيس الاول واتصارات سليمان
- ١٤٩ : في اعتزال شرلكان
- ١٥٠ : في استمرار الحرب بين آل فرنسا وآل النمسا
- ١٥١ الباب « ٥٨ » الحروب الدينية التي جرت في غربي اوربا
فصل في فيليب الثاني
- : في مبدأ الحروب الدينية المشار اليها
- ١٥٢ : في الحروب الاولى
- ١٥٣ : في فوز الكاثوليك في هولنده وفرنسا و ذكر محكمة الدم

فصل في السلطان مراد الرابع	١١٧
: في السلطان ابراهيم	«
: في السلطان محمد الرابع	١١٨
: في السلاطين سليمان الثاني واحمد الثاني ومصطفى الثاني	١٢٠
: في السلطان احمد الثالث	١٢١
: في السلطان محمود الاول	١٢٢
: في السلاطين عثمان الثالث ومصطفى الثالث وعبد الحميد الاول	١٣٢
الباب « ٥٢ » في حروب ايطاليا وكارلوس الثامن ولويس الثاني عشر	١٢٥
فصل في حملة كارلوس الثامن على ايطاليا	
فصل في لويس الثاني عشر وفتح ميلانو و نابولي	١٢٦
فصل في عصابة كمبراي والعصابة المقدسة	١٢٨
: في دخول المتحالفين فرنسا واذكر الهدنة	١٢٩
الباب « ٣٥ » في البعثة الاقتصادية	١٣٠
فصل في اكتشاف رأس الرجاء الصالح	
: في مملكة البرتغاليين الاستعمارية	
: خريستوف كولمبوس ومملكة الاسبانيين الاستعمارية	١٣١
: النتائج	١٣٣
الباب « ٤٥ » في بعثة الاداب والفنون والصنائع	١٣٤
فصل في اكتشاف المطبعة	
: في بعثة الآداب وبعثة الصنائع	١٣٥

٨٤	فصل في ريكاردوس الثالث
•	: في هنري السابع
٨٥	الباب «٤٩» في نجاح الملكية باسبانيا
	فصل في تزوج فردينند الاراغوني من الیصابات القشتالية
٨٦	: في فتح مملكة غرناطة
٨٧	: في محكمة التفتيش
٨٩	: في نجاح الملكية بالبرتغال
	الباب «٥٠» في المانيا وايطاليا من سنة ١٤٥٣ الى سنة ١٤٩٤
	وذكر فريدريك الثالث ومكسيميليان
	فصل في تزوج مكسيميليان من ماري دي بورغونيا
٩١	: في ايطاليا نحو سنة ١٤٥٣ وذكر قيام الامارات
	مكان الجمهوريات فيها
٩٤	الباب «٥١» في الدولة العلية من سنة ١٤٨١ الى سنة ١٧٩٢
	فصل في السلطان بايزيد الثاني
٩٥	: في السلطان سليم الاول
٩٨	: في السلطان سليمان القانوني
	: في سلطان سليم الثاني
١١٤	: في سلطان مراد الثالث
١١٥	: في السلطان محمد الثالث
١١٦	: في السلطان احمد الاول
•	: في السلطان عثمان الثاني

٦٥	في حالة العلوم والفنون والتجارة
٦٧	الباب « ٤٦ » في المانيا والدول السكنديناافية والسلافية والتركية من سنة ١٢٥٠ الى سنة ١٤٥٣
	فصل في الفترة الكبرى وذ كر آل هبسبرج
٦٨	: في السويصريين
٦٩	: في المخطاط الامبراطرة
٧٠	: في اتحاد كمار
٧١	: في بولونيا
٧٢	: في المغول ببلاد الروس
٧٣	: في فتح الاتراك للقسطنطينية
٧٥	— القسم الرابع —
	في تاريخ الاعصار الحديثة
	الباب « ٤٧ » في اتساع سلطة الملوك بفرنسا
	تمهيد
٧٦	فصل في لويس الحادي عشر وذ كر عصاة اخير العام
٧٧	: في ملتقى بيرونه
٧٨	: في انضمام الولايات الاقطاعية الكبرى الى املاك التاج
٧٩	: في كارلوس الثامن
٨١	الباب « ٤٨ » في اتساع سلطة الملوك بانكلترا وحرب الوردتين
	فصل في هنري الرابع وريكاردوس ديورك
٨٢	: في ادوارد الرابع

- فصل في اسباب هذه الحرب وذكرفيليب دي فلوا وادوارد الثالث
- : في المواقع التي جرت في فلنك وبريتانيا
- ٤٧ : في موقعة كريسي
- ٤٨ : في يوحنا الصالح وموقعة بواتيه
- ٤٩ : في نهضة الشعب
- ٥٠ : في معاهدة بيتيني
- ٥١ : في كارلوس الخامس ودوكيكلين
- ٥٢ : الباب « ٤٤ » في فرنسا وانكاترا بعد ادوارد الثالث وكارلوس الخامس وذكرك التسم الثاني من حرب المئة السنة
- فصل في كارلوس السادس وهبة سكان المدائن
- ٥٣ : في حدوث ثورة في انكاترا وذكرويكلف
- ٥٤ : في ريكاردوس الثاني وذكركخلعه
- ٥٥ : في هنري الرابع ومعركة آزنكور ومعاهدة تروي
- ٥٦ : في كارلوس السابع وقيام جان دارك
- ٥٧ : في الاصلاحات وانتصارات كارلوس السابع
- ٥٨ : الباب « ٤٥ » في اسبانيا وايطاليا من سنة ١٢٥٠ الى سنة ١٤٥٣
- وذكراهمال ملوك اسبانيا للحرب الصليبية وخصوماتهم الداخلية
- ٦٠ : فصل في تولية كارلوس دانجو مملكة نابولي
- ٦١ : في الجمهوريات الايطالية وذكركالكافين والجيليين
- ٦٣ : في رجوع البابوية الى رومه وقيام الامارات
- ٦٥ : في تبعية نابولي للاراغون

الباب « ٤١ » في انضمام اشقات مملكة فرنسا	٢٨
فصل في المتقدمين من آل كابت	
: في لويس السمين	
: في لويس السابع	٢٩
: في فيليب اوغسطس	٣٠
: في لويس الثامن والقديس لويس	٣١
: في موقعة تابليرج	٣٢
: في فيليب الثالث وفيليب الرابع	٣٣
: في الخصومة بين الملك والبابا	٣٤
: في اهلاك الرهبان الهيكليين (تامبيه)	٣٥
: في ثورة فلاندر	٣٦
: في آخر السكابتين من السلسلة الاصلية	
: الباب « ٤٢ » في نشأة الدستور الانكليزي	٣٧
فصل في الغارة النورمندية	
: في صولة الملوك النورمنديين في انكلترا	٣٨
: في غليوم الثاني وهنري الاول وايمان	٣٩
: في هنري الثاني	٤٠
: في ريكاردوس ويوحنا سان تير	٤٢
: في هنري الثالث	٤٣
: في اول برلمان انكليزي	٤٤
: الباب « ٤٣ » في القسم الاول من حرب المئة السنة	٤٦

— فهرست —

	صفحة
الباب « ٣٧ » في العهد الاقطاعي	٢
فصل في الاقطاعات الكبرى بفرنسا و المانيا و ايطاليا	٤
٥ : : حالة الحضارة من القرن التاسع الى القرن الثاني عشر	٥
٦ الباب « ٣٨ » في الامبراطورية الجرمانية وما جرى من التنازع بينها وبين الكهنوت	٦
فصل في ذكر المانيا من سنة ٨٨٧ الى سنة ١٠٥٦	٧
٨ : : القسيس هيلديبرند	٨
٩ : : غريغوريوس السابع و هنري الرابع	٩
١٠ : : اتفاق ورمس	١٠
١١ : : آل هوهنستوفن	١١
١٢ الباب « ٣٩ » في الحروب الصليبية في الشرق والغرب	١٢
فصل في الحرب الصليبية الاولى في الشرق	١٣
١٧ : : في التجريدتين الثانية والثالثة	١٧
١٩ : : في التجريدة الرابعة وتولي اللاتين سلطنة الشرق	١٩
١٦ : : في التجريدات الاخيرة وذكر القديس لويس	١٦
٢١ : : في الحروب الصليبية التي وقعت في الغرب	٢١
٢٦ الباب « ٤٠ » في الحالة الاجتماعية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر	٢٦
فصل في تقدم سكان المدن	٢٧
٢٧ : : في التقدم العملي	٢٧

﴿ الباب المئة والاثنان ﴾

﴿ (في اسوج ونروج) ﴾

﴿ فصل ﴾

(في ملخص اخبار اسوج ونروج الى سنة ١٨٩٦)

عندما توفي الملك شارل جان الرابع عشر وهو برنادوت الشهير خلفه على اسوج الملك اوسكار الاول (١٨٤٤ - ١٨٥٩) ثم خلف اسكار شارل جان الخامس عشر (١٨٥٩ - ١٨٧٢) ثم خلف هذا الملك اوسكار الثاني على اسوج ونروج مضمومتين . وهو ملك سامي عاقل محب للعلوم منشط للاداب وله ماثر تذكر فتشكر في هذا الباب . ولاسوج دستور وضع في سنة ١٨٦٧ وفيها مجلس للاعيان ومجلس للنواب . وفي نروج مثل ذلك غيران هذين البلدين لا يتفقان تمام الاتفاق على ما يظهر وربما انفصلا في عهد غير بعيد لما بينهما من المنافسات الظاهرة ولا يزرع من الاراضي الاسوجية والنروجية الا قليل فمعهولهما في الدخل على الاخشاب، والجلود بانواعها وبعض المعادن وما يصاد من حوت البحر وسمكه . ولهما اسطول

تجاري ينيف على ١١٥٨٦ سفينة

ويقطن اسوج ٤٨٧٣١٨٣ نفساً ونروج ٢٠٠٠٩١٧ نفساً وهم

كبار الاجسام ذوو عنزم وذكاء



❦ الباب المئة والواحد ❦

« في الدانمرك »

❦ فصل ❦

❦ (في ملخص اخبار هذه الدولة الى سنة ١٨٩٦) ❦

يقطن الدانمرك ٢٢٩٩٥٦٤ نفساً ولها مجلس أعيان ومجلس نواب ودستور وضع في سنة ١٨٤٩ وابدل في سنة ١٨٦٦ وفي سنة ١٨١٥ فقدت بلاد نروج التي انضمت الى اسوج وفي سنة ١٨٦٤ اقلدها الالمايون بعد حرب عنيفة ولايات لوينبرج وهلاستن وسلسويج ومع ذلك فان لها اهمية كبيرة من حيث هي مدخل بحر البلطيق .

وماسكها يدعى خرستيان التاسع تولاهها في سنة ١٨٦٣ وقد زوج احدى بناته للبرنس دي غال والاخرى لامبراطور روسيا اسكندر الثالث وأذن لثاني ابناؤه ان يكون ملكا لبلاد اليونان وهو يجب الاستبداد في الحكم ويميل عن الاحرار وهم الاكثرون في مجلس النواب الدانمركي الى حزب المحافظين ومن غرائب اموره انه استوزر المسيو استرب لمدة ١٧ سنة وكان وزيره على خلاف مع النواب مدة ١٢ سنة ولم يعزله الى أن استقال .

﴿ فصل ﴾

(في ملخص اخبار هولنده او البلاد الواطئة الى سنة ١٨٩٦)

يقطن هولنده ٤٧٩٥٦٤٦ نفساً وهي بزراعتها وصناعتها من
أغنى الدول ولها المقام الثاني بعد انكلترا من حيث المستعمرات
والثروة . وقد جففت فيها بحيرة مساحتها ١٨٠ كيلومتراً لتحرث
وشرع في تجفيف بحيرة ثانية وسيشرع في الثالثة وكل هذا يزيد
تحولاً . ولهولنده مجلس نواب ومجلس أعيان ودستور عدل أولاً
في سنة ١٨٤٠ ثم في سنة ١٨٤٨ ثم في سنة ١٨٧٨ وقد أصلح قانونها
الانتخابي قليلاً في سنة ١٨٨٧

وملكتها الان ويليامين ابنة الملك غليوم الثاني الذي خلف
اباه غليوم الاول في سنة ١٨٤٩ وعاش الى سنة ١٨٩٠ وبوفاة الملك
غليوم الثاني انفصلت غرندوقية لوكسبرج عن عرش بلجيكا لانه غير
جائز تملك النساء عليها وجعل اميرها ادولف الذي كان قبل ذلك
صاحب دوقية ناسو .

على أن هولنده لم تتداخل في مشاكل اوربا منذ سنة ١٨٤٠
مجاراة لبلجيكا وعمالاً بمصلحتها الخاصة
وتجري حيناً بعد حين حركات اشتراكية لكثرة الفعلة الذين
فيها وذلك كل ما يزعجها في داخلها .

٥- الباب التاسع والتسعون -

(في بلجيكا)

﴿ فصل ﴾

(في ملخص اخبار بلجيكا من سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٨٩٦)
هي اكثر البلاد الاوربية سكانا بالنسبة الى مساحتها ويأهلها
٥٣٤١٩٥٨ نفساً ولها مجلس أعيان ومجلس نواب وملكها يدعى
ليوبولد الثاني وليها من سنة ١٨٦٥ ارثاً عن أبيه ايوبولد الاول . وهي
مقسومة الى حزبين حزب الكاثوليك وهو الاكبر وحزب الاحرار
وتوجد أحزاب اخرى لاشأن لها
وقد اشتهرت هذه البلاد ببراعة أهلها في الصناعة والزراعة
ويكثر فيها اعتصاب الفعلة . وفي سنة ١٨٩٣ عدل دستورها فادخل
في الانتخاب كل شاب في الخامسة والعشرين من العمر
وهي محصنة دفناً للطواريء التي تمس استقلالها فيما لو حدثت
حرب بين دولتين مجاورتين لها
ولها مستعمرة في بلاد الكونغو الحرة . وقد اقيم فيها معرضان
عامان في سنتي ١٨٨٥ و ١٨٩٤ فنجحا نجاحاً عظيماً

٥- الباب المئة -

(في هولنده)

لا يقع في أيدي الاعداء وأخذ أسيرا ومن نجما معه من قذائف العدو ومع ذلك فان الاسبانيين أبلوا في هذه الحرب بلاء لا يبطال.

— — — — —
✻o- الباب الثامن والتسعون ✻o-

﴿ في البرتغال ﴾

﴿ فصل ﴾

(في ملخص اخبار هذه الدولة من سنة ١٨٣٣ الى سنة ١٨٩٦)
استمرت المملكة دونا ماريا متولية زمام الحكم في البرتغال من سنة ١٨٣٣ الى سنة ١٨٥٣ ولما توفاه الله خلفها ابنها بطرس الخامس تحت وصاية أبيه الدوق دي سكس كوبر غوثا الى سنة ١٨٥٥ فاغتالته المنية وخلفه أخوه لويس الى سنة ١٨٨٦ ثم خلفه ابنه كارلوس الاول. وللبرتغال دستور وضع في ٢٩ ابريل ١٨٢٦ ثم عدل في سنة ١٨٥٢ و١٨٥٩ و١٨٨٤ وفيها مجالسان للايمان وللانواب وفي سنة ١٨٨٩ وقع نزاع بين البرتغال وانكلترا على املاكهم في شرقي افريقيا ثم امتثلت البرتغال ادارة عدوتها المقتدرة فقام الشعب بمظاهرات شديدة اوشكت ان تحول الى ثورة. والبرتغال منحطة ولا سيما في أحوالها المالية وهي لا تدقق في سداد ديونها ومآلها الى الافلاس ان لم تصلح شؤونها

السنة توفي ملك اسبانيا وكانت امرأته حبيلى فعينت وصيه ثم ولدت
 غلاما سمي القونس الثالث عشر فنودي به ملكا . ومن ذلك العهد
 الى الآن استمرت الاحزاب تارة والقوضوية اخرى تمزق أحشاء
 هذه البلاد وتزيدها تداعيا الى انسقوط والدمار

﴿ فصل ﴾

﴿ في اسبانيا وكوبا ﴾

هذه الجزيرة تدعى لؤلؤة جزائر الايتيل وهى أغنى وأفضل
 المستعمرات الاسبانية ولكنها من زمن قديم تدفعها المطامع الى
 طاب الاستقلال وتجربتها على ذلك الولايات المتحدة بل تمدها
 بالمال والرجال . وفي سنة ١٨٨٥ ثارت على قدم وساق فارسات
 اسبانيا اليها مرتين كعبوس فلم يفلح في تسكينها فبعثت المارشال
 ويار خلفا له وأرعى عدد الجنود الذين انفذتهم اليها على مئة وخمسين
 الفا ولكن ماذا تفيد الجنود وامريكا تمد السكان بالمال والميرة
 الذخيرة والرجال . على أن الاسبانين انتصروا على الكويين في بعض
 المواقع ثم وعدوهم بالاستقلال الاداري فيما اذا سلموا واخذوا الى
 الطاعة فابوا . ثم انتهى الامر الى حرب نشبت بين اسبانيا والولايات
 المتحدة فتح فيها الامريكان مانيلا عاصمه جزائر فيلبين التي ثارت
 أيضا على اسبانيا ثم فتحوا سانتياغو ودمر الاميرال سرفيرا اسطوله كي

وفي هذه الاثناء انتشرت في شمال اسبانيا الحرب الكارلية الثانية فانتدب المارشال سرانو وهو الحاكم بامرته اذ ذاك في مدريد والقائد كونشا وغيرهما لاختادها فابلوا بلاء حسنا وفي ٢٦ ديسمبر من سنة ١٨٧٤ أعلن القائد مرتينيس كهوس أحد ضباط كونشا تنصيب الفونس الثاني عشر ابن الیصابات على عرش اسبانيا بحضور من الجنود. وفي ١٣ فبراير من سنة ١٨٧٦ اترك الكارليون وجنود الملك الآخر مرة في ايلوريو فانصر الجنود عليهم وفر دون كارلوس المطالب بسرير اسبانيا الى فرنسا وتمزق شمل اشياعه فسلم معظمهم وفر بعضهم وعوقب الآخرون عقوبات شديدة وكانت بذلك نهاية هذه الحرب المشؤومة التي سفك فيها ما شاء الله من الدماء وفي هذه السنة وضع الاسبانيون لانفسهم دستورا جديدا ملائما لتقدم الافكار الحرة عندهم وفي سنة ١٨٧٨ تزوج ملكهم بانه عمه مرسيديس فتوفيت بعد ذلك ببضعة أشهر فتزوج ثانية بالارشيدوقة النمسوية ماري خريستين ورزق منها ابنتين . وفي سنة ١٨٨٥ استولى الالمانيون على جزائر كارولين فهبت اسبانيا على قدم وساق تريد محاربة المانيا لاسترداد تلك الجزائر وتخوف الامبراطور غايوم ان يفقد نفوذه العظيم في تلك البلاد فاتفق مع الملك الفونس الثاني عشر ان يحكم البابا ليون الثالث عشر في الامر ففضى بان الجزائر لاسبانيا ومنح المانيا حرية المتاجرة فيها . وفي خلال تلك

الى مدريد وأعادت دستور ١٨٤٥ وفي سنة ١٨٥٩ تهجمت بعض جماعات الريف والقبائل في مراکش على سجن للاسبانيين في افريقيا فانتشبت الحرب بين البلادين وانتصرت اسبانيا انتصارين باهرين ولكنها لم تستفد من الحرب سوى غرامة بلغت مئة مايون فرنك وزيادة شىء قليل على اراضيها من جهة ستا وذلك لان انكثرا حالت دون نظامها

وفي سنة ١٨٦٦ تولى الوزارة القائد نارفايز وكان جمهور من المتملقين والقسيسين وغيرهم محيطين بالملكة يصرفون الاحكام فيما يشاؤون فاغضب ذلك الشعب فثار في ٢٢ يونيو ولكن الجنود لم تلبث ان قويت عليه وسكنت الهياج .

وفي سنة ١٨٦٨ تجددت الثورة على الملكة فقوت وخلعت عن العرش وعرض التاج على الامير ليوبولد دي هو هنزولرن فلم يقبله . وكان هذا العرض سبباً في حرب السبعين كما رأيناها ثم انتخب البرنس اميدي دي سافوا ثاني أبناء فكتور امويل ملك ايطاليا وسمي باميدي الاول فلم يلبث ان اعتزل هذا المنصب المتعب في ١١ فبراير ١٨٧٣ فاعلن قيام الجمهورية الاسبانية وقال قائل ان تكون على شكل جمهورية الولايات المتحدة السويسرية فسر بذلك أهل ولاية قرطاجنة وأعلنوا استقلالهم الاداري فحاربوا الى ان ساموا .

قنطرة انهدمت وكان قطار مارا فوقها فهلك ركابه وكان نحو ٣٠٠ نفس
وفي غرة اغسطس من تلك السنة احتفت سويسرا بمرور السنة
الستائة من عهد استقلالها

وسكان سويسرا اشداء محبون للسلام أهل دعة وكرم وعلم .
وبلادهم من أجمل بلاد الدنيا يقصدها السياح للمصيف في كل سنة
ويزداد عددهم على التماذي



❦ الباب السابع والتسعون ❦

(في اسبانيا)

❦ فصل ❦

(في ملخص اخبار هذه الدولة من سنة ١٨٤٥ الى سنة ١٨٩٠)

لما تولت الملك اليبابيات الثانية ابنة فردينند السابع أصبحت
اسبانيا العوبة في أيدي نفر من الوزراء تناوبوا في تولي الحكم عليها
قبل بلوغ الملكة سن الرشد وبعده ومن مستحدثات أحدهم استبدال
دستور سنة ١٨٣٧ بدستور وضع سنة ١٨٤٥ وكان فيه تضيق على
حرية أهل البلاد فثاروا في سنة ١٨٥٤ بعد حدوث أزمات شديدة
في الحكومة وعقدوا جمعية لتأليف حكومة جديدة وفرت ام
الملكة واسمها ماري خرستين مرة ثانية الى فرنسا ثم استرجعت

الباب السادس والتسعون

(في سويسرا)

فصل

في ملخص اخبار هذه الدولة من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٩٦

يقطن سويسرا نحو ثلاثة ملايين نفس وهي مستقلة منذ ٦٠٠ سنة كما رأينا وفيها مجلسان نيابان وهي محصنة التخوم لدفع الاعتداء عليها والمرور منها في حالة الحرب بين دولتين مجاورتين لها. واسويسرا التقدم على سائر الدول في بعض المشروعات الكبيرة المفيدة فهي التي أوجدت الجمعية المختلطة لمساعدة الجرحى وجمعية الصليب الاحمر والاتحاد البريدي العام والاتحاد البرقي واتحاد السكك الحديدية الاوربية لنقل الركاب والبضاعة الاجنبية بدون تأدية رسوم وجمعية ترقية الاداب والفنون الجميلة. وكل من هذه الشركات مكتب في برن.

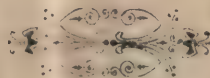
ومن أعمال سويسرا العظيمة فتحها نفقا للمرور القطار الحديدية تحت جبل سان غوثار وقد تم عمله في ٢٩ فبراير من سنة ١٨٨٢ وكثيرا ما عرض على سويسرا الدخول في التحالف الثلاثي واصرت على عزلتها.

وفي سنة ١٨٩١ حدثت في سويسرا حادثة فضيحة وهي ان

ثم ان الميسو جيواني رئيس الوزارة السابق الذي اتهم باخفاء بعض الاوراق أظهر ما كان قد أخفاه مما دل على ان كريسي وبعض رجال الحكومة الآخرين كانوا مرتشين بقسم من الاموال المفقودة وكان كريسي رئيس الوزارة فجدد الانتخابات للحصول على أغلبية تبرئه من تلك الوصمة . وكانت الفاقة لاتزال مشتدة في أكثر ارجاء ايطاليا .

وفي سنة ١٨٩٦ أمر كريسي باستئناف الحرب للانتقام من النجاشي فحصره الايطاليون في قلعة ميكاله ثم انفصل عنهم الرأس سبات وانغوس وفي غرة مارس هاجموا الاحباش في عدوه فانكسروا انكساراً عظيماً وفقدوا ١٠٠٠٠٠ نفس بين قتيل وجريح وأسير في أيدي الاحباش و٧٢ مدفعا وشيئا كثيراً من الاسلحة والرايات والركائب .

وعلى أثر هذه الموقعة عزل القائد بارايتاري وحوكم وخلفه القائد بلديسيرا وارسل رسول لعقد الصلح وفك الاسرى وصرحت الوزارة الايطالية انها لا تريد فتح تجره ولا نشر الحماية الايطالية على الحبشة وكان النجاشي يطالب عشرين مليون فرنك غرامة حرب فدفعت اليه وعقد الصلح واسترد الاسرى



مليون ورقة نقدية وزعم في تقاريره انه مصدر ٨٠ مليوناً فقط وكان هذا الفرق قد صنع من القراطيس ذات العدد الواحد وبعد محاولة ومطالبة قبض على احد النواب وعلى مدير البنك وصرحت لجنة التحقيق ان بعض الاوراق اختلست ولم تقع في يدها فنعت النواب الوزراء بالاثمة فاستقالوا وطلبت محاكمتهم .

وفي بدء سنة ١٨٩٤ اشتدت المجاعة في صقليا وتعددت الحوادث فجعلت تحت الاحكام العرفية ثم ثار اهل كارارامن الفاقة ومظالم الجباية فجعلوا تحت الاحكام العرفية أيضاً وسالت الدماء في هاتين الولايتين غزيرة لما توالى من المناوشات بين الاهالي والجنود . ولما اجتمع مجلس النواب اضطرت الوزارة الجديدة أن تعترف بين يديه ان عجز الميزانية صعد الى ١١٧ مليوناً و وعدت انها تقصد نحو ٤٥ مليوناً من النفقات الادارية واسكن لا بد لها من زيادة ضرائب وتجديد أخرى لسد باقي العجز

وفي هذه السنة نظرت محكمة المحلنين في قضية البنك الروماني وكان المتهمون مدير البنك برناردو تانلونجو أحد أعضاء مجلس الشيوخ وأمين صندوق البنك وخمسة آخرين فصرح المدير ان الثلاثة والعشرين مليوناً المفقودة من البنك قد دفعت اعانات للحكومة وانفق بمضها لاصعاد سعر سندات الدخل (رانت) وان الحالة كانت سيئة منذ سنة ١٨٦٨ .

الايطالي الذي أذن بذلك الدخول .

وفي سنتي ١٨٨٨ و ١٨٨٩ اشتدت الفاقة في ايطاليا على أثر انتهاء المعاهدة التجارية بين فرنسا وايطاليا وعدم تجددتها فكان الوف من الفعلة في رومه وكاتان وتيرانوفا بصقليا لا عمل لهم يتضورون جوعا . واشتدت الفاقة أيضاً في كالتانيسستا وفرار وباري ولونغو وجسي وبيروزا وبارمه وكاربي ورافينا وتعددت حوادث السلب والنهب والقتل في معظم انحاء ايطاليا

ومع ذلك كانت وزارة كريسبي تداوم التساح وتواصل الامداد للحملة على الحبشة . وفي سنة ١٨٩١ سقط هذا الرجل لشدة ما انفق على الحربية والبحرية واسوعسير البعثة المصوعية . فخلفه روديني ووجد في باديء الامر ان النجاشي منليك ينقض الحماية الايطالية بدعوى انه خدع في ترجمة المعاهدة وكانت ايطاليا تزعم ان النجاشي هو الذي خدعها . وفي سنة ١٨٩٢ وجد وزير المالية ان عجز الميزانية ارتفع الى نحو ٢٠ مليون فرنك ولذلك أبى على وزير الحربية مالا طابه لتجديد جانب من بنادق الجنود فسقطت الوزارة وتولى جيولتي رئاسة الحكومة فطلب حل مجلس النواب ليحصل على أغلبية في المجلس الذي يجيء بعده

وفي سنة ١٨٩٣ ظهرت فضيحة اشبه بفضيحة بناما وهي مسألة البنك الروماني وذلك ان هذا البنك كان قد أصدر ١٣٠

وفي ٢٨ يونيو ١٨٩١ وقعت النمسا على تجديد المحالفة الثلاثية الى ست سنين وكانت لا تزال تزيد جيشها مجاراة لالمانيا . وفي سنة ١٨٩٣ تألفت جمعية اوملادينو في بوهيميا ومعناها « شبيبة الامة » فلم تلبث الحكومة ان حلتها فتحولت الى جمعية سرية ثم فشا امرها وعوقب كثيرون من أعضائها عقوبات شديدة وكانت غاية هذه الجمعية استقلال بوهيميا

وفي سنة ١٨٩٤ توفي كوسوط الثوري الوطني الشهير الذي كان زعيم الامة المجرية وممثل أميالها وآمالها وكان مقيما في تورينو فعم الاسف عليه وجرت مظاهرات جميلة عند ما اتى بجثته لتدفن في بلاده

ويظهر الان من خطة النمسا انها أخذت تخرج عن خطة الاحتذاء لالمانيا فهي التي عرضت تجديد المحالفة الثلاثية قبل انتهاء أجلها في سنة ١٨٩٧ وهي التي اشتغلت لادخال المملكة الرومانية في المحالفة الثلاثية وهي التي سألت حصر جزيرة كريد في عهد ثورتها الاخيرة

ويظن انه يصعب بقاء النمسا على حالتها الحالية بعد وفاة امبراطورها المحبوب لمكارم أخلاقه وشدة رغبته في السلم



سلطة الامبراطور . وفي سنة ١٨٧٨ - ١٨٧٩ احتلت النمسا البوسنة
والهرسك بناء على قرار معاهدة برلين وفي سنة ١٨٨١ ارادت ان
تتخذ جنودا من هذه الولاية فثارت ثم سكنتها العساكر النمسية في
شهر مارس من سنة ١٨٨٢

وقد بقيت النمسا زماناً طويلاً وهي لاخطة لها سياسية في
الخارج الاخطة المانيا . أما حالتها الداخلية فمن أشد الحالات ارتباكاً
وذلك لان اممها المتعددة متباغضة متنافرة وكل منها راغبة في الانفصال
فالجر يريدون الاستقلال والتشك السلافيون في بوهيميا وكرواسيا
يميلون الى روسيا . والالمانيون في هتين الولايتين يميلون الى
بروسيا والايطاليون في تريستا وترنتا يميلون الى ايطاليا . وفي سنة
١٨٨٩ توفي الارشيدوق رودلف النجل الوحيد للامبراطور وولي
عهدده وكان قد أحب البارون ماريا دي فرسيرا وهي متزوجة فتواطأ
على أن ينحرا ووجدا ميتين في ما برن صبيحة ٣٠ يناير . وآلت
ولاية العهد الى الارشيدوق شارل لويس أخي الامبراطور فتوفي
بعده ذلك ببضع سنين وانتهت ولاية العهد الى كبير نجايه وهو مريض
بداء غير مرجو الشفاء . على أن في النمسا حزينين كبيرين عدا احزابها
وهما أعداء اليهود والاشتراكيين . ولا يكاد يمضي يوم فيها لا تجري
حوادث مكدره بين هذه الشعوب المختلفة سواء في المجالس النيابية
أو في المجتمعات العمومية

وحاكم الازناس واللورين مستشاراً للدولة ورئيساً لمجلس وزرائها
وفي شهر يونيو من السنة الانف ذكرها فتحت ترعة كييل
باحتيال عظيم حضره مندوبون واساطيل لكل الدول . ولما
جرت الحرب الاخيرة بين الدولة العلية واليونان كانت المانيا
نصيرة للدولة العلية مراعاة بذلك لمصحتها التي وافقت مصلحة
فرنسا وروسيا وقد توافقت مصلحة هذه الدول قبلا فسعت
سعيًا واحدا لدفع اشتداد اليابان على الصين وانهاء مشكلاتهما بالتي
هي أحسن



❖ الباب الرابع والتسعون ❖

❖ (في النمسا) ❖

❖ فصل ❖

❖ (في ملخص اخبار هذه الدولة منذ تأسيس دستورها ١٨٦٧ الى سنة ١٨٩٦ ❖
يقطن النمسا ٤١٣٨٤٩٥٦ نفساً واول من وضع الدستور الحالي
اجابة للمجر الى طابهم المكرر هو الكونت دي بوست كبير
وزراء النمسا في سنة ١٨٦٧ فاصبح للنمسا مجلسا نواب ووزراء وللمجر
مجلسا نواب ووزراء وتوج الامبراطور فرنسيس يوسف ملكا
على المجر وبقيت الدولتان متحدتين بالعسكرية والدين تحت

وهولنده والاسطانة وانكاترا ثم زار. الالستانة ثانية فالقدس
الشريف فبعض الجهات العثمانية الاخرى

وفي شهر مارس من سنة ١٨٩٠ انعقد مؤتمر اشترأكي في برلين

فابدى بعض الالمانى ثم انفض . وفي هذه السنة عينها زيد الجيش
الالمانى في السلم . وفي يونيو سنة ١٨٩١ جدد عقد المحالفة الثلاثة

وفي ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٩٢ عرض الميسو دي كبريني على

الرشستاع مشروعا عسكريا جديداً لزيادة عدد الجيش في السلم .

ولتأييد اقتراحه القى خطبة ذكر فيها ان نية الحكومة سامية وانكر

ما عزى الى بسمر ك من انه حرف تلغراف امس الشهير بحيث

وقع وقعه السيئ في فرنسا وجرها الى حرب السبعين وكان

اشتهار امر هذا التحريف قد شغل الدنيا باسرها ودل على ان

المانيا كانت المعتدية على فرنسا في ذلك الوقت . على ان الرشستاع

أبى التصديق على هذا المشروع فقراً كبريني مرسوما امبراطوريا

بجل المجلس في ١٢ يناير ١٨٩٣ وفي ١٥ يوليو من تلك السنة وافق

مجلس النواب الجديد على ذلك القانون

وفي سنة ١٨٩٥ استقال كبريني والكونت دي لمبرج رئيس

الوزارة من منصبهما لعدم اتفاهما على الوسائل التي كان يجب

اتخاذها الكبح جماح الفوضويين وكانوا قد تكاثروا وتكاثرت

شورهم فعين البرنس دي هو هنلو هي سفير المانيا سابقاً في فرنسا

مأسوفاً عليه في كل مكان (١٥ يونيو ١٨٨٨) وخلفه ابنه غليوم الثاني وهو شاب مفتح بالسكريه محب للحرب خيف ان يطوح بالمانيا في المهالك ولكنه اظهر فيما بعد انه راغب في السلام وان كانت المظاهر الجنديه تعجبه . وقد بدا منه ميل الى روسيا ورغبة في استرضاء فرنسا فاجاب هتان الدولتان دعوته لحضور افتتاح ترعة كميل وارسلت كل منهما بعض مراكب ولكن ذلك لم يمنع من تحالفهما ولم يعدل من خطهما الاساسية

وفي سنة ١٨٩٠ انقضى الاجل النيابي لاعضاء الرشتاغ فافترقوا وتجددت الانتخابات فكثير بهاعدد المندوبين الاشتراكيين فرأى الامبراطور ان يجاملهم وكان يقول بضرورة الانتصار للفعلة من استبداد التمويل وكانت هذه الخطة مخالفة لخطة بسمرك فاستقال من منصبه فاقيل لاستحالة ان يجتمع رأسان مستبدان في ادارة سلطنة عظيمة وخلف بسمرك الكونت دي كبريفي أحد القواد فآخذ بسمرك من ذلك الوقت يناويء الحكومة بجرائده ومنشوراته الى ان استرضاه الامبراطور ببعض الزيارات والاستشارات ولكنه لم يعده الى منصبه . ثم أخذ غليوم يشغل مباشرة بجميع مسائل الدولة ومنها مسائل الفعلة والدين والمعارف والجنديه والبحرية حتى الرسم والروايات . ولشدة رغبته في الانتقال زار تباعا نروج وروسيا واسوج ودانمرك وايطاليا والنمسا وبلجيكا

والنمسا المبنى على المعاونة لحفظ الحالة الراهنه في كل من الدول المتعاقدة
ومضمون هذا الصك انها اذا هوجمت احدى الدول الثلاث
فلا خريان تأخذان بنصرتها واذا هاجمت لزمتا الحياد واذا حاولت
دولة غير محاربة ان تنجد الدولة التي تحاربها احدى الحليفات فحليفاتها
تجدانها الى آخر ما هناك مما يقصد به العداة لروسيا وفرنسا .

وفي سنة ١٨٨٧ زار القيصر برلين فقوبل بحفاوة ووداد ولكنه
لما خاب ظن بسمرك من استمالته امر بنك السلطنة الالمانية فرفض
خجاءة ان يقبل السندات الروسية لاقرض المال عليها فهبطت
قيمتها ستة في المئة

وكان هذا سبباً لازدياد النفار وذات البين . وفي سنة ١٨٨٨
عرض بسمرك على الرشستاغ مشروع قانون يقضي بحمل السلاح
في حالة الحرب على كل ذكر صحيح البنية من سن العشرين الى
التاسعة والثلاثين وان كان هناك خطر فالى الخامسة والاربعين فوافق
المجلس على هذا الاقتراح

وفي ٩ مارس من السنة المذكورة توفي الامبراطور غليوم
الاول في الواحدة والتسعين من عمره فجزع الالمانيون عليه كثيراً
وفي ذلك اليوم نودي بابنه فريديريك الثالث امبراطوراً وكان رجلاً
حليماً حكيماً محباً للسلم كاتباً حبيباً الى الامة غير انه كان مصاباً بسرطان
في الحلق فابتنى زمام الامر بين يدي بسمرك الى ان توفاه الله

تخوم بلادهم وتارة ينطق في خطبه باقوال تستنفذ صبر المغلوب
وتثير حميته ولم يدخر وسعا في الحصول على هذه الامنية التي لم يدركها
ومن ما أثر بسمرك أنه أعان الامة الالمانية على توسيع نطاق
متاجرها وصناعاتها فبارت بهما الانكيز والفرنسويين في جميع
ارجاء المعمور .

وقد نالت الازاس واللورين اعظم نصيب من شدة بسمرك الملقب
بالرجل الحديدي فانهما ماقتتا في كل آن تعلنان جهما للوطن الفرنسوي
وتعارضان السياسة الالمانية ولم يفر هنيهة عن اذلالهما وتعذيب أهلها
لاخذاد الانفاس فيهما وقد شرط جعل اللغة الالمانية لغة المدارس والحكومة
ووضع البلاد مرارات تحت الاحكام العرفية ونكل بمجمعات من
سكانها تنكيلا شديداً في بعض الاوقات فلم يغير شيئاً مما في صدورهم
بل زاد مقتهم له ولالمانيا . وعلى هذه الخطة جرى الامبراطور
غايوم الثاني في بدء حكمه ثم اطفها الآن قليلا

وفي ٢٥ نوفمبر ١٨٨٦ طاب بسمرك من مجلس النواب ان
يزاد الجيش في السلم الى ٤٦٧٤٠٩ مقاتل مدة سبع سنين فرفض
ذلك مجلس النواب بعد مناقشة عنيفة قتلا بسمرك في الجلسة نفسها
مرسوما من الامبراطور بحل مجلس النواب وجاء المنتخبون على
اثر هذه الحادثة فوافقوا على المشروع في ١١ مارس . وقبل ذلك
أي في ٢٥ فبراير صرح باشتراك ايطاليا رسمياً في تحالف المانيا

استطاعه على ذلك مع ان المانيا كانت فقيرة قبل الغرامة الفرنسية
وابت فقيرة بعدها

ومن خطئه ايضاً انه اضطهد الاكليروس الكاثوليكي ثم
أخذ يضطهد الاشتراكيين .

ولما كان بسمرك يحذر من فرنسا مع ضعفها ويرغب في تأييد
سطوة الدولة الالمانية الى ما شاء الله حاول ان ينشيء تحالفاً بين
امبراطور المانيا وامبراطور روسيا وامبراطور النمسا ولاسترضاء
الاخير وعده بان يعينه على زيادة مملكته من جهة البلقان ووفى له
بهذا العهد في سنة ١٨٧٨ حين عقد معاهدة برلين فكان ما نالته
النمسا من النصيب لا فضل فيه الا لبسمرك . ولكن هذا التحيز
لنمسا كدر روسيا فامتنعت عن المحاذنة التي كان بسمرك يطمع
فيها فرأى عند ذلك بيكنسفالد الوزير الانكليزي ان يدخل في محاذنة
المانيا والنمسا لاضعاف فرنسا في الغرب وروسيا في الشرق . غير ان
الانتخابات العامة التي حصلت لذلك العهد اسقطته فحول بسمرك
وجهه الى ايطاليا واستوثق بادبيء بدء من ميلها الى مثل هذه
المحاذنة ثم ادخلها فيها بعد ذلك . ولسنا نتكاف أن نعد ذلك ما أوجده بسمرك
من الوسائل لاستفزاز فرنسا الى محاربتة فان ذلك تجد سنة بعد سنة الى
ما بعد سقوطه وكان تارة يعتدي على بعض الضباط الفرنسيين وهم ضمن

بالامارة . وقد جرت في حفلة تتويج هذا الامبراطور حادثة فاجعة
وهي ان ٣٨٧٦ نفساً قتلت دوساً بالاقدام ونحو ٤٠٠٠ نفس جرحت
في خلال تهافت الناس على ما كان يوزع من النقل والمأكل والمشرب
في تلك الحفلة

— — — — —
﴿ الباب الثالث والتسعون ﴾

﴿ في المانيا ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في ملخص اخبار هذه الدولة من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٩٦ ﴾

بعد أن انتصرت بروسيا على الدانمرك في سنة ١٨٦٤ وعلى
النمسا في سنة ١٨٦٦ وعلى فرنسا في سنة ١٨٧٠ جددت الامبراطورية
الالمانية وتسودت عليها في ١٨ يناير ١٨٧١ وتم ذلك في فرسايل في
خلال حصار باريس وأصبح امراء الولايات الالمانية بمثابة موظفين
بروسيين وكان سكان هذه الامبراطورية ٤٩٤٢٨٤٧٠ في سنة
١٨٩٠ وقد كوفيء بسمرك على أعماله الجليلة فعين مستشاراً كبيراً
للدولة وجعل مركز الرشستاغ وهو مجلس النواب الالمانى في برلين
وكانت خطة بسمرك السياسية منذ سنة ١٨٧١ ان يزيد
جيوش المانيا ومعداتها الحربية في البر والبحر ويبتني المواي وينفق ما

وفي سنة ١٨٩٠ أخذ القيصر يطرد اليهود من بلاده فابعد
 منهم ١٤٠٠٠ من موسكو وملحقاتها ثم أبعد كثيرين من بطرسبرج
 ونفى غيرهم بعد ذلك لاشتداد وطأهم بالرقي على المعوزين الضعفاء
 وفي سنة ١٨٩٢ رسم اسكندر الثالث ان يبني اسطول روسي للبحر
 المتوسط. وفي غرة نوفمبر من سنة ١٨٩٤ توفي هذا الامبراطور
 على اثر داء ألم به نبكته الدول كلها لما اشتهر به من حميد الصفات
 وعالي الذكاء والميل الى السلم وخلفه كبير ابنائه الامبراطور نقولا
 الثاني فجرى على خطته واستمر على موالاته فرنسا ومحالفها كما رسمت
 مبادئها في مقابلة كرونستاد وعززت بعد ذلك على يد السياسي دي جيرس
 حين زار باريس ووقع على المعاهدة المكتوبة التي أعلن أمرها فيما
 بعد. وقد كان لهذا الامبراطور من الاستقبال العجيب في باريس
 ما لا ينسى على الدهر كما ان رئيس الجمهورية الفرنسية لقي في عاصمة الروس
 اعظم حفاوة. وجلالته متزوج من حفيذة لجلالة ملكة انكلترا
 اقترن بها بعد وفاة ابيه بقليل. وله النفوذ الاول في بلاد الحبشة الآن
 وقد عين النجاشي منليك أحد رعاياه وهو الكونت ايوننتيف حاكما
 لولاية خط الاستواء فذهب اليها واستلمها في هذه الايام واتخذ
 مساعدا له على ادارتها الدوق هنري دورليان الفرنسي. وفي عهده
 امثل البرنس فردينند ارادة روسيا ونصر ابنه البرنس بوريس
 على الطريقة الارثوذكسية فاعترف له القيصر وسائر الدول

ما ذكرناه في موضعه وفي سنة ١٨٧٠ فتراخت العلاقات بين روسيا
والمانيا تراخيا لم يكن ذا نتيجة لان الامبراطور اسكندر الثاني راعى
زمام المعاهدة

وفي ١٣ مارس من سنة ١٨٨١ قتل القيصر بقذيفة القاها عليه
بعض النهاستين وكثيرا ما حاولوا قتله من قبل ذلك فلم يفلحوا
وكانت العقبي شرا على الوف من اصحابهم والمتهدين بمشاركتهم في
الرأي. وخلف الامبراطور المتوفى ابنه اسكندر الثالث في يوم
وفاته فقتل الخمسة الذين اتهموا بقتل أبيه ومنهم فتاة وتعقب اثار
النهاستين ينكل بهم وكانوا مع ذلك لا ينقطعون عن تجديد الشرور
وكانت سياسة هذا الامبراطور التقرب الى فرنسا وتجنب
المانيا بل مجافتها وحدث أن البرنس بسمرك في سنة ١٨٨٥ ابعده
من نادي بوزن جميع الفعلة الروسيين الذين كانوا مهاجرين الى
الارض الالمانية المجاورة فاجابته على ذلك روسيا ببعاد الفعلة الالمانيين
الذين كانوا مهاجرين الى بلاد بولونيا وحثمت بان لا تعلم الالفة
الروسية في ولاياتها البلطيقية التي كان معظم سكانها من الالمان. وعلى
اثر هذه الحوادث اشد الاستعداد للحرب وخيف من شوب
نارها لولا صدق رغبة اسكندر الثالث في السلم
ولما كانت سنة ١٨٨٨ حاول غليوم الثاني امبراطور المانيا ان

يتقرب من روسيا فلم يفلح

وكان امبراطور روسيا في سنة ١٨٤٨ نقولا الاول وكان
متزوجاً بابنة ملك بروسيا فريديريك غليوم الثالث وفي سنة ١٨٤٩
أعان النمسا على توار المجر وكانوا يكادون يمزقونها فانقذها منهم
وكانت وجهة الروس من سنة ١٨٥٣ الى سنة ١٨٥٥ الاستيلاء على
الاستانة فردّها عن ذلك فرنسا وانكترا بتحالفهما . وفي ٢
مارس من سنة ١٨٥٥ توفي الامبراطور نقولا وخلفه ابنه اسكندر
الثاني في خلال محاربة الروس للدولة العلية . ولهذا القيصر ماثرة من
اجل المآثر وهي تحريره للحرثين المسترقين في ١٧ مايو ١٨٦١ وفي
سنة ١٨٦٣ ثار أهل بولونيا فقتل منهم مقتلة فاحشة وكان القتلى نحو
١٥ الف نفس ونفي واعتقل واحرق بيوتهم وادخل شبانهم في سلك
العسكرية بلا قيد ولا حدود معينة فابعدهم الى جهات مختلفة . وكان
نيف على ٧٠٠ منهم قد ثاروا في منازهم بسبيريا فقتلوا عن آخرهم . ولما
تم الفوز لروسيا ولم تجرأ اوربا ان تحرك ساكناً لتخفيف شقاء
البولونيين المنكوبين اقبلت اديرتهم ومدارسهم ومكاتبهم وشرطت
على موظفيهم معرفة اللغة المسكوبية . هذا وقد امتدت الخطوط
الحديدية في روسيا ومنها خط يصنع الان ايصل بطرسبرج
بفلاديفوستوك ويجتاز وسط آسيا كله

ولما انتهت روسيا من محاربة الدولة العلية وقضت عليها الدول
ما قضت في معاهدة برلين لم تكسب من محاربتها شيئاً ذا بال سوى

اشتدت الازمة في ارلنده بسبب المحل بل في انكلترا نفسها فكثرت فيها الاعتصابات والمتاعب الاشتراكية وفي هذه السنة توفي بارنل على أثر مرض ولكن حزبه بقي مع انقسامه . وفيها احتلت انكلترا جزيرة سيجري العثمانية ثم برحتها سريعاََ لمارأته من عدم اغضاء الدول وأرسلت بعثة الى طنجه فاخفقت في مساعيها

وفي ١٥ أغسطس ١٨٩٢ منحت الانتخابات الاغلبية للاحرار فعاد غلادستون الى الوزارة للمرة الرابعة ووضع مشروعاََ جديداََ للاستقلال الاداري في ارلنده فوافق عليه مجلس النواب بعد جلسات طويلة ثم أبى مجلس الاعيان الموافقة عليه فاستقال غلادستون من منصبه بدعوى الشيخوخة وخلفه اللورد روزبري في رئاسة الوزارة الحرة غير أن جلالة الملكة أبت أن تعينه على تعديل الدستور البريطاني بحيث يكون المرجع الى مجلس النواب في القوانين فاستقال ولم يكن له أثر يذكر في السياسة الخارجية سوى تحامله على تركيا بسبب المسألة الارمنية .

وفي ٢٩ يونيو ١٨٩٥ عاد سلسبوري الى الوزارة وتجددت الانتخابات فنال المحافظون اكثرية عظيمة ومن أعماله الخارجية حملة السودان ومشروع تقسيم الدولة العلية الذي رفضته كل الدول وتماديه في العداء للعثمانيين وقد اخفق امام روسيا في مسألة بامير وامام فرنسا في مسألة الميكونج والنيجر وهذه تم الاتفاق عليها

واستمال غلادستون الى رأيه في وزارته التي اتت بعد هذه وسمي
الملك غير المتوج لايرلنده

وقد اشتهرت هذه الوزارة الحرة بجنایات جديدة جنمها انكترا
في عهدا على بعض الامم الضعيفة اهمها احتلالها لمصر بدسائس
معلومة . وفي ٢٥ يونيو ١٨٨٥ شكل اللورد سلسبوري وزارة محافظة
فلم تعش الا قليلا ثم سقطت وخلفها وزارة حرة برئاسة غلادستون
الذي ايد البارنليون وقد انضم اليهم ووضع لهم في ٨ ابريل مشروع
الاستقلال الاداري لارلندره ولكنه لم يفلح في انفاذه فسقط
وخلفه سلسبوري في السنة نفسها واشتد في اضطهاده لبعض
الارلنديين الذين اثارتهم المظالم وكانت خطته الخارجية التقرب من
التحالف الثلاثي وفي غرة يوليو من سنة ١٨٩٠ امضى اتفاقا تنازل
به لالمانيا عن جزيرة هليوجولند في غرب هولستين عند مصب نهر
الاب وتولى مقابل ذلك حماية ويتو وبلاد الصومال و ساطنة
زنزبار بافريقيا . وبما أن حماية زنزبار كانت لا تخلو عن عقدة
لوجود اتفاق بين انكترا وفرنسا بانهما لا تعرضان في أمر لهذه
السلطنة فقد اضطرت الاولى ان ترضي الثانية بان تعترف لها بحمايتها
على مدغسکر وبساطتها على الارض الواقعة جنوبي الجزائر الى النيجر
بمعنى ان الصحراء أصبحت لفرنسا عدا ما لشركة النيجر من
الحقوق المكتسبة في بعض تلك الارحاء . وفي خلال سنة ١٨٩١

سنة ١٨٦٣ فولت مكانه أميراً دانمركياً وأهدت إلى اليونان
الجزائر اليونانية

وفي سنة ١٨٦٨ ألف غلادستون الوزارة الحرة الأولى
وكانت أهم أعماله الداخلية لأتمهتها وضعها لتخفيف مصائب الأيرلنديين
وأما في الخارج فإنها حاولت أن تمنع شوب الحرب بين فرنسا
والمانيا في السنة السبعين فلم تفلح. وفي سنة ١٨٧٦ ألف ديزرائلي
الملقب باللورد بيكونسفيلد وزارة محافظة وفي هذه السنة لقبته جلالة
الملكة فكتوريا بامبراطورة الهند. وقد حاربت انكرا في عهد
هذه الوزارة الأفغانيين وطوائف الزولوس والباروتوس في رأس
الرجاء الصالح واشترت حصص الخديوي اسمعيل في شركة قناة السويس
بمئة مليون فرنك وتدخلت في نهاية الحرب بين روسيا وتركيا سنة ١٨٧٧
واستمنحت قبرص من الدولة العلية في ٤ يونيو ١٨٧٨ وكانت أعمالها
هذه مناقضة لخطة عدم التداخل والامتناع عن الفتوح فاضطرت
لذلك أفكار الأمة ومنحت أكثرية الأصوات في الانتخابات للأحرار
فتولى غلادستون وزارته الثانية في أبريل ١٨٨٠ ومن أعماله فيها
اشتداده على الدولة العلية لإعطاء دولسينو للجبل الأسود.

وفي خلال وزارة بيكونسفيلد كان جمهور من الأيرلنديين قد
أنشأ حزب الاستقلاليين وهم طلاب الهوم رول أو الاستقلال
الإداري وكان من مقدميهم بارنل الذي لم يلبث أن أصبح زعيمهم

◀◀ الباب الحادي والتسعون ▶▶

« في الدولة البريطانية »

* (فصل) *

« في ما يخص اخبار الدولة الانكليزية الى سنة ١٨٩٦ »

ولدت جلالة الملكة فكتوريا في ٢٤ مايو ١٨١٩ وخلفت عمها
 غليوم الرابع على عرش انكلترا في ٢٠ يونيو ١٨٣٧ وفي سنة ١٨٦١
 فقدت زوجها البرنس دي سكس كوبورغوثا. وحكومة بلادها
 الآن تتألف من مجلسي الاعيان والنواب كالسابق. وقد تداول
 الحكم عشرون وزارة منذ تولي الملكة فكتوريا. والدولة الانكليزية
 الآن منتشرة السلطة في اكثر ارجاء المعمور. مساحتها ومساحة
 املاكها ٢٦٣٨٦٠٨١ كيلومترا وعدد سكانها والتابعين لها ٣٥٤٤٤٧٠٠
 نفساً وهي اعظم الدول تجارة ومن اعظمها صناعة. ولها اكثر
 الاسلاك البرقية البحرية واكثر الاساطيل أما عبد جنودها البرية
 فقليل فيه ٢٥٢ الفا من العاملين ونحو ٢٢٠ الفا من الاحتياطيين
 ونحو ٢٠ الفا من عساكر الحاميات المختلفة وهي شارعة في زيادة
 جيشها بعض الشيء. وخطتها السياسية ان لا تتدخل في الشؤون
 الدولية الا لصيانة مصالحها وذلك منذ عقدت معاهدة باريس في
 سنة ١٨٥٦. وقد ابت ان يكون أحد امراءها ملكا لليونان في

مرشالية فرنسا وهو كنزوير فشيتم جنازته على نفقة الحكومة .
وفي ٢٧ ابريل اتقطع سد (جسر) خزان في بوزي فدمر هذه
القرية واتف اربعا وقتل وجرح ١٢٠ نفساً وكانت الخسارة خمسين
مليوناً . وفي ١٨ مارس وافق مجلس النواب على مشروع نهائي
وضعتة الحكومة لمرض عام يقام في باريس سنة ١٩٠٠ وفي ٦
نوفمبر استؤنف البحث في مسألة سكك حديد الجنوب فنشأ عنه
نزاع بين مجلس النواب ومجلس الشيوخ استمر زماناً ثم افضى الى
اعتزال الوزارة . وفي هذه الاثناء شرع الانكاز في تسيير حملة على
السودان فامرت فرنسا مندوبها في صندوق الدين بان لا يوافق
على اعطاء الحكومة شيئاً من المال الاحتياطي الذي طلبته لذلك
واشترك المندوب الروسي في هذا الاحتجاج وفي ٢٠ يونيو اعلن
المسيو هانوتو انضمام مدغسكر الى فرنسا . وفي ٥ اكتوبر زار
القيصر نقولا الثاني والقيصرة قرينته باريس فقوبلا بترحيب لم
يشهد مثله وبعده ذلك رد رئيس الجمهورية الزيارة لجلالة القيصر وصرح
بالتحالف الثنائي في خلال الحفلات الشائقة التي اقيمت له



ولا حاجة للتذكير بانه اعدم

﴿ فصل ﴾

(في رئاسة كازيمير بويه)

في ٢٧ يونيو ١٨٩٤ انتخب كازيمير بويه رئيساً للجمهورية فاستبقي الوزارة السابقة ولكن الجرائد لم تلبث ان طعنت عليه وحدثت الامة منه . وفي عهده القصير وضع قانون للتضييق على الفوضويين وعامت خيانة الضابط اليهودي دريفوس الذي افشى بعض اسرار الدفاع لرجال دولة اجنبية فحكم عليه بالاعتقال في جزيرة الشيطان بجويانا ثم حاول اهله واصدقاؤه ان ينقذوه واستعانوا على ذلك باقلام بعض الكتاب فثبتت الجناية عليه ثانية وصدر حكم على اميل زولا الكاتب بالحبس ستة اشهر وبغرامة لدفاعه عنه ووطعنه على المجلس العسكري الذي نظر في قضيته

ثم تباحث مجلس النواب في فضيحة جديدة وهي سوء الحالة التي آلت اليها السكك الحديدية الجنوبية وعلى اثر هذه المناقشة استقالت الوزارة (١٤ يناير) وتلما استقالة رئيس الجمهورية (١٥)

﴿ فصل ﴾

(في رئاسة فلкс فور)

وفي ١٧ يناير ١٨٩٥ انتخب فلкс فور رئيساً للجمهورية وفي ٢٨ منه عني عن المنفيين السياسيين وفيه توفي آخر

اطلق فليان التوضوي قنباثة في مجلس النواب وهو مجتمع فجرح
 أكثر من ستين نفساً من الحضور بين اعضاء ومشاهدين وجرح
 هو نفسه وعلى اثر هذه الحادثة الفظيعة عدل قانون المطبوعات بما
 يمنع رسائل التهيج او يخففها . ثم حوكم فليان وقتل وتعدد بعده
 النسف مع اشتداد الحكومة على هذه الطائفة الخبيثة . وفي هذه
 الاثناء ردت مبالغ الى تصفية شركة بناما وتقررت محاكمة هرتس
 الذي كان لاجئاً الى انكلترا

وفي ٢٨ ابريل فتح معرض عام في ليون. نجح نجاحا عظيما وفي
 ٢٣ يونيو قدم الرئيس كارنو الى هذه المدينة لزيارة معرضها فقربل
 بترحيب عظيم وفي يوم الاحد (٢٤) ادبت للرئيس مأدبة فاخرة
 فالتقى فيها خطبة من اجل الخطاب ملأت القلوب سرورا ثم ركب
 مركبته محفوقا بجرسه ورجال معيته ليذهب الى الملعب الاكبر وكان
 الزحام في طريقه شديداً جدا فلما وصل الى شارع الجمهورية
 تقدم شاب يحمل بيده شيئا كالقرطاس المطوي وصعد منكشبا
 على درجة المركبة وطعن كارنو بمنجرف قبض على الاجاني يكاد الجمهور
 يمزقه لولا الجنود ونقل الجريح الى دار المحافظة فلم ينفعه علاج فقضى
 نجه ليلا وفقدته فرنسا وبكاه العالم اجمع لرجحان عقله وكال آدابه
 واعتدال سيرته وكان القاتل اجير خباز ايطاليا يدعى كازير يوجيوفاني
 - انتو في الثانية والعشرين من العمر اتى فعالته انفاذا لغرض فوضوي

ثم قبض على آخرين وجرت المحاكمة الاولى لدى محكمة
باريس الاستئنافية فحكم على فردينان وشارل دي لسبس
بالسجن خمس سنين وبثلاثة آلاف فرنك غرامة وعلى ماريوس
فونتان وكوثو بالسجن سنتين وغرامة كلاولى وعلى ايفل بالسجن
سنتين وعشرين الف فرنك غرامة (٩ فبراير)

ولم تقم القضية على سائر المتهمين لعدم وجود وجه قانوني
يسوغ اقامتها .

وفي ٧ مارس ١٨٩٣ جرت المحاكمة الثانية لجماعة من
البناميين فبرئ بعضهم وحكم على شارل دي لسبس بالسجن سنة
وعلى بايهو بالتجريد من حقوقه الوطنية وبالسجن ٥ سنين وبغرامة
٧٥٠٠٠٠ فرنك وعلى بلوندين بالسجن سنتين وجعل هؤلاء الثلاثة
متضامنين في رد ٣٧٥٠٠٠ فرنك الى مصفى شركة بناما

وفي ١٧ مارس توفي جول فري وكان قد انتخب حديثاً رئيساً
لمجلس الشيوخ خلفه شامل لاكور

وفي ٩ فبراير نظرت محكمة النقض والابرام في حكم القضية
البنامية الاولى فكسرتة بسبب مضي المدة منذ الوقت الذي جرت
فيه الحوادث المطلوبة للمعاقبة لاجلها

وفي ١٣ اكتوبر رد البحارة الروسيون الزيارة لفرنسا فقبولوا
باعظم اكرام . وفي ١٤ و ١٥ تجددت حوادث النسف وفي ١٥ سبتمبر

وفي ١٩ اغسطس دعت جلالة ملكة الانكليز الاسطول
الفرنسوي لزيارة ميناء بورتسموث فتبودات المظاهرات الودية
وفي ٣٠ ستمبر توفي الجنرال بولانجه ولو كان عقله ودربته قدر
نصف سعده لجرى بفرنسا الى حيث يشاء .

وفي شهر فبراير ١٨٩٢ اصدر البابا لاون الثالث عشر منشوره
الشهير معترفا بالجمهورية الفرنسية . وفي شهر مارس نسفت بعض
المنازل في باريس قبض على رافاشول الفوضوي المشهور ورفيق
له يدعى بيسكوي وحكم عليهما بالاشغال الشاقة المؤبدة لثبوت
احدى الجنايات عليهما وفي ٣ اكتوبر ١٨٩٢ توفي العلامة الشهير
الفيلسوف الكبير ارنست رينان

وفي شهر نوفمبر جرت مناقشة في مجلس النواب في مسألة فتح ترعة
بنامابامريكافان الشركة التي الفها فردينان دي لبس في سنة ١٨٧٦ للقيام
بهذا العمل كانت قد تناولت ١٣٢٩٦٩٣٠٧٨ فرانكا من المكتبتين
وانفقت منها على المشروع ٦١١٧٧٨٠٣١ فرانكا فكان هناك فرق قدره
٧١٨ مليوناً لا يعلم اين ضلّ . وفي ٢٠ نوفمبر توفي البارون دي رينك
الذي كان اطول الشركاء باعاً في هذه الاختلاسات هو وكرنيليوس
هرتس وارتون . وفي ١٦ ديسمبر قبض على شارل دي لسبس
وفونتان وسان اروا فسجنوا احتياطياً ثم لحق بهم كوتو ثم اذن
مجلس النواب بمحاكمة عشرة من اعضائه لدخولهم في التهمة

وكانت له صلات سرية مع البونابرتيين فلما عرض مشروعه رفض ثم لم يلبث أن استقال من النيابة « لشدة تحامل المجلس عليه » وبارز فلوكه فجرح ثم جرت انتخابات جديدة فانتخب بولانجه في عدة مقاطعات أهمها مقاطعة السين . وفي ١٢ ابريل تقرر إقامة القضية العمومية على بولانجه وروشفور وديليون لما أتوه من الاعمال المزعجة للامن العام فقرروا من فرنسا وكان بذلك ابتداء سقوط حزب بولانجه .

وفي ٥ مايو ١٨٨٩ : فتح معرض باريس وكان من أجمل ما شوهد الى ذلك الوقت وفيه اقيم برج ايفل . وفي ١٤ اغسطس حكم مجلس الشيوخ على بولانجه وزميليه بالاعتقال في سجن محصن وفي ٥ أغسطس ١٨٩٠ اعترفت انكاز فرنسا بانتشار حمايتها على مدغسكار وفي غرة مايو ١٨٩١ اجتمع مندوبون من الةة المعدنيين الفرنسيين والانكاز والالمانيين والبلجيكيين في بورصة العمل بباريس وقرروا استلقات حكومات بلادهم الى جعل يوم الفاعل ثمانى ساعات .

وفي شهر يوليو من سنة ١٨٩١ ذهب بعض اسطول الشمال الفرنسي لزيارة ميناء كرونستاد الروسي بناء على دعوة القيصر اسكندر الثالث فقوبل رجاله باعظم حفاوة واكرام وكانت هذه الزيارة اساس التحالف الثنائى .

اهم ما جرى في خلال هذه الرئاسة توني القائد بولانجه ووزارة
الحربية وتظاهر الشعب الفرنسي بالود له وطرد المطالبين بعرش
الملكية والامبراطورية من فرنسا وتقيح القوانين العسكرية وزيادة
الجيش وابتداء دعوة بولانجه السياسية ثم ظهور مسألة المتأجر
بالنياشين على يد النائب ويلسن صهر رئيس الجمهورية واشتغال الشرطة
والنيابة ومجلس النواب بتحقيقها واظهار مخباتها واستقالة الوزارة
واضطراب جول فري ان يستقيل على الرغم منه .

« فصل »

﴿ في رئاسة كارنو ٣ ديسمبر ١٨٨٧ ﴾

لما انتخب كارنو رئيساً للجمهورية الفرنسية اختار
المسيو تيرار رئيساً للوزارة وفي عهده انقطعت المباحثة لقب معاهدة
تجارية مع ايطاليا وانتهت قضية ويلسون بحكم أصدرته محكمة
الاستئناف تلوم فيه المتاجرين بجميع النياشين ولا تقضي بعقوبتهم -
لعدم وجود نص صريح في القانون يسوغ ذلك . وفي ١٤ مارس
١٨٨٨ احيل الجنرال بولانجه على الاستيداع وفي ٢٧ منه احيل
على المعاش فجاز له ان ينتخب وكتب منشوراً الى أهل الشمال
يطالب فيه أن يقيموه مندوباً عنهم في مجلس النواب ويقول ان
خطته ستكون حل مجلس النواب وتعديل الدستور فانتخب باغلبية عظيمة

٣٠ يناير ١٨٨٢ جعل فريسينه رئيساً للوزارة ووزيراً للخارجية فامتنع
عن مشاركة الفرنسيين للانكليز في ضرب الاسكندرية واحتلال
مصر وكان ذلك خطأ لا يغتفر ولا ينسى ولكنه طالب مالا لاحتلال
ترعة السويس وخفارتة فاباه مجلس النواب عليه خوفاً من دسائس
انكائرا وعداء المانيا التي لولا روسيا وانكائرا لحاربت فرنسا ثانية
في سنة ٧٥ بحيث تهاكها الى الابد

وفي ٣١ ديسمبر توفي غمبتا وفي ٢١ فبراير ١٨٨٣ تولى جول
فري رئاسة الوزارة وكان من اعماله الشروع في فتح التونكين
والتدخل في مدغسكر حربيا وفي بلاد الكونغو سلميا . على ان
مسئلة التونكين امتدت وادخات فيها الصين فخوربت من اجها
وعاد ذلك بالفشل باديء بدء على الفرنسيين فان جيش القائدنجريه
فشل وجرح زعيمه فوقع هذا النباء وقع الصاعقة في باريس . وفي
مايو ١٨٨٥ توفي الشاعر الطائر الصيت السياسي العظيم الكاتب
الذي لا يشق له غبار فكتور هوكو فاحتفل بدفنه في غرة يونيو
احتفالا وطنيا لم يذكر التاريخ مثله لاحد من الناس . وفي شهر
اكتوبر جرت الانتخابات العامة فاصاب الجمهوريون فيها ٣٨٢ صوتا
وسواهم مئتي صوت واثنين

﴿ فصل ﴾

*(في الرئاسة الثانية لجول غريفي (١٨٨٥-١٨٨٥)) *

شكها الحاضر الا تعديلا قليلا

وكانت الصلات الودية تتراخي بين فرنسا وايطاليا على اثر بعض المشاحنات في مسألة البابوية واعانة فرنسا على هذا الامر الذي كان يفر منه الطليان . وفي ١٦ مايو ١٨٧٧ وقع خلاف بين ماك ماهون ووزرائه فاستقالوا فاتخذ وزراء غيرهم فانكروهم مجلس النواب فخله في ١٩ مايو . ولما انتخب مجلس النواب الجديد حصل على وزارة دستورية (١٤ ديسمبر) . وفي غرة مايو ١٨٧٨ فتح معرض عام في باريس دل على ما لفرنسا من الحياة والثروة اللتين لم تضعفهما الحوادث

﴿ فصل ﴾

« (في رئاسة جول غريفي ١٨٧٩) »

في ٥ فبراير اجتمع اعضاء مجلس الشيوخ ومجلس النواب وانتخبوا جول غريفي رئيساً للجمهورية فشرعت الحكومة في اعمال بنائية وحرية عظيمة في فرنسا وفي مستعمراتها كان معظم الفضل فيها للوزير دي فريسينه ووضع الحد الحربي لفرنسا فبولغ في احكام تحصيله وحسنت المعارف وعممت ووسعت المدارس ورممت وفي ١٢ مايو ١٨٨١ عقدت معاهدة بردو التي اعترف فيها باني تونس بحماية فرنسا وسيأتي بيان ما حمل على ذلك وكيف تم . وفي ٢١ مايو جرت الانتخابات العامة فكثر الجمهوريون وقلت الاحزاب الاخرى . وفي

﴿ فصل ﴾

*(في عقد القرضين ونهاية الاحتلال البروسي ١٨٧١ - ٧٣) *

في يوم ٢١ يونيو ١٨٧١ اذن للحكومة بعقد قرض قدره ثلاثة مليارات فاجتمع لديها اربعة مليارات في ست ساعات وفي ١٥ يوليو ١٨٧٢ اذن للحكومة بعقد قرض آخر قدره ثلاثة مليارات فاكتب الناس باربعة عشر ضعفاً لهذا المبلغ. وكان البروسيون كلما دفع قسط من الغرامة ينجلون عن قسم من الارض التي احتلوها حتى كان اجل احتلالهم في ١٦ ستمبر ١٨٧٣. فقل النقد في فرنسا حتى ندر وكثرت الضرائب والرسوم. وفي سنة ١٨٧٢ وضع قانون عسكري جديد اصلاح من القانون السابق

﴿ فصل ﴾

*(في استقالة تيرس وتولي ماك ماهون رئاسة الجمهورية) *

بعد ان نجت فرنسا من احتلال الاعداء تقسم أهلها الى احزاب واشتد التنازع بينهم حتى اضطر تيرس الذي كان رئيساً للجمهورية واشرف من خدم بلاده بمجد واستقامة ودهاء ان يستقيل من منصبه في ٢٤ مايو ١٨٧٣ خلفه المارشال ماك ماهون الى سبع سنين وفي ٢٥ فبراير ١٨٧٥ تقرر نهائياً ثبوت الجمهورية الفرنسية وتأسيس مجلس النواب ومجلس الشيوخ وهيئة الحكومة على

تيرس قد انجز البحث في مقدمات الصالح وعرضها على الجمعية فقبلتها. وفي هذه الجلسة عينها اعلنت سقوط الامبراطورية الفرنسية. ثم انتقلت الجمعية الى فرساي في ٢٠ مارس وفي ١٣ اغسطس سمت تيرس رئيساً للجمهورية. وقد تضمنت معاهدة فرانكنورت ان تؤدى فرنسا للبروسيين غرامة قدرها خمسة مليارات فرنك وان يسترد العدو محتلا احدى الجهات الفرنسية الى وفاء الغرامة كلها وفضلا عن ذلك تنازلت فرنسا للفاتح عن ولايتي الالزاس واللورين وندة قري فكانت مساحة البلاد التي ساخت منها ١٤٨٧٣٧ هكتار يقطنها ١٦٢٨١٣٢ نسمة

﴿ فصل ﴾

﴿ في يوم ١٨ مارس وقيام الكومون وُضرب الطوق الثاني على باريس ﴾
(ابريل ومايو ١٨٧١)

وفي غرة مارس دخل البروسيون الى العاصمة وكان اهلها في تهيج لا مزيد عليه وقد تحالفت بعض فرق من الحرس الوطني ودعت بالفرق المتحالفة واقامت المتاريس في الشوارع واستولت على مصنع المدافع فارسل اليها جيش تحت قيادة مالك ماهون فجرت مذابح فظيمة انتهت بانتصار الجيش ونفي جمهور من القائمين بهذه الثورة وعوقب جمهور بالقتل والسجن ثم عفي عنهم بعد ذلك .

(١٨٧١) ولكن ذلك لم يؤثر تأثيراً مفيداً على نهاية الحرب من قبيل
مصلحة فرنسا.

﴿ فصل ﴾

﴿ في التجاء جيش الشرق الى سويسرا وتسليم اريس وماجرى من المواقع ﴾

قبل ذلك (٣٠ نوفمبر — ٢٩ يناير ١٨٧١)

في هذه الاثناء كانت باريس قد سلمت ووضعت هدنة استثنائية
منها جيش الشرق ولم يشعر بذلك فاستمر واقفاً في مكانه والعدو
يتقدم ليحصره الى ان علم بما كان فقرّ لاجئاً الى سويسرا فاكرم
اهلها كثيراً

أما تسليم باريس فتم في ٢٩ يناير بعد ان عانى اهلها من الجوع
مالا يوصف وجاهدوا واجهاداً لم يذكر مثله التاريخ فخرجوا مراراً لملاقاة
العدو فشكل بهم تنكيلاً وكان القائد تروشوق قد استقال من منصبه
العسكري وبقي رئيساً للحكومة الموقته

﴿ فصل ﴾

﴿ في قيام الجمعية الوطنية في برردو (١٣ فبراير) ثم في فرسايل وتولي تيريس
رئاسة الجمهورية وذكر معاهدة فرنكفورت (١٠ مايو ١٨٧١) ﴾

اجتمعت هذه الجمعية في برردو يوم ١٣ فبراير من سنة ١٨٧١
وفي ١٧ منه اختارت المسيو تيريس رئيساً لها وفي غرة مارس كان

فبعد أن تغلب عليهم هذا الجيش مرتين تغلبوا عليه واستعادوا اورليان منه (٣٣ - ٤٠ مبر) ووجرت بعد ذلك عدة مواقع سقطت في خلالها اميان ٢٩ نوفمبر ثم ميزيار في غرة يناير ١٨٧١ ثم روكروا في ٥ ثم بيرون في ١٠ وانتصر البروسيون أيضا في معركة - ان كانتين في ١٩ منه وكان يبدي الفرنسيون عجائب من البسالة فيظفرون في بعض المواقع ثم تغلب عليهم كثرة العدد وحسن نظام العدو

﴿ فصل ﴾

*(في جيش الفوج وحضور غريبلدي وذكر جيش الشرق (من ٩ الى ٢٢ يناير) *

كان القائد كبريال على جيش الفوج الصغير فلما حضر غريبلدي وابناه ريسوتى ومنوتى منح قيادة الجيوش الحرة من السين الى الفوج فطرد ابنه ريسوتى البروسيين من شاتيليون سور سين (١٩ نوفمبر) وظهر القائد كريمر عليهم في شاتونوف وحاول غريبلدي الكبير ان يطردهم من ديجون فلم يستطع باديء بدء مع انه فاز في بعض المواقع الصغيرة . ثم عهد الى القائد بورباكي في قطع صلات العدو ورددهم عن حصار بلفور فوقعت بينه وبينهم موقعة هائلة طالت ثلاثة أيام (١٥ - ١٨ يناير) من هريكور الى مونيليار ثم رد الفرنسيون على اعقابهم لشدة البرد والجوع . أما غريبلدي فانه دفع هجمة للبروسيين على ديجون ودحرهم دحرا (٢١ - ٢٢ يناير

ولم ينقطع القتال في داخلية فرنسا منذ يوم ٤ ستمبر. وكانت
 ستراسبرج قد حوصرت في ١١ اغسطس فسقطت بعد جهد الاحتمال
 والمقاومة في ٢٨ ستمبر. وقبلها سقطت ليشتمبرج في ١٢ اغسطس
 ومارسال في ١٤ وميتري لفرنسوا في ٢٥ ولان في ٩ ستمبر وفلسبرج
 في ١٢ وفردون بعد مقاومة شهيرة في ٩ نوفمبر وتول في ٢٣ وتيونفيل
 في ٢٥ منه. ووجرت مواقع كثيرة اخرى لا محل لذكرها في
 هذا المختصر

﴿ فصل ﴾

« فيما فعله غمبنا و ذكر بلاء جيش الشمال »

لما رأى غمبنا عدم كفاءة الذين تولوا الحكومة في مدينة
 تور للنيابة عن الحكام المحصورين في باريس ركب المنطاد
 في ٦ اكتوبر وذهب الى تور فجعل الشؤون الحربية في يد ضابط
 مقدم هو المسيو دي فرسينه ثم طاف في أرجاء فرنسا يستنهض
 الهمم ويلقي الخطب الحماسية فانشأ جيوشاً كثيرة من المتطوعين
 وكانوا كلهم شجعاناً ولكن الشجاعة لا تغني من الميرة وذخر الحرب .
 واستؤنف القتال ففاز فيه دورليل دي بالادين قائد جيش الشمال
 واسترجع اورليان من البروسيين بعد موقعة كوليه (٩ نوفمبر) ولكن
 تسليم بازين مكن من زيادة عدد الجيوش الالمانية المحاربة لجيش الشمال

متس قاصدا شالون وكان الجيش متقهقرا الى جهة فردون فصدمه البروسيون في رزونفيل وفقد كل من الفريقين ١٧ الف مقاتل وفي السابع عشر رجع بازين الى متس عوضاً عن مداومة القتال وفي الثامن عشر جرت موقعة غرفلوت وانقطع خط الرجعة من متس على الفرنسيين بسبب تقاعد بازين واهماله . وفي ٢٧ قاتل بازين البروسيين ليفتح فيهم ثغرة تمكن ماك ماهون من القدوم اليه بنجده فانتصر في تلك الموقعة وبقي عليه ان يستأنف الجلاذ ليبلغ امنيته ففعل عكس ما يجب ورجع الى متس

{ فصل }

{ في تسليم متس (٢٧ اكتوبر ١٨٧٠) }

وفي ٢٧ اكتوبر كانت قد اشتدت المجاعة وقلت الحيلة فسلم بازين واسر البروسيون ثلاثة مارشالية و ٦٠٠٠ ضابط و ١٧٣٠٠٠ عسكري وغنموا ١٦٦٥ مدفعا و ٢٧٨٢٨٩ بندقية وعدة من الرايات وفي ١٦ اكتوبر سنة ١٨٧٣ حوكم بازين في مجلس عسكري فاتهم بالخيانة وجر دوحكم عليه بالموت (١٠ ديسمبر) فعفا عنه ماك ماهون من القتل وابدل عقوبته ففر من معتقله في ١٠ اغسطس سنة ١٨٧٤

{ فصل }

{ في سقوط ستراسبرج وعدة حصون } *

روشفور وجول سيمون زمام الاحكام للدفاع عن الوطن ثم ذهب
تيرس يجول في عواصم اوربا لينال مساعدة من احدى الدول فلم
يفلح فعزم الناس على الاستبسال في باريس وأقاموا الحواجز في
الطرق والشوارع وكان ٥٠٠ الف رجل مسلحين بين جنود بحرية وبريه
ومتطوعين واديرت المعامل ليل نهار لصنع المدافع وذخر الحرب
ولما وصل البروسيون الى قرب باريس كان يحتمل ان يتغلب
الفرنسيون عليهم لولا ان قائدهم تروشو كان بطيء الحركة لا يعتقد
نجاحا على يد محاربين متطوعين مهما كانت بساتهم . على ان هؤلاء
المتطوعين انتصروا على اعدائهم في عدة مواقع منها فيلجويف (٢٣
سبتمبر) وشفيلي (٣٠ منه) وبانيو (١٣ اكتوبر) وغيرها

﴿ فصل ﴾

(في بازين بمس)

بعد موقعة فورباك اجتمعت خمسة فيالق فرنسية حول متس
وكان يجب على بازين وعلى الامبراطور ان يتوجها نحو الغرب فلما
عزما على ذلك حاول البروسيون صدهما فانكسروا (لونجفيل في ١٤
اغسطس) ولكنهم اخروهما يوما عن المسير وفي يوم ١٥ لم يأتيا حراكا
وفي السادس عشر اخذوا بالمسير وكانا يجوزان ١٤ كيلومترا في اليوم
والاعداء يجوزون اربعين وفي السادس عشر خرج الامبراطور من

وفي يوم ٣٠ أغسطس باغت الدوق دي سكس فيلق القائد دي فاييلي وكان متغيباً عنه فانتصر عليه فازدحمت العساكر الفرنسية حول سيدان خائفة من الاعياء والجوع

﴿ فصل ﴾

﴿ في موقعة سيدان واحتلالها (١-٢ أغسطس سنة ١٧٨٠) ﴾

وكان الجيش الفرنسي بين البرنس كارلوس من الجنوب والغرب والدوق دي سكس من الجنوب والشرق فلا منجاة له الا بان يسير من الشمال الى مزيارقتباطاً القواد عن ذلك يوماً واحداً فاحدق بهم البروسيون وهم في أرض مطمئنة حولها مرتفعات فاييلي الفرنسيون احسن بلاء ولكن بسااتهم لم تغنهم فتبلى فسلم الامبراطور في ٢ ستمبر واسر البروسيون مارشالا و٣٩ قائداً و٨٦ الف مقاتل و١٠٠٠ حصان و٦٥٠ مدفعاً من ضروب مختلفة

﴿ فصل ﴾

﴿ في ثورة ٤ ستمبر وقيام الجمهورية الثالثة وحكومة الدفاع عن الوطن ﴾
لما ورد الى باريس النبأ بسقوط سيدان دخل الشعب الى مجلس النواب في ٤ ستمبر وأعلن خلع الامبراطور وقيام الجمهورية وتولى النواب امانويل ارانو وكراميو وجول فابر وجول فري وغيمتا وغارنيه باجيس وجلازبزووان واوجين بلتان وارنست بيكار وهنري

الامبراطورة الى الكونت دي باليكا ان يشكل وزارة اخرى
واضطر الامبراطور لشدة ما انتقدت تدابير الحرب ان يستقيل
واستخلف بازين في القيادة العامة

﴿ فصل ﴾

﴿ في فيلق شالون ﴾

وكانت ستراسبرج قد سقطت وكان الامبراطور
وما كاهون حاشدين ١٢٠ الف مقاتل في معسكر شالون فكان لابد
لهما من أحد امرين اما الذهاب سريعاً الى متس لتعزيز بازين واما
الانقلاب الى باريس للدفاع عنها وبعد التردد واضاعة الوقت
تقرر السير الى متس

﴿ فصل ﴾

﴿ في تقدم ما كاهون نحو متس ﴾

وفي ٢١ اغسطس برح ماك ماهون معسكر شالون في ١٢٠
الف مقاتل لانجاد بازين وكان امامه البرنس كارلوس ومعه ٧٠ الف
عسكري فلولا ابطاؤه لوصل اليه ودحره وتقدم الى متس غير انه
كان لا يجتاز الا ثلاثاً أميال كل يوم وما زال متردداً حتى اقبلت
عليه طلائع من البروسيين فعدل عن المسير الى متس واخذ يتقهقر
الى سيدان ثم صدر اليه أمر من وزير الحرب ان يسير الى متس
باسرع ما يستطيع .

﴿ فصل ﴾

﴿ في مواقع ساربروك وويسميرج وورث وفورباك (٢-٤-١٨٧٠ اغسطس) ﴾

انتصر الفرنسيون في مناوشة على مرتفع بين فورباك وساربروك فعظموا شأن هذا الانتصار كثيرا ولكن الالمانيين في ٤ اغسطس اتخذوا خطة الهجوم في شرقي جبال النوج فباغتوا القائد الفرنسي ايل دواي في ويسميرج وقتلوه وبددوا جنوده الذين كانوا يحاربون واحدا ازاء ثمانية . فقدم ما كاهون للانجاد وكان البروسيون قد دخلوا الالزاس فقاتلهم يوم ٦ اغسطس في ورث وفرشويار وريشتوفن وكانت جنوده ٤٠٠٠٠ امام ١٦٠٠٠٠ يقودها البرنس كارلوس فابلوا بلاء شهيروا ولكن ردوا على اعقابهم مدحورين وتركوا ستراسبيرج بلا دفاع فكان ذلك القضاء المبرم على الالزاس وفي اليوم نفسه كان الالمانيون قد باغتوا فيلق القائد فروسار على مرتفعات سبيكويين فزقوه وارجعوه الى فورباك

﴿ فصل ﴾

﴿ في سقوط وزارة اوليفيه (٩ اغسطس) وقيام وزارة باليكاو ﴾

(وتولي بازين القيادة العامة)

لما بلغت بعض انباء التمشل الى باريس حدث حرج ومرج ولا سيما في مجلس النواب فاستقالت وزارة اوليفيه وعهدت

◀◀ الباب التسعون ▶▶

﴿ فصل ﴾

﴿ في حرب السبعين وسائر حوادث فرنسا الى سنة ١٨٩٦ ﴾

كان الجيش الفرنسي مؤلفاً من ثمانية فيالق قوادها ماك ماهون وفروسار وبازين ولادميرو ودي فايلى وكاروبر وفليكس دواي والحرس الامبراطوري وعدتهم نحو ٢٠٠٠٠٠٠ مقاتل ولم تكن الجنود الاحتياطية مهيأة للحرب . وكانت العساكر موزعة شمالا في التخوم البروسية والبافاريدعلى مسيرة ٣٧ ميلا وشرقا على ضفة الرين المتاخمة لبادعلى مسافة ٤١ ميلا وكانت تعوزها الميرة والذخيرة والكسوة وسائر الاشياء الضرورية

وكان القواد لا يعلمون شيئاً عن العدو وهو يعلم كل شيء عنهم اما قوة الالمانيين فكانت تتألف في باديء الامر من ثلاثة فيالق قوادها ستينمز والبرنس فريدريك كارلوس البروسي والملك غليوم الذي كان مساعده مولتك الشهير . وعدة رجالها ٣٣٨٠٠٠ مقاتل و١٧٠٠٠٠ احتياطي للانجاد على مقربة منها وكانت منظمة مكفولة أحسن كفاءة ولها طلائع للاستكشاف من الخيالة المهرة الباسلين . وكان تقدمها من كوبلنتس الى تريفس وسارلويس ومن ماينس غربي بافاربا الرينية ومن سيرا طريق لاندو وبافاريا الرينية

بعد دخول البلغار في محاربة الدولة العلية والصرب سنة ١٨٨٥
غضبت روسيا على أميرها اسكندر دي باتنبرج غضباً شديداً لعدم
استشارته اياها واضطرته الى الاستقالة (١٨٨٦) فشرع مجلس نواب
البلغار من فوره في انتخاب أمير آخر خلافاً لما أراد القائد كوليبارس
وكيل روسيا السياسي ولذلك لم تلبث العلائق ان قطعت بين البلادين
وخيف من احتلال الروس بلاد البلغار لولا حيلولة النمسا والمانيا سرا
دون ذلك . وفي سنة ١٨٨٧ انتخب البرنس فرديناند دي سكس
كوبوزج غوثا اميرا للبلغار فلم تعترف به الدول واحتج الباب العالي
على انتخابه وكان رئيس وزراء هذا الامير ستامبولوف الشهير بقسوته
وعدائه لروسيا وقد قتل ضابطاً يدعى بانزا لانه كان روسي المشرب
ويقال انه كانت له يد في مقتل أحد زملائه وهو الوزير بلمتشف .
وفي سنة ١٨٩٣ تزوج البرنس فرديناند باميرة كاثوليكية تدعى ماري
لويزا دي بوربون فزاد بذلك غضب روسيا . وفي سنة ١٨٩٤ سقطت
وزارة ستامبولوف لشقاق وقع بينه وبين زملائه وخلفه ستويلوف
واخذتقرب من روسيا وعناعن الذين كانوا معتقايين من أجل اراهم
السياسية وفي ٢٥ يونيو من السنة المتقدمة ذكرها قتل ستامبولوف وفي
سنة ١٨٩٦ نصر الامير فرديناندولي عهد البرنس بوريس على طريقة
المذهب الارثوذكسي فاعتزنت به تركيا ثم روسيا ثم سائر الدول وزار
الاستانة وبطرسبرج وباريس فقبول بترحيب واكرام

واهل الجبل الاسود والصر ب في مناوأة الدولة العلية فلزموا السكنية الى أواخر الحرب ثم أرادوا الدخول ليحصلوا على قسم من الغنيمة فوعدوا بها وفي سنة ١٨٨٠ منحوا قسما كبيرا من تساليا . وفي سنة ١٨٨٥ كادت اليونانية تشتترك مع الصرب في محاربة الدولة العلية ثم منعتها من ذلك الدول بالقوة

﴿ فصل ﴾

﴿ في تجدد الثورات في جزيرة كريد (١٨٨٩ - ١٨٩٦) ﴾

في سنة ١٨٨٩ عاد الكريديون الى الثورة وبجرت فظائع ومذابح ثم اعيدت السكنية الى الجزيرة ولم تستطع حكومة اليونان أن تنال مساعدة الدول لضمها اليها وفي ربيع سنة ١٨٩٦ ثار المسيحيون الكريديون ناية وطلبوا الانضمام الى بلاد اليونان فضغطت الدول على الباب العالي فمنحهم استقلال اداريا تحت رئاسة وال مسيحي يعين بموافقة اليونان وضمانة الدول

غير ان الثوار اصرروا على اقتراحهم ورأت اليونانية ان تحتل الجزيرة ففعلت واخذت تستعد لمحاربة الدولة العلية برافعات للنتيجة شوما عليها حيث انجحت عن كريد وفقدت قسما من تساليا وابتليت بفرامة حرية تنؤ خزائنها بحملها واقيم فيها صندوق للدين

﴿ فصل ﴾

﴿ في امارة البلغار ﴾

أغسطس من سنة ١٨٦٠ البرنس دانيلو الاول . ويبلغ سكانها الآن نحو المليونين . وفي سنة ١٧٨٦ ثار الجبل الاسود على الدولة العلية في خلال خروج الهرسك فخارتها حربا شديدة . مدة سنتين ثم منحت في مؤتمر برلين ما ذكرناه من الاستقلال وزيادة الاملاك

﴿ فصل ﴾

﴿ في ثورة اليونان سنة ١٨٦٢ وانتخاب جورج ﴾

﴿ الاول الدانمركي عليهم (١٨٦٣) ﴾

عندما تقرر استقلال اليونان بمقتضى معاهدة ١٨٢٩ خافت الدول ان تضعف تركيا الى حد ان لا تقوى على مقاومة الروس اذا حاربوها فابقت لها كريد وساموس وشيو وتساليا وايروس فانظر اليونان سنوح القرص لتحرير سائر بني جنسهم ولما تقدمت جنود الروس نحو الطونه في سنة ١٨٥٤ هموا بمساعدتهم فحالت دون ذلك فرنسا وانكلترا ثم اخذت سياستوبول وعقدت معاهدة باريس بما لم يعجبهم فاتهموا ملكهم أوثون البافاري بخور العزيمة ولم يلبثوا ان خلعوه في سنة ١٨٦٢ . ثم اتخبوا بعده ولدا قاصر الملك الدانمرك فسمي جورج الاول وفي سنة ١٨٦٣ تنازلت انكلترا لليونان عن الجزر اليونية جزاء لهم على انتمائهم الى سياستها . وفي سنة ١٨٧٧ نصحت لهم الدولة المذكورة بعدم الاشتراك مع روسيا ورومانيا

أوصياء فافسدوا الاحكام باستبدادهم فعزلهم الملك ذات يوم وأعلن بلوغه الرشد . وفي سنة ١٨٩٤ خاف اسكندر خروج الشعب عليه فخلعه فاستبدل دستور سنة ١٨٨٨ بدستور سنة ١٨٦٩ . ومن أهم الحوادث التي جرت في الصرب محاربتها للبلغار في سنة ١٨٨٥ وذلك أن الروم ايلي الشرقية كانت قد ثارت وطردت واليهالعثماني طالبة الانضمام الى البلغار فقبل الامير اسكندر دي باتسبرج مقترحهم واستعد لمحاربة الاتراك فحاولت الدول حسم الخلاف سلمياً فلم تستطع . وكان الملك ميلان قد جهز جيشاً ضخماً فلما رأى البلغار مشغولين بمناجزة الدولة العلية شهر الحرب عليهم ودخل بلادهم فعند ذلك أرسل دي باتسبرج بلاغاً الى الباب العالي بانه يجلي عساكره عن الروم ايلي الشرقية وتقدم نحو الشمال لملاقاة الصرب فدحرهم مراراً ودخل بلادهم فاتحاً مع قلة جنوده وكثرة جنودهم فتداخت النمسا في الامر وجات العدوين على المهادنة ثم تصالحا . ورأى السلطان أن يحسم مسألة الروم ايلي الشرقية حسماً يحالللدولة ففتح أمير البلغار ولايتها الى خمس سنين ثم تجدد أولاً تجدد على ما تريده الدولة العلية ولا تزال الحال كذلك الى الان .

﴿ فصل ﴾

﴿ في امارة الجبل الاسود ﴾

يحكم هذه الامارة البرانس نقولا الاول الذي خلف في ١٤

الانضمام احداها الى الاخرى وكان أول مساهما في سبيل ذلك أن انتخبنا اميراً واحداً للولايتين يدعى كوزا فحاول أن يستبد فعزل ونصب مكانه كارلوس لويس هوهنزولرن البروسي تحت اسم كارلوس الاول وقد رأينا ما كان من مساعدة رومانيا لروسيا في محاربتها الاخيرة للدولة العلية واعتراف الدول باستقلالها رسمياً في مؤتمر برلين. أما حوادثها الداخلية المهمة من ذلك العهد الى غاية سنة ٩٦ فاهمها ثورة الفلاحين (١٨٨٨) وتعديل القانون العقاري بسببها.

﴿ فصل ﴾

﴿ في الصرب ﴾

علمنا أن الصرب حاربوا الدولة العلية سنة ١٨٧٦ في خلال ثورة بوسنه والمهرسك وارتدوا خائبين فلما دنت الحرب الروسية العثمانية من اواخرها أعلنوا الحرب ثانية على الدولة العلية فاصابهم من أجل ذلك نصيب جميل في مؤتمر برلين وهو اعتراف الدول باستقلالهم وازضافة أرض واسعة الى بلادهم. وفي شهر مارس من سنة ١٨٨٢ قرر مجلس نواب الصرب ان يلقب الامير ملكا فدعي ميلان الاول وظل الى سنة ٨٩ ثم استقال على أثر تطلقه للملكة ناتالي قرينته ونصب ابنه اسكندر الاول ملكا مكانه وأقام له ثلاثة

حدثت المذابح الارمنية الاولى في ولايات ارضروم وبتليس ووان
وبايزيد وغيرها ثم تجددت في ولاية موش فنشأ عن ذلك أن الارمن
المقيمين في الاستانة اجتمعوا في كنيستهم وسألوا بطريقهم
آشقيان ان يرفع عريضة من قبلهم الى السلطان يطالب عدة
من الاصلاحات فأبى فضربوه وجرحوه وعلى أثر ذلك استقال
من منصبه غير ان الباب العالي لم يلبث ان أجاب الارمن الى بعض
مقترحاتهم وفي شهر ديسمبر من السنة المذكورة عين جواد باشا
صدراً أعظم مكان كامل باشا

وفي ٩ اكتوبر من سنة ١٨٩٥ تجددت المذابح الارمنية في
جميع الولايات التي وجدوا فيها فعظم شأنها في الدنيا بأسرها ونجحت
عنها سلسلة مشا كل انتهت حين صدور الارادة السنوية بالاصلاحات
الجديدة التي قررها السفراء وأراد السلطان تعميمها في جميع الولايات
على السواء وفي خلال سنة ١٨٩٦ كانت انباء الثورات والعصيان
ترد من بلاد الاناضول والارمن وهوران بالشام ولا تزال كذلك
الى اليوم.

﴿ فصل ﴾

﴿ في المملكة الرومانية ﴾

بعد أن جعلت بغداد وافلاق ولايتين مستقلتين أحبتا

وعلى الجملة فقد جاءت هذه المعاهدة في نهاية الاجحاف بحقوق الدولة العلية ولم تمض على نفوذها الا اشهر حتى حدثت فتنة كريد التي افضت الى عقد معاهدة هلبية (٢٥ اكتوبر ١٨٧٨) وتحركت دولة اليونان وامارة الجبل الاسود وتطالبان بما منحهما مؤتمر برلين من البلاد فاجابتهما السلطنة الى ذلك بعد مداوات طويلة

وعلى اثر ذلك خرج الالبانيون على الدولة فارسل اليهم درويش باشا فتغلب عليهم (٤ مايو ١٨٨١) ولكنهم لم يدخلوا في الطاعة على ما يجب . وفي ٢٩ يونيه من سنة ١٨٨١ حكم بالقتل على مدحت باشا وثمانية من ذوي المناصب العالية بدعوى أنهم قتلة السلطان عبد العزيز ثم حولت عقوبتهم الى النفي . وفي خلال سنتي ٨١ و ٨٢ احتج الباب العالي على احتلال فرنسا لتونس وانكلترا لمصر ومن ذلك الوقت أخذ يتقرب من المانيا استنصاراً بها واستعان بضابطها لتجديد نظمات الدولة العسكرية . وفي غرة يوليو من سنة ١٨ حمل اسكندر باتنبرج الذي كان قد جعل أميراً على البلغار مجلس نواب الامارة المذكورة على منحه قوة تشريعية شبيهة بالملقة الى سبع سنوات . وفي سنة ١٨٨٩ فتح الخط الجديد الذي يصل الاستانة بالبلاد الاوربية ومنحت بعد ذلك امتيازات ميناء بيروت . وبعث خطوط الحديدية الاخرى المعروفة في الولايات . وزيد عدد المدارس التي اقيمت في جميع الجهات وفي سنة ١٨٩٠

أحدهما وهو الشمالي تكون منه امارة البلغار المستقلة تحت سيادة الباب العالي والثاني وهو الجنوبي يدعى بلاد الروم ايلي ويكون تابعاً للدولة العلية وله شيء من الامتياز وان تكون الملاحه في الطونه جائزة لمن يشاء وان تستقل رومانيا سياسياً وتمنح مقاطعة دوبرويجه وان تستقل الصرب تماما وتمنح اقليم نيش وتستقل امارة الجبل الاسود وتمنح فرضة انتيفاري وثالث الاراضي التي أعطيتها بمقتضى معاهدة سان ستيفانو الملغاة وتعطى روسيا بسارابيا ويضم الى املاكها بآسيا مدن قارص واردهان وباطوم . وما بقي لتركيا من الاملاك بآسيا تعهدت انككترا بحمايته في نظير تنازل السلطنة لها عن جزيرة قبرص بمقتضى معاهدة دفاعية عقدت في تلك السنة نفسها بين الدولتين . وجعلت الغرامة ٢٤٥٢١٧٣٩١ ليره عثمانية ومنحت دولة ايران اقليم قطور والنمسا فرضة اسبيرا واجيز لها احلال عساكرها في بوسنه وهرسك الى أجل غير مسمى لتقيم فيهما الاصلاحات ومما قضت به هذه المعاهدة أيضاً قبول شهادة جميع العثمانيين امام المحاكم واجراء النظام الاساسي الموضوع سنة ١٨٦٨ لكريد وادخال اصلاحات جمه من قبيل هذا النظام على الممالك العثمانية كلها وخصوصاً الاقاليم التي يسكنها الارمن حيث تعهدت الدولة بحمايتهم من الجركس والاكراد وان تبلغ دول اوربا آناً بعد آناً عما تنفذه من هذه التدابير الداخلية .

عن قارص وتقهقروا وتعقبهم مختار باشا فانتصر عليهم نصرات باهرة
 في عدة مواقع اشهرها موقعة كدكر التي لقب على اثرها بالغازي
 وبعد ذلك وردت النجيدات الى الروس فقاوموا مختار باشا ثم ردوه
 ناكصاً على اعبابه وحاصروا قارص حصاراً شديداً الى ان استولوا عليها
 عنوة (١٨ نوفمبر) فخرج مختار باشا الى مدينة أرضروم وضم اشتات
 الجيش وأقام الحصون والمعقل بسرعة عجيبة واستمر في مركزه
 مدافعاً للروس الى نهاية الحرب وكان ذلك من أجل الاعمال العسكرية
 ولم يكتف الروس بما نالوه من النصرات بل خافوا أن ينقطعوا عن
 القتال مدة الشتاء فتجدد الدولة العلية بعض قواها المفقودة وتحمّد
 بعض الثورات القائمة على ساق وقدم في افلاق وبنغان والصر ب
 والجبل الاسود فاستمروا ويسرون الى الامام وجازوا جبال البلقان
 بين الثلوج المتراكمة الى أن استولوا على صوفية بعد قتال (٤ يناير
 ١٨٧٨) وعلى شبقة (٩ يناير) ثم قاتلوا جيش سليمان باشا الذي أبلى
 بلاء عجيبياً مدة ثلاثة أيام ولكنه لم يلبث أن تقهقر الى جبال ردوب
 (١٩ يناير) ثم فتحوا ادرنه ودنوا من أبواب الاستانة فطلبت الدولة
 العلية عند ذلك هدنة للمباحثة في الصلح وفي ٣ مارس من سنة ١٨٧٨
 وقعت الدولتان المتحاربتان على معاهدة سان ستيفانو التي حالت
 الدول ولا سيما انكلترا دون انفاذها فاستبدت بمعاهدة برلين
 الشهيرة (١٣ يونيو ١٨٧٨) وأهم مشتملاتها تقسيم البلغار الى قسمين

رأى عثمان باشا ذلك اتخذ بلونه حصناً له وهي مركز في ملتقى الطرق
 بين سواحل الطونة ومضائق جبال البلقان فهاجمه الاعداء مرتين
 وكانوا اكثر عددا من جنوده فعادوا خائبين . وعند ذلك ورد مدد
 من العساكر العثمانية فاضيف الى الجيش وقسم الى ثلاثة أقسام
 أحدها بقي في بلونه تحت قيادة عثمان باشا والاخر انتصر على جيش
 للروس باسكى زغرد والثالث كان يقوده محمد علي باشا دحر الاعداء
 في موقعة صاري نصوحر فأصبح مركزهم في أشد الحرج وعند
 ذلك بعثت رومانيا بمئة الف مقاتل لانجاد الروس فعبروا الطونة
 وقدم القيصر بنفسه الى ساحة القتال فاستؤنف العراك وعلت كلمة
 الروس وتقهقرت جنودنا الى وارنه وفي ٢٤ اكتوبر حوصرت
 وارنه حصارا شديداً الى أن عض الجوع حاميتها بنابه فاخرجها
 عثمان باشا الى النصر أو القبر وكان المحاصرون ثلاثة اضعافها فغلبوها
 وجرح عثمان باشا وسلم سيفه فرده اليه القيصر اعجابا منه بشجاعته .
 أما الحوادث التي جرت في خلال ذلك في الاناضول فلم تكن أقل
 أهمية من التي ذكرناها وهي أن الجنود الروسية كانت قد استولت
 على مدينة اردهان (١٧ مايو ١٨٧٧) وحاصرت قارص وأخذت
 تهدد ارضروم ثم استولت على مدينة بايزيد (٢٠ ابريل) وكسرت
 جنودنا في موقعة درام ضاغ (١٠ يونيه) فاحتل مختار باشا مرتفعات
 زوين ودحر فيها الروس دحرا شديداً في ٢٦ يونيه فرفعوا الحصار

فاستولت بهما على بعض المواني والقلاع وقطعت الطريق على السفائن الروسية . وكان لها اسطول في نهر الطونه لم يلبث الاعداء ان ضيقوا عليه مذاهبه بما وضعو من عراقل النساف في طرقة وكان لها اسطول في البحر المتوسط صحب الجيش المصري الذي أرسل لمساعدتها وكان يسكن الجزر والشواطئ التي استعد أهلها للثورات . هذا من حيث ما جرى في البحر وأما وقائع البر فهي التي كان لها الشأن العظيم ولذلك نبسط فيها الكلام قليلا فنقول قد علمنا عدة الجنود التي جهزتها روسيا في بادئ الامر وأما الدولة العلية فشدت جيوشها وجعلت مختار باشا قائدا عاما لجنودها في أرض روم والمشير عبدالكريم نادر باشا قائدا عاما في الروم ايلى والمشير درويش باشا قائدا في باطوم وعثمان باشا قائدا في ودين

وفي ٢٥ ابريل من سنة ١٨٧٧ تحركت عساكر الروس متقدمة ودخلت الحدود العثمانية مستعينة بالميرة والذخيرة اللتين كانت رومانيا تقدمهما لها سرا قبيل ان تجاهر بالعداء لمتبوعها السلطنة العثمانية . وفي ٢٧ يونيه من السنة المذكورة كانت مقاتلة الاعداء قد جازت ولايتي افلاق وبغدان وعبرت نهر الطونه وعبد الكريم باشا لا يبدي حراكا للدفاع ولذلك عزل ونصب محمد علي باشا والي مصر في منصبه . ثم سارت جنود الروس نحو البلقان واستولت على مضايقه ومواقع اخرى فيه واحتل جانب منها مدينة نيكوبولي فلما

الدولة . ثم أمر بإرسال الجنود الى حدود الصرب والجبل الاسود وبوسنه وهرسك لاختداد الثورة فانتصرت على العصاة في كل مكان فتوسطت الدول في عقد هدنة لوضع شرائط الصلح . وفي اثناء المداورات استقال الصدر الاعظم فاستخلف بمدحت باشا واصدر جلالة السلطان القانون الاساسي ووضع مجلساً للشورى جامعاً للنواب عن كل الملل العثمانية ارادة تحسين شؤون السلطنة . وبعد شهرين من صدارة مدحت نفي بدسيسه روسية وخلفه آدم باشا وارجىء عقد مجلس الشورى الى أجل غير مسمى ولما كان السفراء في حين اجتماعهم لتقرير شروط الصلح مع الولايات الثائرة لم يقبلوا اشتراك مندوب عثماني معهم بل وضعوا اللائحة ثم عرضوها للموافقة عليها استخفافاً بالدولة رفضها الباب العالي وكذلك أباهها مجلس الشورى في جمعية عامة له فسأقت روسيا ٢٥٠٠٠٠ مقاتل الى الحدود التي بينها وبين الدولة العلية و ١٥٠٠٠٠ الى حدود الاناضول وفي خلال ذلك أصدرت لائحة تعرف بالبروتوكيل سألت فيها الدول التي اشتركت في مؤتمر الاستانة أن تكلف الباب العالي باسترجاع الجنود من مواقع القتال وترك السلاح والاهبة الحربية وتحسين أحوال الولايات الثائرة تحت مراقبة السفراء فرفض الباب العالي هذه اللائحة الجديدة المحجفة بمحقوقه وأعلنت الحرب . وكان للدولة العلية اسطولان في البحر الاسود

العثمانية عنها كما حصل ذلك قبلا للصرب والجبل الاسود . وكانت الاحكام في الاستانة وغيرها قد ساءت كثيرا فتحزب الصنفاء وجمهور من أهل العاصمة وأيدهم جماعة من الحكام وأفتى لهم شيخ الاسلام فحوصر قصر السلطان بالجنود وخلع (٢٨ مايو ١٨٧٦) ثم قتل بعد أربعة أيام

﴿ فصل ﴾

« في السلطان مراد الخامس (١٥٧٦) »

بعد أن تبوأ السرير اشتدت الفتنة في بوسنه والمهرسك والبلغار وثار أهل الصرب والجبل الاسود ثانية فجهز السلطان الجيوش وكان منها جيش مصري بعثه استميل باشا وأنفذها لاختداد تلك الثورات فانتصرت في كل جانب الا في الجبل الاسود لوعورة المسالك ومنازلة العصاة لهم بدون انتظام وفي خلال هذه الحوادث جنّ السلطان مراد وقال الاطباء ان علته لا يرجى شفاؤها فبويع أخوه جلالة السلطان عبد الحميد الثاني (٣٠ أغسطس ١٨٧٦)

﴿ فصل ﴾

« في جلالة السلطان عبد الحميد الثاني »

تبوأ التخت في يوم الخميس ٣١ مارس من السنة المذكورة آنفاً وأقرّ وزراءه وأصدر فرمانا بما في نيته من اصلاح امور

استفحلت في جزيرة العرب فكأنما فتحها جنوده فتجا جديدا
لكثرة ما عانت من المشاق . ومما يذكرا عبد العزيز زيارته لمرض
باريس وعواصم اوربا ورغبته الصحيحة في الاصلاح ولا سيما على
أثر عودته الا أنه لم يوفق في انفاذ كثير منها . وفي سنة ١٨٦٦
استصدر اسمعيل باشا والي مصر فرمانا نال به لقب خديو وحق
ايراث منصبه لذريته ثم استمنح امتيازات اخرى كبيرة جمعت
كلها في فرمان سنة ١٨٩٠ . وكانت الدولة العلية قد عارضت في فتح
ترعة السويس الى سنة ١٨٦٦ ثم صدرت ارادة سنوية لاسماعيل باشا
بالموافقة عليه ولما تم زار اسمعيل عواصم اوربا ودعا اكابر الملوك
لحضور الافتتاح فاتوا القاهرة وحرت تلك الحفلة الباهرة في ١٧
سبتمبر من سنة ١٨٦٩

وفي سنة ١٨٦٦ توفي الصدر عالي باشا فأخذت احوال الدولة
تضعف في الداخل لخروج جمهور من أعاضم الرجال على السلطان
وكانوا منضيين منه خائنين عليه كل لسبب فهاجروا الى اوربا وأخذوا
يستشيرون الرأي العام عليه . وقامت في تلك الاثناء فتنة ولايتي
بوسنه وهرسك (١٨٧٥) فاطفئت ثم فتنة البلغار (١٨٧٦) فاستفحلت
وحدثت فيها فظائع عظيمة وارتفع صوت غلادستون في الطعن
على السلطان فاراد أن يتدارك الامر قبل استفحاله فمنح الولايات
التي ثارت بعض الامتيازات فلم ترض بها بل أرادت انجلاء الجنود

« فصل »

﴿ في السلطان عبد العزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦) ﴾

كان أول شروعه في الاصلاح أن شكل مجلس شورى الدولة وديوان الاحكام العدلية وأصدر نظامنامه سنتي ١٢٨١ و ١٢٨٧ ثم أصلح المالية والعسكرية والبحرية والف فرقة من أولاد امراء العشائر بازياتهم المعتادة وجدد الاسلحة والمدافع والذخائر . ثم أقام معرضاً جميلاً في الاستانة وزار الاسكندرية والقاهرة فقبول بالتهليل والتعظيم اللائقين بمقامه السامي ولا سيما وان الرعية كانت قد اعتادت أن لا ترى سلطانها . وبعد ذلك حدثت فتنة الجبل الاسود واشتدت الى أن انتهت باستقلال الجبل المذكور (١٨٦٤) ثم تحركت بلاد الصرب فتنزلت لها الدولة العلية عما كان باقياً لها من القلاع والمراكز فيها (١٨٦٧) ثم ضمت الافلاق والبغدان الى مملكة سميت بمملكة رومانيا (١٨٦٥) وكل هذه الانقلابات رضيت بها السلطنة عملاً بما أرادته الدول التي كان يزداد تداخلها في شؤونها يوماً بعد يوم . وفي سنة ١٨٦٦ ثار أهل جزيرة كريد بايعاز من روسيا فلم توافق الدول على انفصالهم عن السلطنة وانضمامهم الى مملكة اليونان فقمعت ثورتهم ومنحوا بعض الامتيازات على ما تقرر في مؤتمر عقد في باريس (١٨٦٩) وفي سنة ١٨٧٠ بعث السلطان البعوث لاختاد ثورة

سينوب البحرية التي دارت دائرتها على الاسطول التركي مع ما أبلى جنوده من البلاء الحسن . ثم تداخلت فرنسا وانكترا في الامر لكف روسيا عن مطامعها واتحدتا مع الدولة العلية وجرت حرب القريم وحصار سبستبول الشهير الذي فاز فيه المتحالفون كما ذكرناه وفي سنة ١٨٥٦ عقدت معاهدة باريس وتقرر فيها أن للدولة العلية حق الفصل المطلق في خصوماتها الداخلية كسائر الدول وأن لا يجوز الا للسفن العثمانية والروسية النفوذ في البحر الاسود وان يقيم مجلس مختلط لتأمين السفن التجارية في الطونه وأن تستقل ايلات الافلاق والبغدان والصر ب داخلياً وتشترك الدول الموقمة على هذه المعاهدة في انتخاب امراءها

ثم حدثت فتن عظيمة في بوسنه وهرسك وكريد أخذها رجال الدولة للعظام المشاهير بحسن سياستهم ودهائهم وأولهم الصدر رشيد باشا الذي توفي في بدء هذه الحوادث ثم عالي باشا الذي خلفه وفؤاد باشا ناظر الخارجية . وفي سنة ١٨٦٠ حدثت الفتن المشهورة في الشام بين الدروز والمسيحيين واشترك فيها والي دمشق وجمهور من الحكام فأخذها فؤاد باشا وأعانته على ذلك دولة فرنسا باحتلالها البلاد الى سنة ١٨٦١ ثم قررت الدول منح امتياز استقلالي لجبل لبنان ونصب وال مسيحي عليه

بتوسط روسيا على ماصر بيانه وبعد ذلك استؤنف القتال وجرت
موقعة نزيب الشهيرة بجوار حاب وقبل ان يرد نبأها الى الاستانة
كان السلطان قد توفاه الله مأسوفا عليه لكثرة ما أصاح وجاهد
وتعب في رتق الفتوق الكشيرة التي كانت تضعف السلطنة

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ - ١٨٦١) ﴾

لما بويع بالخلافة بلغه نبأ انتصار ابراهيم باشا فاجتهد في حل
المسألة المصرية وعقد لذلك مؤتمرا في الاستانة تقرر فيه ان لا تكون
لمحمد علي باشا الابلا دمصر وانفذ هذا القرار في سنة ١٨٤٠ وفي
السنة التالية عقدت معاهدة البواغيز التي تقرر فيها ان لا يجوز لدولة
امرار سفنها الحربية من بوغازي البسفور والدرذيل . وبعد
ذلك صدر فرمان الوراثة لبيت محمد علي باشا ومنح الاستقلال
الإداري للقطر المصري

ولما فرغ السلطان من هذه الاعمال اصدر خط السكاخانة
وشرع في تعميم المعارف والاصلاح الاداري والمالي والعسكري
فاضطربت لذلك روسيا وخافت من ترقى الامة العثمانية فانتهزت
فرصة خلاف وقع في القدس بين الطائفتين اللاتينية والارثوذكسية
وشهرت الحرب على الدولة العلية فكانت أشهر وقائعها واقعة

وفي خلال حرب اليونان أيضاً دمر السلطان الانكشارية حتى
 أفناهم واستراحت الدولة من شرورهم . وفي سنة ١٨٢٨ رأت روسيا
 ضعف الدولة على أثر تنكياتها بالانكشارية دون ان تكون قد
 استعاضت عنهم بجيش أفضل منهم فتعجبت سبباً لاعلان الحرب
 عليها وذلك ان السلطان أبي بدم موقعة نافارين أن يقرّ باستقلال
 اليونان فتقدم الروس حتى خيف منهم على الاسنانة وعند ذلك
 تداخلت الدول في عقد الصلح (١٨٢٩) فكانت أهم مشتملاته جعل
 نهر بروت حداً فاصلاً بين الساطنتين ومنح روسيا حرية الملاحة
 في البحرين الاسود والمتوسط والتنازل لها عن مصاب الطونونه وبوتي
 والجزء الاعلى من مصب نهر خور بآسيا واستقلال الافلاق والبغدان
 وبقاء الصرب على ما كانت عليه بموجب معاهدة أقرمان ودفع
 غرامة حربية وعوض للتجار الروس واعتراف الباب العالي باستقلال
 بلاد اليونان وكان الفاصل لها عن الدولة العلية خط وهمي يمتد من
 ارطى الى فولو وكانت من مشتملاتها جزائر سقلاده ونغر بنطس
 وموره

وفي سنة ١٨٣٠ شرع الفرنسيون في فتح الجزائر فلم يقو

السلطان على مدافعتهم

وفي سنة ١٨٣١ سارت جيوش محمد علي باشا بقيادة نجله ابراهيم

لفتح الشام وكسرت عساكر الدولة ثم عقدت معاهدة هنكار اسكاهسي

وروسيا بمسعى من نابليون الاول ثم رأى السلطان ان حزبا كبيرا
يميل الى ارجاع السلطان مصطفى المخلوع فأنفذ اليه من قتله فقبض
عليه الثأرون من أجل ذلك وخلعوه

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان محمود الثاني (١٨٠٩ - ١٨٣٩) ﴾

بعد أن بويغ بالخلافة باشهر قرر ديوان الشورى قتل السلطان
مصطفى لدفع سبب كبير من أسباب الفتن ففعل . وصالح هذا
السلطان الانكليز ثم استأنف محاربة الروس الى ان شهرا نابليون
عليهم الحرب ف عقدوا معه معاهدة بكرش (١٨١٢) مسرعين
ليجمعوا كل جموعهم ويقاوموا بها طاغية الغرب وكانت هذه المعاهدة
جميلة للدولة قضت ببقاء البغدان والافلاق تابعتين لها وكذلك
الصر ب الا انها جعل لها بعض الامتياز .

ثم شرع السلطان في اخمد ثورة الوهاية . وأتم ذلك بامر
محمد علي والي مصر على ما رأيناه . واستأصل الخليفة ايضاً طائفة
الدره بكار وكانوا أقوياء ممتنعين ذوي اقطاعات ثم بدأت الثورة
اليونانية فشغلت الدولة زماناً وفي اثنائها عادت روسيا فمدلت مع
الدولة معاهدة بكرش بما يجعل للافلاق والبغدان اميرين اهليين الى
سبع سنين ويمنح الروس حرية الملاحة في البحر الاسود وسمي
هذا التعديل بمعاهدة اقرمان (١٨٢٦)

هو الذي وقع على معاهدة ياش كما ذكرنا في عهده دخل نابليون الديار المصرية ثم اخرجت جنوده منه وتولاها محمد علي باشا وجرت له حرب مع الروس والانكليز بسبب مخالفته لفرنسا فدخل الاسطول البريطاني بوغاز الدردنيل فامتنع عليه فخرج محطماً وذهب الى الاسكندرية فضربها وفتحها من فيه من الجنود ونفذوا الى رشيد فكسروهم فيها علي بك الشهير ثم حاصروهم محمد علي في الاسكندرية وأجلاهم عنها بعد عدة شروط بينهم وبينه. وجاء الاسطول الروسي بعد الاسطول الانكليزي فرسا على فم بوغاز القسطنطينية ليمنع ارسال المدد الى مصر التي ذهب الانكليز اليها لاحتلالها فصادمه الاسطول العثماني وأحدث به من التلف ما اضطره الى الجلاء ودامت بعد ذلك الوقائع براً وبحراً بين الروس والعثمانيين سجالاتاً. وكان السلطان في خلال ذلك يعد جيشاً على الطرز الغربي الجديد ليدمر اوجاق الانكشارية فهاجوا وخلعوه وكانوا يمتنون من أجل ما شرع فيه من الاصلاحات التي كانوا ينكرونها على كل السلاطين لتخوفهم منها على أنفسهم ورجبتهم في بقاء السلطنة على ضعفها وانحلالها ليستفيدوا أبداً من عيشهم بها.

﴿ فصل ﴾

*(في السلطان مصطفى الرابع (١٨٠٧ - ١٨٠٨)) *

لم ينول الخلافة الا سنة وقد تم في خلالها الصالح بين الدولة

النمسا في ايطاليا ولكن وحدة هذه البلاد كان لا بد ان تتبعها وحدة المانيا وهذا ما حاول امبراطور النمسا أن يضل اليه اذ دعا الامراء الجرمانين الى وضع تاج الامبراطورية الالمانية على رأسه غير ان فرنسا هالها ما تأول اليه النمسا من ضخامة الملك فيما اذا انضمت المانيا اليها فأنحازت الى بروسيا وتركها تنزع من الانمرك احدى مقاطعاتها (حرب سلسويك) ثم تسحق جيوش النمسا في سادوا وتضم نصف المانيا اليها . وقد غلظت بذلك غلظة منكرة فلها بعد هذه الحادثة باربع سنين لقيت من بروسيا تجرشاً بها فاخذت تحاربها وهي على غير أهبة فسحقها جيوش عدوتها وكان عدد البروسيين يزيد ضعفين او ثلاثة اضعاف عن عدد جنودها

والخلاصة ان تاريخ اوربا من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٧٠ ينحصر في هذه الامور وهي انحطاط السلطنة العثمانية وهبوط النفوذ الروسي والنمساوي وانحطاط فرنسا على اثر حرب بروسيا ونشأة دولة ايطاليا

❖ الباب التاسع والثمانون ❖

﴿ في بقية تاريخ الدولة العلية والولايات التي سلخت عنها ﴾
« من سنة ١٧٩٢ الى سنة ١٨٩٦ »

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ — ١٨٠٨) ﴾

ففي شهر مارس ثار أهل ويانه وبرلين والمانيا والبندقية وميلانو
وسلسويك وهولستين وعقبت الثورة في بافاريا استقالة ملكها وفي
بارمه اعتزال دوقها

وفي ابريل ثارت مودينا وصقليا وغرندوقية باد . وفي مايو
ثارت بوزن ورومه ونابولي والمجر . وحدثت حركة جديدة في
ويانه فلجأ امبراطورها الى انسبروك . وفي يونيو ثارت
بوهيميا وبخارست

أما بلجكا والبرتغال وأسوج والدانمرك وهولنده وسويسرا
وانكلترا فلم يحدث فيها ما يذكر وكان الاصلاح يجري في
اكثرها على مهل

غير أن امبراطور النمسا لم يلبث ان استعان بالقيصر فأنجده
بجيش دخل قسم منه بخارست ونفذ الآخر الى قلب المجر . فتخوف
الشعب في النمسا والمانيا وبروسيا وعاد الامبراطور الى سريره
والامراء الجرمانيون الى أرائنكهم واشتد ازرق بروسيا . وظن
القيصر أنه بعد هذه الخدمة التي اصطنع بها جاره يجوز له قاب ظهر
المجن لتركيا وطردها الى آسيا والاستيلاء على مكانها في اوربا الا أن
الجنود الفرنسيين والانكليز ثم قسما من الياميتين حالوا بحرب القريم
دون تحقيق أمنيته .

وكان هذا الفوز انتقاماً لفرنسا من روسيا ثم انها انتصت من

﴿ فصل ﴾

﴿ في الامبراطورية الثانية (١٨٥٢ — ١٨٧٠) ﴾

ولقب البرنس لويس بالامبراطور نابليون الثالث فزاد معالم الاحسان والاغاثة الى ضعفها ونشط الصناعة ووسع نطاق التجارة بالمعاهدات التي أبرمها مع الدول سنة ١٨٦٠ وملاً فرنسا بالخطوط الحديدية وأتمى المعارف وبالغ في ترقيتها ولكن الحروب التي حدثت في عهده كدرت الصفاء السائد وثبتت خطى النجاح فمنها حرب القريم ادارها لقطع طريق الاستانة على روسيا (١٨٥٤) واشتركت فيها انكلترا. ومنها حرب ايطاليا فتحها لصد غارة النمساويين على وادي البو (١٨٥٩) ومنها حملات سوريا والصين وكوشنشين ومكسيك وفي الختام حرب السبعين الهائلة التي خسرت فيها فرنسا مقاطعتين و ١٤ مليارا وتحملت في نهايتها ثورة جديدة على ماسياتي بيان ذلك كله

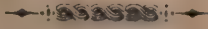
﴿ الباب الثامن والثمانون ﴾

﴿ في اوربا من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٧٠ ﴾

ان الثورة التي قلبت حكومة فرنسا لم تلبث ان احدثت ثورات مثاها في نصف القارة الاوربية ولكن الثائرين تمادوا في غيهم فوقعوا على عكس ما أرادوا

وخرجت الجمهورية مستضعفة من هذه المعركة فأسرعت في
 وضع اساسات دستورها وهي توحيد السلطة الانفاذية والقاعزسامها
 في يد رئيس منتخب . وكان المرشحان لهذا المنصب السامي القائد
 كافينياك والبرنس لويس نابليون بونابرت ابن اخي الامبراطور
 فاتخب ثانيهما (١٠ ديسمبر) بأغلبية عظيمة وكان ذلك بمثابة احتجاج
 من الشعب على الجمهورية اذ كان الفلاحون غير راضين عنها لما
 زادته عليهم من الضريبة وكان ارباب الثروة والصنائع مستائين منها
 لما جرى في عهدها من الفتنة الاشتراكية ثم لم يلبث النزاع ان وقع
 بين السلطتين الانفاذية والتشريعية وفي سنة ١٨٥١ طاب الرئيس
 الغاء قانون كان يقضي بمحو ثلاثة ملايين اسم من دفتر المنتخبين
 (٤ نوفمبر) فابي النواب ذلك عليه كما ابوا عليه حق استدعاء الجنود
 مباشرة للدفاع عن نفسه بصفته نائباً عن الامة وكانوا بذلك ينوون
 له السؤ غير انه كان مستظهماً بالجيش واكثرية الشعب فاعم ان
 فض الجمعية وعرض على الامة دستوراً جديداً وافقت عليه بالاغلبية
 وكان من مقترحاته فيه ان تجعل له الرئاسة الى عشر سنين . ولم
 يكن هذا الطاب الا تطرفاً الى اعظم منه ففي ٢ ديسمبر من سنة ١٨٥٢
 نودي به امبراطوراً ووافق على ذلك الشعب باغلبية تربو على خمسة
 ملايين صوت

به أحد في فراره. ثم ذهب الثائرون الى مجلس النواب واقاموا فيه
حكومة مؤقتة



❖ الباب السابع والثمانون ❖

❖ في اهم الحوادث التي جرت في فرنسا من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٧٠ ❖

❖ فصل ❖

❖ في الجمهورية الفرنسية الثانية (٢٤ فبراير ١٨٤٨ — ٢ ديسمبر ١٨٥١) ❖

في ٢٤ فبراير من السنة التالية (١٨٤٨) نادى الحكومة
الموقته بالجمهورية ورضيت سائر فرنسا بما قرره باريس كعادتها .
ولكن التجارة والصناعة كانتا في وقوف وكساد والمالية في انحطاط
فاضطرت الحكومة ان تزيد على الضرائب أربعة رسوم غير مقررة
وكان الوف من الفعلة لا قوت لهم ولا عمل فابتنت معامل وطنية
لتعولهم بها غير أن تلك الجماهير التي عبثت باحلامها دسائس
الاشتراكيين لم تلبث ان تساحت وأحدثت فتنة جسيمة في باريس
طالت أربعة أيام بين حزب الحكومة وجنودها وثار الاشتراكيين
الذين كانوا يبلغون مئة الف . وقد قتل فيها ٥٠٠٠ من الفريقين بينهم
٧ قواد ونائبان وكان بين الجرخی أربعة قواد وثلاثة نواب . وبلغ
عدد الذين قبض عليهم في أثناء القتال وفيما بعده ١٢٠٠٠ نفس نفوا
الى افريقيا ، (يونيو ١٨٤٨)

الحكومة كعادتها اقام المعارضون سبعمين مأدبة للاحتجاج عليها ثم حدث عند افتتاح الجلسة الاولى بعد عطلة مجلس النواب ان كيزو استصدر من الملك تصريحاً في خطابه الافتتاحي بان مئة من النواب أعداء للعرش (٢٨ ديسمبر ١٨٤٧) فقلت ذلك مناقشات عنيفة مهيبة استمرت ستة أسابيع . وفي ١٨ فبراير استعد المعارضون للاحتجاج بمأدبة أخيرة يقيمونها في القسم الثاني عشر من باريس ورأى حزب الجمهوريين ان الفرصة موافقة لهم فاستعدوا لانتهازها . وفي ٢٠ أغسطس اودع اوديليون في مكتب مجلس النواب شكاية من الوزراء فاستاءوا ومنعوا الاجتماع للمأدبة الانذارية . غير ان هذه الوزارة سقطت في مساء ٢٢ فبراير وخلقتها وزارة برئاسة تيرس فجاز المعارضون بامنيتهم ولكنهم لم يستطيعوا صد التيار الذي دفعوا الرأي العام فيه وحدث في المساء ان رجلاً مجهولاً أطلق عياراً نارياً على مخفر قصر الخارجية فاجابت العساكر باطلاق النار على المارة فقتلت خمسين منهم فحمل الآخرون جثثهم وطافوا بها في المدينة وهم ينادون « لقد قتلوا اخوتنا . الانتقام الانتقام » فتسلح الجميع ودارت رحى القتال والمنازعات فأخذ القائد بوجود يستعد للدفاع غير انه وصله في ليلة ٢٤ أمر من وزيره بان يرتد بعساكره الى قصر التويلري فلم يطع هذا الامر واستقال . وفي ظهر ذلك اليوم استقال أيضاً الملك لويس فيليب وخرج من قصره محمياً ببعض شرادم من الجنود ولم يلحق

الاسبانية وبعث رئيسها مونروي بخطاب الى مجلس الشيوخ ذكر فيه « ان حكومته تعتبر تداخل أية دولة اوروبية لاعادة النظام الاستعماري الى بقعة من بقاع امريكا بمثابة عداء توجهه الى الولايات المتحدة نفسها » وعلى هذه الخطة جرت سياسة هذه الجمهورية بعد ذلك بان لا تتداخل في شؤون العالم القديم ولا تأذن له جهدها بالتداخل في شؤون العالم الجديد وقد أيدتها في مسأله فنزويلا التي اختلفت عليها مع انكثرا مندبضع سنين

وفي الجملة فان نجاح هذه الجمهورية العظيمة تحت راية الحرية السياسية التامة قد احدث في اوروبا تأثيرا جليلا على الافكار وكان مؤيدا لمذهب أعداء الاستبداد ومرغباً في مبادئ الاحرار .



الباب السادس والثمانون

(في ثورة ١٨٤٨)

بعد انتصار الاحرار في سويسرا والحزب الدستوري في بروسيا ووقوع الفتن في المانيا والنمسا طلبا للحرية وثورا ايطاليا على رجاء طرد الاجانب والفوز بالاستقلال اشتدت عزائم المعارضين في فرنسا فاتحد تييرس واوديايوز كما اتحد حزباها على اخراج الوزارة أو تمنح الفرنسيين الاصلاحات التي كانوا يطالبونها لهم . فلما ثبت ذلك

الباب الخامس والثمانون

في امريكا من ١٨١٥ الى ١٨٤٨

لم نذكر شيئاً عن العالم الجديد في المدة التي انقضت بين سنتي ١٨١٥ و ١٨٤٨ اذ لم يحدث فيه أمر ذوبال . فان امريكا الاسبانية كانت في اضطراب داخلي انتجته حيلولة الاستبداد دون تهيو أهلها للاستنارة من الحرية . وامريكا البرتغالية كانت تتقدم على مهل في ظل دستورها وكندا تتجج بما اطلق لها من الحرية والولايات المتحدة تخطو في سبل الحضارة خطوات الجبارة وتباري أعظم الدول بتجارها ومصنوعاتها دون الادبيات والفنون الجميلة التي هي من لوازم النعمة القديمة للمستحدثة ولم يحدث منازعات في داخلها تثبط رقيها كما لم تقم لها في الخارج مشكلة مع دولة اوربية سوى ما سبق لنا الاماع اليه من محاربتها لانكلترا (١٨١٢ - ١٨١٥) وذلك لان هذه الدولة كانت في عهد نابليون لا تكاد عمارتها تجد سفينة في بحر الافتشتها أو اسرتها واتفق انها اعتدت على بعض مراكب الولايات المتحدة فاستاءت حكومتها وشهرت الحرب على انكلترا وانيت جنودها واسطولها بجرا وبرا فكسرتهم وكسروها ثم بقي الفوز للامريكيين

وفي سنة ١٨٢١ اعترفت الولايات المتحدة باستقلال المستعمرات

بارمه ومودينا (دسمبر) فعند ذلك شبت النار في جميع ايطاليا .
وكان الايطاليون قبل ذلك بثلاثة أشهر قد ثاروا في راجيو ومسينا
(ستمبر) ثم في نابولي فعوقبوا ولكنهم استمروا ناهضين فامتدت
حركتهم الى بارمه في ١٢ يناير ١٨٤٨ . وفي ١٦ منه انتشرت في
جميع الجزيرة . وفي ١٨ منه زحف عشرة آلاف من الثائرين على نابولي
يطلبون دستورا فمنحهم فردينند الثاني ما طلبوه ولكن على شكل
الدستور الفرنسي الصادر في سنة ١٨٣٠ وبعد ذلك باربعة أيام نشر
مثل هذا الدستور في فلورنسا وفي رابع مارس نشر في تورينو

اما البلاد التي كان النمسيون محتليها فقد مقمهم الناس فيها حتى
النساء والاطفال . وكان الشعب يثور عليهم في جميع لمبرديا البندقية
وفي ميلانو وباني وبادو والنمسيون يزدادون اشتدادا عليهم ويعملون
في رقابهم السيف بلا فائدة ولو وافقوهم على الاصلاح لكانوا
هم الفائزين .

ولما تمت ثورة فبراير الجديدة في باريس قامت ثورة مثلها بعد
١٧ يوما في ويانه فطرد منها البرنس متزينخ عدو التقدم وفي ٣٠
مارس لم يبق للنمسا في ايطاليا الا بعض القلاع . ومما تقدم يرى ان
ساعة انتصار الروح الحر على روح التأخر القديم كانت قد اذفت
بعد ان استمر عراكهما بضع عشرات من السنين

ورد الى رومة نظامها البلدي ونشر لأول مرة ميزانية حكومة الكنيسة . واقتفى أثره ملك سردينيا وغرنديوق توسكانا . وفي ٥ ديسمبر ١٨٤٦ أوقدت النيران من أحد طرفي جبال الابنين الى الآخر سرورا بتذكار اليوم الذي انكسر فيه النمسيون في جنوا وأخذ الشعب ينادي النداء الروماني القديم « ليطرد البرابرة » فاسرعت وزارة الاحرار الانكليزية (١٨٤٦) وأرسلت اسطولا الى مياه صقليا وأخذ سفيرها يطوف في ايطاليا ويشجع الشعب على طلب الدستور وكان حزب المعارضين في فرنسا يستحث البابا على الثبات في خطته ولكن الحكومة اضاعت اجمل فرصة للاتفاق مع انكلترا في هذه المسألة وتسويد نفوذ فرنسا على نفوذ دول الشمال فلم تبد حرا كما بقصد استرضاء النمسا . ولما رأت هذه الدولة ما كان أرسلت مذكرة عنيفة الى البابا واحتلت مدينة فرا (أغسطس ١٨٤٨) فاحتج الفاتيكان بشدة على ذلك الاحتلال وعزم البابا على الاستمرار في سيره الى الامام . وتبعته ايطاليا . فان ليوبولد الثاني وكارلوس البيرت ملك سردينيا أجريا اصلاحات كثيرة في بلادها ثم وقع وزراؤهما ووزراء البابا على مخالفة حجتها الظاهرة توسيع نطاق الصناعة وزيادة رفاهية الشعوب الايطالية وباطنها اجلاء النمسيين (٣ نوفمبر) ثم دعي دوق مودينا وملك الصقليتين للاشتراك في هذه المخالفة فعدت ذلك النمسا انذاراً لها واحلت جنودها في

الملك ووضعت الدستور النظامي في برلين وانفردت روسيا والنمسا بالاستعصاء على الروح الجديد ومحاربه بكل مافي طاقتهم

﴿ فصل ﴾

﴿ في نهضة اقوام بطلب الحرية في النمسا وايطاليا ﴾

ما عم الانقلاب الذي حصل في بروسيا والفشل الذي اصاب البرنس دي مترنيخ من حيث فاز الاحرار على خصومهم في سويسرا ان شدا أزر النازعين الي الحرية في النمسا فأخذ أهل ستيريا والمجر وبوهيميا يطلبون الاصلاح الدستوري ولكن البرنس مترنيخ غاقبهم بتعويله على الحزب الألماني المعادي لهم وبنزعه من بوهيميا حق الاقتراع على الضرائب

اما في ايطاليا فقد حدثت ثورتان صغيرتان في كالا برياء ١٨٤٤ وفي ريميني (١٨٤٥) فاحدثا ثم انتشرت حرب الاقلام في طلب الاصلاح من حكومة الكنيسة وسائر الحكومات المحلية ولما جلس بيوس التاسع على سرير البابوية سنة ١٨٤٦ نظرت اليه ايطاليا نظر المنقذ فكان عند حسن ظنها به اذ انه شرع من فوره بالتفريج من كربة الناس فاستغنى عن حرسه السويسري وفتح السجون واستعاد المنفيين واشرك الكهنة في تأدية الضرائب وأصلح القوانين المدنية والعقوبية وأسس جمعية أعيان استشارية ومجلسا لادارة الحكومة

فيها كما كان يحدث في جوارها لان حكومتها كانت تقدم النظر في حاجات الشعب فتتقيها له قبل أن يحمل السلاح ليطالب بها ومن هذا القبيل وضعها ضريبة الايراد في سنة ١٨٤١ لتعفي الغلال والاحم والجمعة وسائر الحاجيات من رسوم المكس والجمرك ثم اعلانها حرية الاتجار في سنة ١٨٤٦ لتزيد رفاهة الشعب وتوسع عليه ابواب المكاسب

﴿ فصل ﴾

﴿ في النظام الدستوري في بروسيا (١٨٤٧) ﴾

ان الجرائد كانت تنشر الافكار الحرة في كل مكان وتستشير الخواطر وحدث في سنة ١٨٤٥ ان ولايات سيلازيا وغرن دوقية بوزن وبروسيا الملكية طالبت بحرية الصحف ونشر المناقشات بانواعها وتمديد قانون العقوبات على مبادئ القضاء الفرنسي فرفض الملك كل هذه الاقتراحات وكان يقول لا يفصلني شيء عن مباشرة امور شعبي غير انه اضطر بعد ذلك بسنتين ان يعدل عن هذه الخطة وعقد جمعية عامة دعا اليها مندوبين من جميع بلاده على سبيل الاستشارة فقررت ان يكون لها حق مراجعة الحسابات السنوية المتعلقة بالدين العام وحق التناقش في جميع القوانين العامة ومنها قوانين الضرائب وانه لا يجوز الجمعية او لجنة اخرى ولو كانت منتخبة من بين أعضائها ان تقوم مقامها في اعمالها وبذلك قيدت

كان السير روبرت بيل رئيس الوزارة الانكليزية المحافظة ولم
 يستطع تثبيت قدمها في مركزها (١٨٤١ - ١٨٤٦) الا بجعل سياستها
 الداخلية أنزع الى الاصلاح من سياسة خصومه الاحرار فكان
 يقاتلهم بنفس سلاحهم . وأعظم أعماله المشكورة أنه ألغى القوانين
 التي كانت تحظر دخول الغلال وتوجب غلاءها في انكلترا وكذلك
 القوانين التي كانت تزيد العوائد على الواردات الاجنبية وتعوق
 حرية الاتجار بها واعاد الضريبة على الايراد فكانت تستورد منها
 الخزينة نحو مئة مليون ونقض شرط الملاحه الواضع له كرومويل
 لانقطاع فائدته في تلك الايام . ثم توج ماآثره بالعدول عن الخطة
 الاستعمارية التي كانت اوربا كلها تجري عليها وكانت سبب انتقاص
 امريكا الشمالية على انكلترا وامريكا الجنوبية على اسبانيا والبرتغال
 وكندا ولوزانا على فرنسا فنع السيادة المطلقة لبريطانيا العظمى على
 أملاكها الخارجية وأعطى كل مستعمرة حرية ادارة شؤونها على يد
 مجلس شوروي تنتخبه وحاكم مراقب منفذ من قبل الحكومة
 الانكليزية . الا انه استثنى الهند والمراكز الحربية كجبل طارق
 ومالطه وماشا كلها . ولم تلبث انكلترا ان جنت ثمرة هذه
 الاصلاحات فان تجارتها تضاعفت من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٤٩
 وايراداتها زادت بما ينيف على ٥٠ مليون جنيه في حين ان سائر الدول كانت
 تجد العجز في ميزانياتها . وانما نجت بريطانيا العظمى من توالي الثورات

يقطنها الكاثوليك كانت قد أبت الدخول في الاصلاح غير أن
الاحرار حاربوا أهلها تسعة أيام ثم فازوا عليهم وطردهوا الجزويت
محركيهم (نوفمبر ١٨٤٧)

ذلك ما كانت عليه حال فرنسا في الخارج ولكنها في الداخل
كانت أفضل كثيراً فان الصناعة والتجارة كانتا في اتساع والنروة
في ازدياد . وكانت السكك الحديدية تمتد والطرق تصلح والمواني
تنار وقانون العقوبات يلطف وكانت الوزارة اذا سئمت عن خطأ
ركبته في الخارج اجابت بوصف ما تم في عهدها من التقدم الداخلي
وفي سنة ١٨٤٦ بلغ احتيال الحكومة في الانتخابات العامة مبلغاً دال
على الفساد الذي تطرق الى اكثر المنتخبين من حيث كانوا يبيعون
اقتراعهم للنواب وهوؤلاء يبيعونه للوزراء فنتج من ذلك أن
المنتخبين كانوا كأنهم يرسلون الى دار الندوة جيشاً من خدمة
الحكومة لانوابا عن الامة واستمرت الوزارة على شكها السابق
تدير الامور مع أنها كانت مرذولة ممقوتة . واعتد رجالها بقوة
اكثرتهم فقل اعتدادهم بالمعارضين وكانوا لا يجيبونهم الى
طلب يذكر

﴿ فصل ﴾

﴿ في انكسار وفي حرية المناجرة والضرية على الايراد والنظام الاستعماري ﴾

الجديد (١٨٤١ - ١٨٤٩)

عليها تاييتي ثم هي التي دفعت مراکش الى محاربتها مع عبد القادر
وعليه فوالالة فرنسا لهذه الدولة كانت لا تفيدها شيئاً وانما كان
يؤيدها الحكام بدعوى أنها تؤيد السلام

ومع ذلك فقد حدثت حادثة غيرت وجهة السياسة الفرنسية
فان الوزارة تعجلت في تزويج الدوق دي موبانسيه بشقيقة ملكة
اسبانيا (اكتوبر ١٨٤٦) وكانت انكثرا تريد ان تزوج بها البرنس
دي كوبور على أمل أن يقع له التاج يوما فيعظم نفوذها في تلك
المملكة فلما رأت أن فرنسا سبقتها الى ذلك تباعدت عنها فخافت
هذه شر العزلة وتقربت من النمسا وضحت في سبيل ذلك نفوذها
في سويسرا وايطاليا وصبرت على اقتراض النمسا لولاية كراكونيا
وكانت آخر قطعة سلمت من بولونيا

أما في ايطاليا فان النمسيين احتلوا نزار على ضفة البو فاحتج
البابا ولكن فرنسا خذلته (١٨٤٧) وحدث أيضاً ان الحامية الالمانية
سفكت دماء كثيرين في ميلانو (فبراير ١٨٤٨) فلم تنجدهم فرنسا باكثر
من الاستعطاق على المنكوبين

وأما في سويسرا فان حزب الاحرار أراد أن يزيد قوة الحكومة
العامية المركزية وكان ذلك في مصلحة فرنسا لانها كانت تزيد امانا
على تخمها المجاور هذه الجمهورية بقدر ما تقوى حكومتها وتوحد
السلطة فيها غير أن كيزو جهل مصلحة بلاده وانصر لسبع عمالات

الرجل الى لندره واستصرخ فسمعه النواب وطلبوا من فرنسا
تعويضاً فاقترحت الوزارة اجابة هذا الطلب على مجلس نواب فرنسا
فتعاضم الكدر من أعمال الحكومة ثم حمل حزب المعارضين عليها
حملة اضطرها بها أن تمزق المعاهدة التي منحت بها لانكترافي سنة
١٨٤١ حق المراقبة على السفن الفرنسية لمنع النخاسة وكان ذلك
في مايو سنة ١٨٤٥ . وكان مجلس النواب قد رأى ضرورة اتمام فتح
الجزائر فاخترت الحكومة لذلك القائد الباسل بوجود فوجد أن
عبد القادر استنفر اكثر أهل البلاد للجهاد وأوصل رعبه الى نفس
ولاية اوران فلحق به واستمرت تعقبه الى جبال اورانسيس . وبينما
الامير يفر نحو الصحراء أدركه الدوق دومال وقبض عليه وأسر
أهله ولكن الامير نجا بنفسه ولجأ الى مراکش (١٨٤٣) فانجده
سلطانها بجيش كبير فارسلت فرنسا البرنس جوانفيل فاطلق المدافع
على طنجة وموجادور ثم عقد صلحاً مع السلطان .

وكان بوجود قد انتصر بثمانية آلاف وخمسمئة مقاتل بين
رجالته وخيالة على ٢٥٠٠٠ خيال لعبد القادر في ايسلي (١٤ اغسطس
١٨٤٤) فعاد الاير الى مراکش وأخذ يؤلف فيها حزباً له فتخوف
منه السلطان واضطره الى الخروج من أرضه فلما وصل الى المراكز
الفرنسوية الامامية سلم نفسه للقائد لامورسيار (٢٣ نوفمبر ١٨٤٧)
وكانت انكترافي في كل مكان بحري تعاند فرنسا وهي التي اثارت

على أن الافكار الحرة كان يزداد تقدمها في هذه المهينة التي
ساد فيها السلام على اوربا وكانت كل امة تفكر اما في الحرية أو في
الاستقلال ولذلك كانت بوهيميا تزداد مقتاً للروس ورغبة في
الانفصال عنهم وكذلك كان شأن ايطاليا مع النمسا . وكانت المانيا تنتمى
وحدتها وتطلبها وبوهيميا والمجر تنزعان الى الاستقلال الاداري
وبعض حكومات ايطاليا الى مثل ذلك أو الى توسيع نطاق حريتها
وبعض جهات بروسيا الى طلب نظمات حرة عادلة

﴿ فصل ﴾

﴿ في فرنسا من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٤٦ ﴾

لم يحدث في فرنسا شيء يذكر في هذه المدة سوى ان خطباءها
كانوا يتبارون بالفصاحة وحامي زمام سياستها لم يقدموا على أمر
ذي بال . بل كل ما فعلوه أنهم ارسلوا جنوداً يحتلون جزائر صركيزة
الصخرية في المحيط الباسيفيكي (مايو ١٨٤٢) وانكروا ضابطاً
فرنسياً رفع الراية على جزيرة كاليدونيا الجديدة مع كثرة فوائدها
وعظم أهميتها وأبو أن يمنحوا حمايتهم لحكومات هوندوراس
ونيكاراكا وهايتي واستفتحوا جزيرة مايوت (١٨٤٣) بقرب
مدغسكر . وحدث ان انكليزيا طرده الفرنسيون من تاي تي
(١٨٤٤) لانه أثار الاهالي عليهم فذبحوا كثيرين منهم فذهب

o- الباب الرابع والثمانون -o-

﴿ في مبادئ ثورات ١٨٤٨ ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ فيما جرى بين سنة ١٨٤٠ وسنة ١٨٤٨ وفي تقدم الافكار الاشتراكية ﴾
 بعد ان عقدت معاهدة البواغيز عمت السكينة والسلام في
 اوربا وكان المحافظون قد عادوا الى ادارة الحكومة الانكليزية
 (١٨٤١) والقيصر ينظم روسيا على شكل ثكنة يعد فيها الجيوش
 الكثيرة لارهاب اوربا واسيا و مترنيخ يحكم النمسا «بانعطف والدي»
 واسبانيا تجري على الدستور الذي عدله نارفايس وجعله أميل الى
 الملكية من الذي سبقه وفرنسا يتولى رئاسة وزراءها كيزو وقد استقر في
 منصبه من سنة ١٨٤٠ الى ١٨٤٨ على خلاف ما اعتيد من كثرة تبديل
 الوزارات الفرنسية . وفي هذه المدة اتسعت المكاسب ونمت الثروة
 وفتحت المعامل الكبيرة وتزاحم اربابها فكثرت المال عند فريق الوسط
 من الناس وقل عند الفعلة اذ كان يطالب منهم اكثر ما يستطيعون
 من العمل باقل ما يكون من الاجرة وعندها نفذت بينهم الافكار
 الاشتراكية التي كان الناس يضحكون منها في بادئ امرها ولم
 تلبث بعد ذلك ان نشأت عنها ثورات ومظاهرات مخيفة في باريس
 واندريه وباجكا وسليزيا وبوهيميا وسواها من المدن والبلدان

تجارية من مقتضياتها استرداد الاوامر التي صدرت في سنة ١٨٢٨
 ضد الكهنة الكاثوليك واعادة الكنائس التي صودرت لاربابها
 والاذن للمرسلين بنشر تعاليم الانجيل . وفي سنة ١٨٥٦ قتل بعض
 المرسلين فساء ذلك فرنسا كما ساء انكثرا نقض الصين مراراً
 مكررة لمعاهدتها المعقودة معها فانفتحت الدولتان على محاربتها وبعد
 انتصارهما في باليكاوه دخلتا بكين (١٨٦٠) . وكان الامريكيون قبيل
 ذلك بسنين قلائل قد دخلوا اليابان عنوة بدعوى أنه لا يجوز اقفال
 المواني التي وضعها الطبيعة في ذلك المكان لحماية السفن من أخطار
 بحر كثير العواصف (١٨٥٤) وفي سنة ١٨٥٨ انتهز الروس فرصة
 الرعب الذي وقع في قلب الصين وسلبوها بلاد منشوريا الواسعة
 (١٨٦٠) وبذلك أصبحت لهم السيادة على بحر أو كوتسك وبحر
 اليابان . أما انكثرا فكانت لها صخرة هون كون نظير مستقر
 لسفنها في تلك المياه وكانت لها الهند المجاورة وأما فرنسا فتأخذت
 في كوشنشين مستعمرة زاهرة . ومما يخلق بالذكر أن اليابان بعد
 مخالطها الارغامية للاجانب دخات التمدن من بابها وسارت فيه
 شوطاً بعيداً دل عليه انتصارها الباهر على الصين منذ بضع سنين
 وعلى الروس في السنة الماضية أعظم دلالة



أذنت انكلترا بزراعته في جميع بلاد بنغال حين علمت ميل الصينيين الى تعاطيه ثم كانت تدخله تهريباً الى الصين لان الحكومة السماوية كانت محرمة على شعبها - وتستورد منه ستين مليوناً في السنة دخلاً لبلاد بنغال . وفي سنة ١٨٣٩ قبض موظف صيني على ٢٢٠٠٠ صندوق من الافيون وأساء معاملتها أصحابها من الانكليز فارسلت انكلترا بدعوى اهانة بعض رعاياها حملة الى مياه الصين واحتلت جزيرة شوزان وهدمت قلاع بوغ على مدخل نهر كانتون وعرضت شروط الصلح فلم يوافق عليها الامبراطور فارسل الانكليز حملتين متتبعتين في البر على الصينيين فوصلوا الى نانكين وعقدوا هناك صلحاً (أغسطس ١٨٤٢) يقضي بفتح خمسة موانئ صينية للتجارة الاجنبية ويترك هون كون لانكلترا وبدفع غرامة تبلغ ١٢٠ مليوناً واتفقت الحكومتان رسمياً على أن تجارة الافيون محظورة غير ان انكلترا وسعت نطاق التهريب وجعلت تستورد من الافيون مئة مليون فرنك سنوياً

﴿ فصل ﴾

﴿ في معاهدة فرنسا مع الصين (١٨٤٤) والاستيلاء على بكين (١٨٦٠) وفتح اليابان للتجارة الاجنبية (١٨٥٤) واخذ الروس لمنشوريا (١٨٦٠) ﴾
 في سنة ١٨٤٤ أرسلت فرنسا سفارة الى بكين عقدت معاهدة

مخالطة سائر الأمم أصبح اليوم ملتقى سفائن الدول المختلفة و صار له من
 الشأن التجاري الكبير ما كان للبحر المتوسط في العهد القديم وتأتيه
 البواخر الآن بالاستمرار من نيويورك و صربيا و ساوثتون
 و تريستا قاصدة كانتون و يوكوهاما و سان فرانسيسكو وغيرها

« فصل »

﴿ في عزلة الصين واليابان ﴾

أول من طرق الصين البرتغاليون ثم المرسلون الكاثوليك
 (١٥٨١) ارادة أن يهدوا أهلها ثم الهولنديون ثم انكلترا ثم فرنسا
 وقبل الجزويت في بكين بصفة علماء وكذلك قبلت رسالة دينية روسية
 كانت تخفي مقاصدها تحت برقع الدين . ولم يؤذن للاجانب باديء
 بدء الا أن يقيموا بعض المتاجر خارج أسوار كانتون . وأرسلت
 عدة سفارات رسمية روسية وانكليزية لمقابلة امبراطور الصين
 وعقد معاهدات تجارية معه فلم تفلح . وكانت اليابان أشد اعتزالا
 فانها اذنت للهولنديين وحدهم ان يدخلوا ميناء نا كازاكي على شرط
 ان يلزموا جزيرة صغيرة منعزلة في الميناء .

« فصل »

« في حرب الافيون (١٨٤٠ - ١٨٤٣) »

أن الافيون من السمم المهلكة للجسم الانساني ومع ذلك فقد

حاولت ان تجعل افغانستان تحت ساطتها فلم تفلح ولكنها كانت
تتقدم نحو صحراء بامير المرتفعة وهي ملتقى اعظم سلاسل الجبال
الاسيوية التي تنتهي اليها ومهد الجبل الابيض الاوربي

على ان روسيا لم تلبث ان ادخلت جنودها الى خيوا وانكلترا
لم تلبث ان احتلت هرات لصدغارات الاعجم عنها بحيث اصبحت
كلتا العدوتين تتناظران عن كذب . اما انكلترا فلزمت مكانها وراء
جبال بولور وهندوكو واما روسيا فاستمرت تتقدم بدون انقطاع
وهي من سنة ١٨٦٤ الى سنة ١٨٦٩ قد احتلت اكبر مدائن تركستان
الشرقية وسمرقند وكولджа عاصمة زنفاريا التي تحمي ممر الجبال
الصينية (تيان شان) وقد اصبحت جميع امراء هذه البلاد اتباعاً للقيصر
وتقدروا حالون الروسيون حتى الى تركستان الصينية (١٨٧٠) ولا
بد ان تلتقي الدولتان المذكورتان يوماً في تلك الجهات فاما ان تصطدما
فتهزان الارض هزاً ويوم الدمار والبوار زمانا قد يكون طويلا
وأما ان تتجملا وتعاونوا على السلم فتنتفتح للمناجر والمكاسب ابواب
واسعة وتخرج منها خيرات عظيمة عميمة

« فصل »

« في المسألة الشرقية الثالثة وفي مسألة المحيط الباسيفيكي »

هذا المحيط بعد ان كان مهجوراً لا متنازع الصين واليابان عن

(١٨٣٣ و ١٨٣٧ و ١٨٣٨) فارتدت جيوشها عنها و كان الفشل الثالث ناشئاً عن مساعدة الانكليز للامير الافغاني صاحب هرات و عن تهديد الاسطول الانكليزي للملايات الايرانية الجنوبية في خليج العجم . فرأى القيصر بعد جبوط مساعيه ان يرسل احد جيوشه لفتح خيوا القائمة على الطريق الثانية الى الهند من ام داريا و بخارى غير ان الصحراء القاحلة التي تفصل هذه المدينة عن بحر قزوين اهلكت الجيش كله . و قبل ان يظهر عدم نجاح هذه الحملة عزم الانكليز على التقدم لملاقاة الروس فان لم يتسن ذلك لهم فعلى احتلال الجبال العالية الافغانية فيما وراء السند ليجمعوها حاجزاً لا يجاز الى الهند و في بدء سنة ١٨٣٩ اجتاز جيش بنغال نهر بولان و فتح كندهار و قلعة كيزني و كابول و اعاد الى هذه المدينة ما سكنها شاه سودجاه الذي كان مطروداً منها منذ ٣٠ سنة . غير ان قبائل هذه البلاد التي اضعفتها في اول الامر مباغته الانكليز لم تلبث ان ثارت ثورة عامة و حصرت الانكليز و كانوا ١٥٠٠٠ فقتلهم و لم يسلم منهم الا واحد اجتاز السند راجعاً (١٨٤٢) فارسات الشركة جيشاً آخر دخل تلك البلاد و نكل باهلها و دمر و احرق و رجع على اعقابه و في سنة ١٨٤٣ اخضعت الشركة امراء السند و بلو خستان . و تملك مصاب النهر المذكور و بعد ذلك بست سنين ضمت البنجاب الى سائر املاكها ثم وادي كشمير الذي كان احد ابواب الهند . ثم

« فصل »

« في وقوع النزاع مباشرة بين الانكايز والروس في اسيا الوسطى »

منذ عقدت معاهدة تورمانتشي (١٨٢٨) عظمت
السطوة الروسية في طهران . ولكن الشعب ساءت شدة الشروط
التي بني عليها الصالح بين الروس وحكومته فثار وذبح السفير
الروسي وأسرته واتباعه فارسل الملك وكان فتح علي رأس سلالة
الخاجار حفيده الى روسيا يعتذر بكل تذلل عما اصاب السفير وذلك لما
ثبت لديه بعد ان جاهد في سبيل انقاذ مما يمكنه من سنة ١٧٩٧ الى سنة
١٨٢٨ من ان ايام فوز الاعمال على جارتهم الضخمة روسيا مضت ولن تعود
وان ندير شاه (١٧٤٧) صاحب المقاومة المشهورة للاتراك والروس
والمغول بجيشه الفارسي لا يخلفه احد في ايران . على ان بين ايران
والهند مدينتين عظيمتين تملكان طرق اتصال البلادين وهما هرات
وكابل . وكان بونابرت ينوي بعد فتح عكا ان يزحف عليهما فلما
فشل ارجأ انفاذ نيته وبعد موقعة تيلست كاشف القيصر بتلك النية
ليتنفق معه على اخراجها الى حيز الفعل وارسل جواسيس الى ما
بين النهرين وايران لتمهيد الطرق له فيهما . ولما تولى القيصر نقولا
عزم ان يجري على هذا التخطيط الذي ورثه عن سلفه واذا كانت ايران
في قبضة يده امدها وحملها على مهاجمة هرات ثلاث مرار

فيها اسطول حربي نحو البلدين المتقدم ذكرهما وكانوا يقيمون القلاع في الصحراء تدريجاً ليصلوا متميزين بها الى أن يتسنى لهم ادراك البقاع الحصية التي كانت تدعى باكتريانا في الزمان القديم

« فصل »

« في تقدم الانكليز في اسيا »

بينما كانت اوربا مشغلة بحروب الجمهورية الفرنسية ثم بحروب نابليون كانت انكلترا توسع نطاق استعمارها في الهند فانها اخضعت في سنة ١٨١٦ نابل الواقعة شمالي الهند ومهرات في دقهان بعد ذلك بسنتين . وكان بجانب كل أمير هندي عامل من قبل الشركة لسيطر عليه وحامية انكليزية ينفق عليها ايراد احدى عمالاته فهذه الطريقة أوجد الانكليز لهم جيشاً جراراً يملكون به دقهان ووادي الكنج ولا ينفقون عليه درهما . وفي سنتي ١٨٢٤ - ١٨٢٦ زحفوا الى ما وراء الهند الكنجية وأخذوا مئتي ميل من شواطيء بيرمانيا وضربوا الجزية على مملكة اسام وفتحوا سنجاپور وملة وجعلوا خليج بنغال بحراً انكليزياً وامتلكوا به طريقاً من اكبر الطرق التجارية الى الهند الصينية . وكان مطردهم في هذه الجهة توسيع نطاق مكاسبهم أما في الشمال الشرقي فكانوا يطمعون في الامن على ما امتلكوه

وكان الروس في هذا المركز حول القوقاف يملكون الوصول الى
 تركيا الاسيوية والضغط على ايران . أما سكان جبال القوقاف
 فاستمروا معتصمين بجبالهم ٣٥ سنة يقاتلون ويدافعون عن استقلالهم
 بقيادة زعيمهم شاميل الى أن حصر الجيش الروسي رئيسهم وأخذه
 (١٨٥٩) واخضع قبائله بعد ان هلكت عشرة جيوش قبله في محاربهه
 واطاف هذا الفتح الى السلطنة الروسية ثماني بقاع خصيبة متسعة
 واقعة جنوبي القوقاف فجمعت الى حكومة عسكرية واحدة قاعدتها
 تفليس واصبحت لروسيا مركزاً امامياً حصيناً لا يؤخذ وفضلاً عن
 ذلك فان لها عن اليمين طريقاً يتنى ارسال الجنود الروسية منها الى
 اسكدار بجوار الاستانة وعن اليسار طريقاً الى طهران عاصمة ايران
 ومن العجائب سرعة ما ضخم هذا الملك فان روسيا كانت من جهة
 مالكة البحر الاسود بمر اكبها التجارية في مينائي اودسا وتاغا نروك
 تحت حماية اسطولها الحربي الراسي في ميناء سباستول الذي كان
 حديث النشأة . ومن جهة اخرى مالكة بحر قزوين الذي قررت
 معاهدة تومانتشاي تسوية الملاحة فيه للروسيين وان لهم وخدمهم
 جواز تسيير مر اكب مساحة فيه . فهم بذلك كانوا يستطيعون اذا
 قصدوا البر العجمي بجملة عسكرية ان يقربوا من طهران وان
 قصدوا البر الشرقي ان يدانوا خيوا وتركستان . ومع ذلك فقد
 كانوا يتقدمون في صحراء كيرجس كازاك وبحيرة آرال التي كان لهم

من فصول المسئلة الشرقية لانكلترا وسيكون الفوز في الرابع لفرنسا
على ما سيأتي بيانه

﴿ فصل ﴾

﴿ في المسألة الشرقية الثانية واسيا الوسطى ﴾

في القرن السابق كانت انكلترا قد احتلت الهند وروسيا
سيبيريا وكان لا يظن أن تخوم هتين المملكتين المستعمرتين تتقارب
ذات يوم فتولد احدى المشكلات الكبرى. وهذا ما حصل بمد نصف
قرن حتى تكاد اليوم الدولتان تماسان على تلك التخوم

﴿ فصل ﴾

﴿ في تقدم الروس في اسيا ﴾

ان ملك بلاد جورجيا الواقعة على المنحدر الجنوبي للقوقاف التمس
في سنة ١٧٩٦ من القيصرة كاترينه تقويته على الايرانيين فاجابته
الى ذلك ولا نفاذ وعدها أخذت دربنت على بحر قزوين وداغستان
ومعظم تلك البلاد الى نهر كور ثم جعلت المملكة الصغيرة التي
استعانت بها تحت وصايتها ولم تلبث ان حولتها الى ولاية روسية
(١٨٠١) وبعد ذلك أخذ الروس من الترك مصاب نهر فاز (١٨٠٩)
ومن الاعجام شيروان (١٨١٣) وأرمينيا الواقعة فيما وراء نهر كور
الى نهر آراس الذي هو ينصب فيه والى جبل أراراط (١٨٢٨) .

جيشه فلما ظنه قادراً على استرداد ما سلبه ابرهيم باشا
أرسله لمحاربته فالتقى البطل المصري جنود السلطان في نزيب
ونكل بهم واستفتح طريق دار الخلافة ثانية (يونيو ١٨٣٨)
فتدخلت فرنسا وصدت ابرهيم باشا عن قصد الاستانة خوف أن
يسبقه اليها الروس وغلظت بعدم اشتراطها شيئاً يعزز مركز والي
مصر ويمنع الاعتداء عليه مرة اخرى فان انكثرتا عندما امنت
دخول الروس الى القسطنطينية رأت من مصلحتها فصل سوريا
عن مصر فانضمت الى روسيا والنمسا وبروسيا وعقدت معها معاهدة
لندره الساحلة للشام عن مصر (١٥ يوليو) بدون اشتراك فرنسا
وكانت هذه النتيجة والعزلة التي وجدت فيها فرنسا بعد تقرير المعاهدة
المتقدم ذكرها أشد عقوبة لها على خطاياها . على أنها تأثرت جدا
من العداء الذي أبدته اوربائها فسورت . باريس بالمعاقل وسلحت
مراكزها الحصينة كلها وزادت جيشها وانتظرت في وحدتها مطمئنة
الى أن تأتي الظروف الموافقة لها فتنخير حليفاتها بين الدول . كذلك
كانت سياسة تيريس ولكن الملك خاف من اخطارها فاستبدل
كبير وزرائه بكيزو (٢٩ اكتوبر ١٨٤٠) فبادر هذا الرجل ومديد
الالتماس الى الدول التي صفتت بلاده تلك الصفة المهينة . وفي
١٣ يوليو ١٨٤١ وقع على المعاهدة التي كانت تقضي باقبال
جميع البواغيز على السفن الحربية وبقي الفوز في هذا الفصل الثالث

١٨٣١ وفتحته في مايو سنة ١٨٣٢ ثم اخضع الشام كلها وكسر جيشاً
 للسلطان في عدة مواقع ثم آخرها كبر منه في موقعة قونية العظيمة
 شمالي طوروس (ديسمبر ١٨٣٢) نغمت له طريق الاستانه فزحف
 عليها فتخوف منه السلطان محمود واستنجد بروسيا فاحلت ١٥٠٠٠
 مقاتل في اسكدار وبعثت ٤٥٠٠٠ جندي آخر فاجتازوا الدانوب
 بدعوى حماية السلطان . غير ان فرنسا وانكتر احوالها دون وقوع
 المصيبة المخشية واكرهتا السلطان وتابعه على القبول باتفاق كوتايه
 (مايو ١٨٣٣) وكان يقضي بمنح سوريا لمحمد علي . اما الروس فرجعوا
 على اعقابهم ولكن بعد ان نالوا توقيع السلطان على معاهدة انكيار
 اسكلهسي (يونيو ١٨٣٣) القاضية بتحاليف السلطان والقيصر في
 حالتي الهجوم والدفاع . وقد شرط في بند سري ان يقبل بوغاز
 الدردنيل على جميع المراكب الاجنبية وانما كان ذلك عقابا لفرنسا
 وانكتر اعلى ارجاعهما العساكر الروسية من حيث أتت . وبهذه
 المعاهدة ختم الفصل الثاني من المسألة الشرقية وكان ختام الفصل
 الاول بمعاهدة ادرنه

❖ فصل ❖

❖ في معاهدة لندن (١٨٤٠) ومعاهدة البواغيز

ثم مضت ست سنين كان السلطان محمود في خلالها يعزز

والمدينة ودمشق الشام فكسرهم وكاد يفتنهم وفتح للمسلمين السنين
 طريق الحج وامنه (١٨١٨) ثم فتح السودان (دنقله وكوردفان
 وسنار) فجعل مصر بمثابة مملكة ضخمة . ولما حارب ابنه ابراهيم
 باشا اليونانيين في الموره وأخذ ميسولونجي (١٨٢٦) وكاد يخذ
 الثورة اليونانية بدون تدخل الدول أتم بفتوحاته مجد أبيه فكانت
 لمحمد علي في الشرق شهرة حامي بيضة الدين والقاهر الذي لا يقهر
 وفي الغرب سمعة البطل وكرامة رجل الاصلاح والتقدم وكان
 محبوباً كثيراً في فرنسا التي أمدته برجالها من مهندسين ومدرسين
 وعسكريين وصناع فشيدهم المعامل والمعالم والمدارس والترسانات
 ونظم الجيش وأسس البحرية .

﴿ فصل ﴾

﴿ فتح في ابراهيم باشا للشام (١٨٣٢) ومعاهدة انكياراسكاسي (١٨٣٣) ﴾
 لم يفتح مصر فاتح في زمان الاطمع في الشام . وقد وجدت
 هذه الرغبة عند محمد علي كما وجدت عند امثاله من قبله فلم يكنه
 من الدولة ان منحتة حكومة كريد بل ظن انه لا بدله من
 اصلاح الدولة كلها وسلب الشام عنها ليضمها الى قطره . فانتهر فرصة
 وقوع نفرة بينه وبين عبدالله باشا والي عكا وتمحل منها عذراً
 للشروع في الفتح فقصد ابنه ابراهيم ثغر عكا وحاصره سنة

* فصل *

*(في انحطاط تركيا وتعاضل شأن والي مصر) *

كان انحطاط هذه الدولة سريعاً بحيث لا يسهل تداركه . فانها فقدت القريم ومصاب الدينابر (١٧٧٤) وضمنة الدنياستر اليسرى (١٧٩٢) ومقاطعة بسارابيا الى بروت (١٨١٢) ومصاب الدانوب وقسما من ارمينيا وكل هذه كانت معاقل للسلطنة وكذلك فتدت في داخلها اليونانية التي استقلت والصرب والروم ايلي والجبل الاسود التي انفصلت عن الدولة على أن تدفع لها جزية صغيرة . وقد أخذ السلطان محمود ثورة عالي باشا في جانينا (١٨٢٠) فأيد بذلك سلطته قليلا غير أن فرمان الاصلاح الذي أصدره زاد في وهن السلطنة من حيث كدر المسلمين والعلماء ولذلك اضطرت اوربا ان تحمي الدولة العلية في معاهدة ادرنه اذ كانت في ذلك الوقت لا تقوى على صيانة نفسها بنفسها . وبينما كان القسم الشمالي من الممالك المحروسة يميل ويسقط انتهى البطل الشهير الروملي الاصل محمد علي فرصة خروج الفرنسيين من مصر وعموم القوصى فيها بعد جلائهم وتولى ادارة أحكامها وفي سنة ١٨٠٦ أيد سلطته فيها بظهوره على الانكليز الذين دخلوا الاسكندرية ووصلوا الى رشيد واخراجهم من القطار ثم ذبح المماليك في خدعة شهيرة (١٨١١) وحارب الوهابيين مدة سنين وكانوا مستولين على مكة

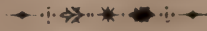
والثانية بوسط آسيا والثالثة بالصين واليابان وسنرى ان التنازع في هذه المسألة الجسيمة غير مبني على الافكار والحقوق بل على الجشع الكسبي التجاري ومع ذلك فقد تجت فوائد كبيرة على كونها لم تكن مقصودة بالذات من ذلك الخلاف والفتوحات التي تمت في أسائه .

﴿ فصل ﴾

• في المسألة الشرقية الاولى وهي مسألة الاستانة •

ذكرنا فيما سبق ان خيلاء القيصر نقولا أوهمته أنه منتدب من لدن الله لتسويد الجيل السلافي على سائر الاجيال التي استوفت حظها الى ذلك الوقت من العظمة . وكان لهذا الامبراطور نصف اوربا وثالث آسيا مكالاً نزاع فيه غير أنه كان يطمع في استزادته كثيرا وجعل قاعدته القسطنطينية التي يسود مالكا اذا كان قويا على الدنيا . على أن جنود القيصر وصلت في سنة ١٨٢٩ مدة الثورة اليونانية الى ادرنه ودنت من قرن الذهب غير أن الدوا أرجعتها على أعقابها بمقتضى المعاهدة التي تقدمت الاشارة اليها واضطر نقولا ان يصبر وينتظر حدوث مشاكل جديدة ليعود الى انفاذ مآربه خصوصا وان انكلترا كانت مقفلة في وجهه طريق البحر والنمسا مع مخالفتها له واقفة بالمرصاد لجنوده في طريق البر

عن معسكره ففتح له ملك بروسيا كنجسبرج ودترك ليستورد
 منهما ما يحتاج اليه ودرت بذلك الدول وكانت تعلم أنه مخالف للقانون
 الدولي ولم تحتج احتجاجا يذكر . على أن حكومتي لندره وباريس
 كانتا علناً متفقتين على عدم التداخل ولكن الامتين كانتا تميلان
 الى البولونيين المظلومين وكان الفرنسيون يرسلون لهم المدد سرا
 وفي ٨ ستمبر ١٨٣١ سقطت فرسوفيا في أيدي الروس بعدمقاومة
 تذكر في جنب أعظم جهاد رواه التاريخ ومحا القيصر نقولا من
 معاهدات سنة ١٨١٥ البنود المانحة لبولونيا وجودا مستقلا ونظاما
 أهليا وقسمها الى ولايات ألحقت بروسيا الحاقا ودعيت بولايات
 الفستول وملا سيبير بالنفين من أهلها وجعل اللغة الروسية هي
 اللغة الرسمية في الادارة والقضاء والتعليم وانتزع كنائس جمة من
 أهل الدين الكاثوليكي فمنحها لاهل الدين الارثوذكسي
 وهكذا محيت هذه الامة من الوجود



— ❦ الباب الثالث والثمانون ❦ —

❦ (في مسائل الشرق الثلاث) ❦

❦ فصل ❦

« في مصالح الدول الاوربية في اسيا »

ان المسئلة الشرقية تنقسم الى ثلاث أحداها تتعلق بالاستانة

قوماً من السويسريين واستخدمهم لحماية رومه وكان الفرنسيون
 يحمون له أن يكونا والنمسيون بولونيا ورجاله مع ذلك ينفون
 ويسجنون ويعذبون الناس الى درجة لا تطاق ولذلك كتبت الدول
 الخمس الكبرى رسالة الى البابا تصف له هذه الحالة وتسأله اصلاحها
 (مايو ١٨٣١) فوعد بافتتاح « عهد جديد » ثم عادت المظالم الى
 مجاريها وامتد التضييق على الافكار والكليات والمدارس الى جميع
 جهات ايطاليا ومنع دخول المطبوعات الاجنبية وكان الانسان يحاكم
 ويعاقب بشد العقوبات على لفظه أو حركة . وحدث أن فرديناند
 الثاني أمر بقتل ٥٢ نفساً على أثر مناوشة ثورية حدثت في سيرقوصه
 وفي ذلك الوقت جرى في شرقي اوربا عمل من افطع الاعمال
 التي يذكرها التاريخ وهو نحو الوطنية البولونية من الوجود. وذلك
 أن شعب بولونيا ثار في ٢٩ نوفمبر ١٨٣٠ يطالب الاستقلال الوطني
 والحرية السياسية وكانت ثمانى ولايات مشتركة في النهضة . فزحف
 مئة الف روسي عليهم لمقاتلتهم وفتح فرسوفيا وانتظر ستون الف
 مقاتل بروسي في دوقية بوزن ومثلهم من النمسيين في غاليسيا لقطعوا
 كل صلة بين البولونيين والخارج . ولما رأى المارشال باسكويتش
 بعد اربع مواقع هائلة أنه لا يستطيع دخول فرسوفيا عنوة من
 الامام عزم على مهاجمة المدينة من ضفة الفستول اليسرى غير أنه
 كان يحتاج الى مؤونة اذ كان انفاذ مقصده يقضي عليه بالابتعاد

تعيين مراقبين للمجالس النيابية التي تأسست في بعض الامارات
وجعل مداولاتها قاصرة على بعض الشؤون . وبعد ذلك باسبوع
اتفقت النمسا وبروسيا وروسيا فشككت لجنة معهودا اليهافي القبض
على المييجين ومنع حدوث الثورات فعاد القتل والسجن والنفي الى
جميع البلاد الالمانية بلا حساب . وكانت النمسا تظن أنها تستمر على
اضعاف مجلس الاتحاد والامراء الى أن تم الفوضى فتحتاج تلك
البلاد الى رأس يديرها فنكون هي الرأس ولكنها ساءفألها وتعبت
نصف قرن لتقع ألمانيا بعد ذلك في يد بروسيا كما حصل .

ذلك ما جرى في الامارات الالمانية وأما في ايطاليا فان نابولي
لزمت السكنينة مدة حياة ملكها فردينند الثاني وأما بولونيا ورومانيا
واومبريا فنارت في ٤ فبراير ١٨٣١ وبعد شهر من نهوضها لم تبق
للبابا من ولاياته الا صحراء رومه وسابيننا . وكان الاميران كارلوس
ولويس نابليون قد تجندا لخدمة زعماء الثاثرين فقتل الاول منهما .
ثم نارت بارمه ومودينه فطردتا أميريهما فانهز النمسيون الفرصة
واجتازوا البو وأخذوا ثورة رومانيا التي كانت تنتظر مددا من فرنسا
فلم ترسله لها وصرحت أنها على مذهب « عدم التداخل » في السياسة
ولكن عندما احتل النمسيون فرّار وبولونيا أرسل لويس فيليب
على سبيل الاحتجاج جنودا احتلت انكونا ثانية وطال احتلالهم لها
سبع سنين (١٨٣٢ - ٣٨) على أن البابا اقتدى بملك نابولي فجنّد

عصائه تصل الى مدريد ثم ردت عنها . واستمرت هذه الحرب
الاهلية في اسبانيا الى سنة ١٨٤٠ وجرت فيها الدماء أنهارا وكانت
دول التحالف الرباعي تعضد الاحرار سرا ودول التحالف المقدس
تعضد الاستبداديين كذلك . ولما انهي الوزير أسبادترو هذه الحرب
الفظيعة لقبته الوصية بدوق النصر فاشتدت سطوته ثم تطاول الى
عزل الوصية وأخذ مكانها (اكتوبر ١٨٤٠) ثم طرده من ذلك
المنصب القائد الباسل نافارس (يوليو ١٨٤٣) وتولى الوصاية وكان
حكمه دستوريا ولكن غير خلو عن كثير من آثار المحافظة

﴿ فصل ﴾

• (في عدم فوز الاحرار في المانيا وايطاليا) (١٨٣١) •

« واتحاد الثورة البولونية » ١٨٣١ »

لم يحدث لثورة باريس صدى يذكر في النمسا وبروسيا لتعاون
الكنيسة والحكومة فيهما واعوم الفاقة بين العامة في المملكتين
ومع ذلك فان فريدريك غايوم الثالث اضطر ان يخفف وطأة المراقبة
على الجرائد . أما في الامارات الالمانية فقد حدثت ثورات سقطت
بها بعض الامراء والدوقية واضطر البعض الآخر الى الموافقة على
الاصلاحات المطلوبة . فتخوفت دول التحالف المقدس من انتشار
هذا الروح وحملت النمسا مجالس الاتحاد الالمانى في فرنكفورت على

الملك من بعده فاستخرج لذلك من الاوراق القديمة أمراً سرياً كان
 قد أصدره أحد أسلافه فيليب الخامس بان الاناث يحق لها ان ترث
 الملك كالذكور . وانما أبعد بهذه الوسيلة أخاه دون كارلوس عن
 خلافته لانه ثار عليه مرتين لاسقاطه وعند ماتوفي فردينند كانت
 امرأته قد ولدت له الاميرة اليصابات فكانت ملكة اسبانيا من
 مهدها وتولت امها الاحكام بالوصاية عنها (سبتمبر ١٨٣٣) فتحزب
 الملكيون لدون كارلوس خلافاً لمبدئهم وتسلموا التملكه فاستعانت
 الملكة على هذا الحزب بالاحرار واضطردون كارلوس أن يلجأ الى
 لشبونه لدى دون ميغل مغتصب عرش البرتغال وكانت بين هذا
 الملك وشقيقه دون بدرو الوصي على الملكة الحقيقية دوناماريا
 منازعة وحرب وكان حزب الاول الاستبداديين وحزب الثاني
 الاحرار الذين كانت فرنسا وانكلترا تعضدانهم سرا . ففي ثامن يوليو
 من سنة ١٨٣٢ استولى الاحرار على اوبورتو وفي السنة التالية
 انتصروا في فنسنت ولشبونه فوقت العاصمة في أيديهم فعند ذلك
 عقدت معاهدة التحالف الرباعي بين فرنسا وانكلترا ودون بدرو
 بالنيابة عن ابنة الملكة دوناماريا وخرستين بالنيابة عن ابنتها الملكة
 اليصابات . واكره دون ميغل على الخروج من المملكة (مايو ١٨٣٤)
 أما دون كارلوس فاثار أهل الشمال من اسبانيا وتجنده له جمهور من
 الاستبداديين البرتغاليين والفرنسويين والانكليز وكادت بعض

فنهت النمسا حكومتهم عن اجابتهم الى ذلك وجمعت جيشاً جراراً في فورالبرج والتيرول لارهاب احرارهم فقررت جمعية نواب الاتحاد تجنيد ٦٠٠٠٠ مقاتل للدفاع عن البلاد فبلغ عدد الذين تجندوا مئة الف فهال أمرهم دول الشمال وأرسلت الى سويسرا تأكيداً بانها لا تنوي لهم شراً ولا تضر عداةم وانقلابهم السياسي بدون سفك قطرة من الدم الا في مقاطعة بال وكان فيها بعض اغنياء أبوالتنازل عن الامتيازات الممنوحة لهم . أما الدانمرك فقد منحها ملكها دستوراً ومجلس نواب بمجرد ارادته { ١٨٤٩ } وكذلك اسوج فقد منحت في سنة ١٨٤٠ مجلسين انتخابيين وتقرر أن يكون وزراءها هم المسؤولون وان تلغى حقوق الشرفاء الوراثية مع بقاء التمييز بينهم وبين العامة . أما الجنوب فقد تمت فيه أمثال هذه الانقلابات ولكن بثورات وسفك دماء لحدة طباع أهله .

﴿ فصل ﴾

﴿ في ثورات اسبانيا (١٨٣٣) والبرتغال (١٨٣٤) ﴾

« ومعاهدة التحالف الرباعي (١٨٣٤) »

علمنا أن فردينند السابع ملك اسبانيا كان مستبداً ولتلك ابى في أول الامر أن يعترف بملك فرنسا الجديد . وكان قد تزوج في ديسمبر سنة ١٨٢٩ بالملكة ماري خريستين وأراد أن يوليها

والفكرية فزاد النفرة في قلوبهم فثاروا في بروكسل بعد ثورة باريس
بشهر وردوا الجيش الهولندي الى انفرس نخافت الوزارة المحافظة
في لندره أن يحمل ذلك الفرنسيين على احتلال هذه المدينة الواقعة
على مصاب الابرو والاسكو ولامت الثوار على ثورتهم غير ان الوزارة
الحررة التي خلفتها عقدت اجتماعاً سياسياً في لندره (٤ نوفمبر ١٨٣٠)
قررت فيه دول الشمال نفسها ان لا يصاح ضم هتين الامتين
واتخبوا البرنس دي ساكس كوبرج ليجلس على عرش بلجكا بعد
ان رفضه الدوق دي نيور ثاني انجال لويس فيليب وصرحوا فرنسا
أن ترسل ٥٠٠٠٠ جندي لاخضاع انفرس عنوة فتم ذلك ثم عرضت
على المملكتين معاهدة للتوقيع عليها واعترفت جميع الدول
باستقلال بلجكا

﴿ فصل ﴾

﴿ في ادخال تعديلات على النظمات الدستورية في سويسرا (١٨٣١) ﴾

« والدايمرك (١٨٣١) واسوج »

كانت حكومة سويسرا استبدادية بايدي الشرفاء منذ سنة
١٨١٥ وكان اكثر ايراد اهلها من تجندهم لدى الدول الاجنبية وكانت
لذلك حكومتهم مطيعة لاشارات دول التحالف المقدس الى أن
تمت ثورة باريس فقام أهل جميع العمالات يطالبون القوانين الدستورية

أول برلمان اجتمع في انكلترا بعد ثورة باريس أسقط وزارة المحافظين (٢ نوفمبر ١٨٣٠) واستبدلها بوزارة حرة فعرض أعضاؤها لألحة اصلاح للانتخابات قضوا فيها بالغاء النواب عن ٦٠ من القرى وبانتخاب آخرين عن كثير من المدن التي لم يكن لها نواب وبتسوية الانتخاب لكل من يبلغ ايراده أو الاجرة التي يدفعها عشرة جنيهات وبذلك ضوعف عدد المنتخبين

غير أن اللوردية لم يوافقوا على هذه الألحة الا بعد أن اندروا بعزل فريق من اكثريتهم واستعاضته بآخرين. ثم عرض الاحرار لألحتين جديدتين قضت احدهما بتحرير ٦٠٠٠٠٠٠ رقيق زنجي فانفقت انكلترا على ذلك ١٦ مليوناً ونصف مليون جنيه استرليني والاخرى قضت بوضع رسم لاعانة الفقراء. وأهم عمل لهذه الوزارة الحرة في خارج انكلترا مصافاتها لفرنسا وتعزز كل من الدولتين بالآخرى لمقاومة دول الشمال وانهاء المشكة البلجكية

﴿ فصل ﴾

﴿ في الثورة البلجكية (اغسطس وسبتمبر ١٨٣٠) ﴾

كانت بلجكا التي ضمت الى هولنده في سنة ١٨١٥ لا تطبق نيرها وذلك لاختلاف المذاهب والمشارب والجنس بين الامتين ولما استبد به الملك من امور البلجكيين الدينية والكهنوتية والقلمية

وبعد ذلك بشهرين غلبا جيش الامير المنظم في موقعة شيفا.
وقد وقعت على عاتق هذه الوزارة مسألة ضخمة كثيرة
الاشكال هي المسألة الشرقية ولكننا سنعود الى البحث فيها في
فصول منفردة بعد ان نبين ما كان لثورة يوليو الفرنسية من
الصدى في اوربا



﴿ الباب الثاني والثمانون ﴾

﴿ في نتائج ثورة يوليو في اوربا (١٨٣٠ - ١٨٤٠) ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في حالة اوربا سنة ١٨٣٠ ﴾

كانت انكلترا في استعداد لاسقاط وزارة المحافظين. و باجكا
وايطاليا و بولونيا للقيام بثورة وطنية. وكانت في اسبانيا والبرتغال وبلاد
الاتحاد الجرمانى حركة لتأييد المطالب الدستورية وكان كل ذلك
وقوداً ينتظر شرارة لتشب ناره فبعثت الشرارة من ثورة
يوليو في باريس

﴿ فصل ﴾

﴿ في انكلترا وقيام الوزارة الحرة فيها (١٨٣٠) ﴾

﴿ (ولائحة الاصلاح (١٨٣١ - ١٨٣٢) ﴾

البلاد فانتصرت على جنودها وادت المكسيك غرامة حربية. وفي
 ٢٤ اغسطس ١٨٣٨ رزق الملك غلاما فدعاه كونت باريس وظن ان
 به تثبيت قدم الاسرة المالكة في فرنسا. وكان الوزير موله قد استرجع
 الجنود الفرنسية المحتلة انكون في ايطاليا فافسح بذلك مجال
 الامتداد للنموسيين ولم يفلح في التسوية النهائية للمشكلة الواقعة
 بين بلجكا وهوانده قاتفق كيزو وتيرس وأرديلون بارو من رؤساء
 الاحزاب في مجلس النواب على اسقاط وزارته فاستعالت في ٢٢
 يناير ١٨٣٨ فاستبقاها الملك وفض المجلس فكان الفوز في الانتخاب
 للمعارضين فسقطت الوزارة ثم وقع النزاع بين الاحزاب المنفقة
 فاستمرت من أجل ذلك الازمة الوزارية ستة أشهر

﴿ فصل ﴾

﴿ في وزارة المارشال سولت (١٨٣٩) ﴾

حدث أن بعض زعماء الجمهوريين حاولوا اثاره الشعب في
 هذه الاثناء فألفت وزارة برئاسة المارشال سولت ولم يكن أحد
 الرؤساء المتنازعين من أعضائها فلذلك لم تقم الا ستة أشهر من ١٢
 مايو ١٨٣٩ الى غرة مارس ١٨٤٠ وفي هذه المدة نقض عبد القادر
 أمير الجزائر معاهدة تافنه ودعا قومه للجهاد فاجتاز المارشال فاله
 والدوق دورليان المر الصعب المسمى بمر الابواب الحديدية

اسبانيا على ثوار الكارلين ثم رأى أن التقدم في فتح داخلية الجزائر بطيء فكلف المارشال كلوزل أن يتولى فتح أحصن مركز فيها وهو مركز قسطنطين. أما الملك فوافق على حملة الجزائر وبنى عليه ارسال نجدة لاسبانيا فاستقال وخلفه موله في رئاسة الوزارة (٦ ستمبر ١٨٣٦).

﴿ فصل ﴾

﴿ في وزارة موله (١٨٣٦ - ١٨٣٩) ﴾

افتتح عهد هذه الوزارة بمشكلات ومصائب فان المارشال كلوزيل لم يفتح في حملة قسطنطين لانه ترك بلانجدة ثم أن البرنس لويس ابن أخي نابليون حاول أن يثير حامية ستراسبرج فقبض عليه ونفي من المملكة (٣٠ اكتوبر ١٨٣٦) ولكن شركاه في الذنب حوكموا فاطلق القضاء سراحهم من حيث لم يكن بينهم المحرك الاول لهم فغضب الملك وعرض مشروع أمر عال يقضي بقسمة القضاء الي عسكري وملكي ليحاكم لدى أحدهما الجنود ولدى الآخر المالكين فلم يوافق المجلس عليه وكان ذلك فشلا للحكومة غير أن الاحوال تحسنت في السنة التالية حيث عقدت معاهدة تافنه وسكن الهياج في مقاطعة أوران وفتحت قسطنطين (١٨٣٧).

وأرسلت حملة الى المكسيك لانها مشكلة طالت مع حكومة هذه

الجمهوريون في سنة ١٨٣٤ فاحمدتا وحكم على ١٦٤ من الزعماء بعقوبات شديدة فانحلت بذلك عرى هذا الحزب الى حين وكان الجيش لازما الطاعة للملك والقضاء شديداً على الجمهوريين. غير ان احد المتطرفين من هؤلاء ويدعى فياشي اعد آلة محشوة بالقذائف القاتلة وفي ٢٨ يوليو ١٨٣٥ بينما كان الملك يستعرض الجيش اطلق فياشي عليه قذائف تلك الآلة فقتلت ١٨ نفسا حوالى الملك وجرحت ٢٢ وكان بينهم خمسة قواد اكبرهم مورتيه الذي اشتهر في مواقع نابليون وقد خرّ قتيلا لساعته فانهزت الوزارة فرصة الكدر الذي احدثته هذه الجناية واقترحت اصدار قوانين جديدة يراد بها التعجيل في سير القضايا الجنائية لدى المحاكم والاقبال من عدد الجرائد برفع التأمين المطلوب للترخيص بها من ٤٨ الف فرنك الى مئة الف. ومن مآثر هذه الوزارة انها وضعت أساس النظام التدريسي في فرنسا

﴿ فصل ﴾

« في وزارة تيرس (١٨٣٦) »

تقلد هذا السياسي الوزارة في ٢٢ فبراير ١٨٣٦ وبعد ان اتم توطيد الامن في الداخل اراد الجري على سياسة كزيمير بريه في الخارج فاول ما صرف اليه عزمه اعانة حزب الاحرار في

سنرى في الفصول الآتية ما كانت الخطة التي جرت عليها فرنسا بين الدول من سنة ١٨٣٠ الى ١٨٤٠ ولكننا نقول انها بانتصار جنودها في انغرس وردها هذه المدينة الى بلجكا انتهت مشككة كان يخشى أن يستمر النزاع فيها ويوقد الحرب في اوربا. وكذلك فازت في الشرق بتوسطها فيما بين السلطان وتابعه المنتصر عليه محمد علي باشا من حيث ابقتمصر وسوريا تحت ولاية هذا الوالي فجعلته حامي طريق التجارة الاوربية في البحر الاحمر وخليج العجم الذي كان يطمع الانكليز فيه

ثم ان فرنسا عقدت مع انكلترا واسبانيا والبرتغال محالفة رباعية (٢٢ ابريل ١٨٣٤) تعهدت بها الدولتان الاوليان الدولتين الاخرين بحمايتهما من تسلط التحالف المقدس عليهما . وذلك لان البرتغال أسقطت دون ميغل وردت الملك الى دوناماريا فاعادت لها الدستور الملغى (١٨٣٤) ثم لان فرديناند السابع ملك اسبانيا عند ما حضرته منيته أمر ان لا يخلفه أخوه دون كارلوس رئيس حزب الاستبداديين

﴿ فصل ﴾

﴿ في فتنة باريس وليون (١٨٣٤) وجناية فياتو (١٨٣٥) ﴾

حدثت في باريس وليون حركتان ثورتان قام بهما

الاميرين فانه أدخل اسطولا الى لشبونه انتقاما لفرنسويين اهانها
دون ميغل فاعتذر وزراؤه وأدوا الغرامة للمهاين. ورد الهولنديين
عن باجكا بخمسين الف فرنسوي وأعاد النمسويين الى حدودهم التي
تعدوها في ايطاليا. وأخذ ثورة في غربي فرنسا واخرى في ايون
واخرى في باريس وكان سائداً على افكار الملك والمجلسين والوزراء
وتوفي في ١٦ مايو سنة ١٨٣٢ باصابة وبائية

﴿ فصل ﴾

﴿ في وزارة ١١ اكتوبر سنة ١٨٣٢ ﴾

في عهد هذه الوزارة ثار الجمهوريون وتحصنوا وراء متاريس
بسنماري وقاتلوا جنود الملك يومين كاملين في ٥ و٦ يونيو فانكسروا
وضعف حزبهم وتعزز حزب المحافظين الاحرار وبعد ذلك بشهر
توفي الدوق دي ريشستاد ابن نابليون الاول (٢٢ يوليو ١٨٣٢)
فخلصت اسرة اورليان من اشد مزاحم لها ثم حدث أن ام الدوق دي
باري جاءت من منفاه متكررة وأخذت تستنفر لها اهل غرب
فرنسا فاحمدت الوزارة هذه الثورة ثم قبضت على الدوقة واعتقلتها
وأخذت اقراراً منها بانها فقدت حقها في ولاية العرش تزوجها سرّاً
بأحد عامة الناس .

﴿ فصل ﴾

﴿ في سياسة فرنسا الخارجية ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في الملك لويس فيليب ﴾

قبل ان يجلس هذا الملك على سرير فرنسا اقسام انه يجزي على ما يقضي به الدستور الملكي وما أدخل فيه من التمتع واهمه كان اعادة حرية الجزائر وان يمنع توارث عضوية مجلس الشيوخ وان لا يكون الدين الكاثوليكي دين الحكومة الرسمي الخ .

﴿ فصل ﴾

﴿ في وزارة لافيت (١٨٣٠) ﴾

قوي حزب الجمهوريين على أثر ثورة يوليو في فرنسا فاضطر الملك ان يسترضيه بشيء فعين زعيمه لافيت قائداً عاماً للحامية الوطنية ولافيت وزيراً اول . وكان الملك يرى وجوب السكنة في الداخل وتأيد السلام في الخارج فلما تحركت ايطاليا للتحرر من ربة النمساويين مال الوزير الى تعضيدها بخالفه الملك في هذا الرأي واستخلفه بكازيمير بويه

﴿ فصل ﴾

﴿ في وزارة كازيمير بويه (١٨٣١) ﴾

صرح هذا الوزير انه يريد شيئين السير القانوني في الداخل وتأيد السلام في الخارج الا اذا مس شرف فرنسا وقد افلح في

ان الذي حمل فرنسا على فتح هذه البلاد ما أصاب قنصاها فيها من الالهانة فارسات في ٣١ يونيو سنة ١٨٣٠ جيشاً مؤلفاً من ٣٧٠٠٠ مقاتل بقيادة الكونت دي بومون فظهر على الجزائريين وفرقهم في الجبال وفي ٤ يوليو استولى على قصر الامير فامتلك به العاصمة وكان في خزائنها من الاموال ما أعاض فرنسا عن جميع نفقات حملتها

﴿ فصل ﴾

﴿ في ثورة ١٨٣٠ ﴾

وفي السادس والعشرين من ذلك الشهر أصدر الملك اميرين قاضيين بمصادرة حرية الجرائد و بايجاد نظام انتخابي جديد نقرر القضاء ان ذينك الامرين غير قانونيين وثارت باريس في ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ يوليو فقهرت جنود الملك فاستقال على أن يخلفه حفيده الدوق دي بوردو وانكن الشعب اختار الدوق دورايان رئيس الفرع الثاني من آل بوربون ونادى به ملكاً عليه (٩ اغسطس) بناء على نصيحة لافايت. وبلغ عدد القتلى في هذه الثورة ٦٠٠٠ نفس



﴿ الباب الحادي والثمانون ﴾

﴿ في نتائج ثورة يوليو في فرنسا وتنازع المحافظين والاحرار ﴾

﴿ (الجمهوريين) (١٨٣٠ — ١٨٤٠) ﴾

قبل ان توفي القيصر اسكندر في تاغانروك (ديسمبر ١٨٢٥)
اكتشف مؤامرة كان هو المقصود بها وكان الجيش داخلها
فأخذها ولكنها جاءت دليلاً على ان الافكار الحرة نفذت حتى
الى قلب بلاده مع منعه المطبوعات السياسية عن دخولها الا ما وافق
منها خطة التحالف المقدس .

وخلف هذا القيصر نقولاً ثالث أنجال بولس الاول وكان
عنيفاً شديداً يعتقد انه منتدب من الله لتسويد الامة السلافية على
سائر الامم الغربية وحدث ان المؤامرة التي جرت في أواخر عهد
سالفه تجددت في أيامه وتقرر فيها خلعها وانشاء جمهورية اتحادية
سلافية فسحقها سحقاً واستبد بحكمه مدة ربع قرن

﴿ فصل ﴾

﴿ في وزارة بولينياك (١٨٢٩) ﴾

كان كارلوس العاشر يحتمل وزراءه ولا يميل الى سياستهم لكثرة
ماشوش ذهنه جماعة « الاخوية » ولما انقضت عشرة شهور استبدل
الوزارة الحرة بوزارة بولينياك المحافظة المتطرفة فصرح النواب أنهم
لا يثقون بها فخل الملك المجلس فتجدد انتخاب جميع الاحرار من أعضائه

﴿ فصل ﴾

﴿ في فتح الجزائر (١٨٣٠) ﴾

التأغوس وعضدوا الاستبداديين في البرتغال واعترفوا بحكم دون
 ميغل (١٨٢٩). اما في الداخل فانهم حلوا دون استجلاب
 الغلال من الخارج وأبوا الموافقة على اللائحة القاضية باخراج
 الايرلنديين من اعتبارهم قصرًا في نظر القانون غير انهم اضطروا
 بعد ذلك بسنة مراعاة للاحرار الذين عادت اليهم سطوتهم وتكاثر
 حزبهم ان يمضوا هذه اللائحة وأن يلغوا القانون القاضي على كل
 موظف قبل تولي وظيفته بان يحلف انه تناول السر المقدس على
 مقتضى الشعائر التي تجري عليها الكنيسة الانكليزية الرسمية
 أما ايطاليا فكانت لا تتحرك في قبضة النمسا الحديدية وكذلك
 كانت المانيا بين أيدي امرائها فلهم شددوا المراقبة على الجرائد
 والتعليم لتكون افكار الناس كلها على ما تريده سياسة التحالف
 المقدس وجعلوا محاضر جلسات مجلس فرانكفورت سرية ليمتنع
 تأثيرها على الناس. ومع ذلك فقد جرى في ذلك العهد اصلاح
 كثير الفوائد المالية وهو الغاء المكوس فيما بين الامارات الالمانية
 وفرض ١٠ في المئة على ما يرد اليها من مصنوعات الخارج. ولقد
 جرى القيصر على خطة مجلس فرانكفورت في بولونيا فانه جعل
 مداولات نوابها سرية (١٨٢٥)

﴿ فصل ﴾

﴿ في القيصر تقولا ﴾

٥- الباب الثامن ٥-

﴿ في خيبة المساعي التي بذلت لاعادة الفوز للنظام الاستبدادي ﴾

﴿ القديم على النظام الدستوري الجديد ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في دون ميغل في البرتغال (١٨٢٦) ودون كارلوس في اسبانيا (١٨٢٧) ﴾

كان دون ميغل قد لجأ الى وياه وأخذ يستشير البرتغال بدسائسه لاسقاط دوناماريا ابنة أخيه فزوجه دون بدرو بها وجعله وصياً عليها لينقذها من شره خلف يمين الطاعة للدستور ولم تمض عليه أربعة أشهر حتى اغتصب الملك وأيده المحافظون الانكليز فثبتت قدمه واستبد. ويهدد الذين قتلهم ونفاهم بالالوف ومع ذلك فقد وجدته حزب التأخر على أقل مما يرومون من الاستبداد فنادوا بأخيه دون كارلوس ملكاً عليهم فلم يفلحوا.

﴿ فصل ﴾

﴿ في وزارة ولنتن (١٨٢٨) ومجلس اتحاد فرانكفورت ﴾

عند ما تولى المحافظون الوزارة على أثر وفاه كاننج (٢٥ يناير ١٨٢٨) أخذوا يحولون السياسة الانكليزية الى وجهة جديدة وذلك انهم مالوا عن الاخذ بنصرة اليونانيين واستردوا اسطولهم من نهر

﴿ فصل ﴾

﴿ في حل جيش الانكشارية (١٨٢٦) وفوز الروس (١٨٢٨ - ١٨٢٩) ﴾
 وكانت الدولة العلية في ذلك الوقت لا قبل لها بعدوها الروسي
 لان السلطان محموداً كان قد حل جيش الانكشارية الشهير واكل
 به تنكيلاً هائلاً حيث أعدم ١٠٠٠٠٠ من رجاله في ٦ أيام في الاستانة
 وحدها (١٨٢٦) واكنه لم يستعص عنه بقوة أخرى تقيه هجمات
 الاعداء ولذلك كان فوز الروس عليه سريعاً سرعة غريبة فانهم أخذوا
 سيلستريا (يونيو ١٨٢٩) ثم ارضروم (يوليو) ثم ادرنه
 (أغسطس) فهال هذا التقدم النمسا فاتفقت مع فرنسا وانكلترا على
 الزام القيصر نقولا ذلك الحد فاستعان بروسيا فلم تجبه الى طلبه
 فرضي بالتوقيع على معاهدة ادرنه (١٤ ستمبر ١٨٢٩) التي
 قضت عليه برد فتوحاته ومنحته بدلا منها مصاب الدانوب وحق
 الملاحة في البحر الاسود وحماية مولدافيا والافلاق والصرب. وعلى
 هذه الصورة تم استقلال اليونانية التي اقيم عليها ملك في سنة ١٨٣١
 اما الروح الحرف كان يزداد انتشاراً بوقوع هذه الحوادث
 واتساع نطاق الثروة العامة واباحة القول للجرائد .



جنودهم اكشف صفوف الانكشارية ويمرون بمرابهم الصغيرة بين
الاساطيل العثمانية فيحرقون كثيراً من سفائنها . واشهر اولئك
الشعراء اللورد بيرون فانه جاد على هذا الشعب بثروته وحياته . فلما
عظم اندفاع الرأي العام في هذا المجرى لم تستطع الحكومات مقاومته
فطلبت انكلترا أن تكون الوسيطة في انهاء هذه المشكلة ورفع
غوائل الحرب التي ربما تنجم عنها فاجيبت الى ذلك ولكنها لم تفلح
لان السلطان ابي ما عرضته عليه اعتماداً على أخذ الجيش المصري
لميسولونجي واستيلائه على اكثر بلاد المورده فاضطرت انكلترا ان تتفق
سراً مع روسيا وفرنسا (٦ يوليو ١٨٢٧) على وضع حد لوقائع ابراهيم
باشا بن محمد علي باشا والي مصر في شبه الجزيرة التي احتلتها عساكره
الفاتحة أما النمسا فازمت الحياذ خوفاً من ثورة احزابها الداخلية الكثيرة
عليها فيما اذا تداخلت في عمل حربي ولبثت تنتظر الفرص وأما
روسيا فكان لا يهتمها امر هذه المسألة في شيء . ثم ان اساطيل
الدول الثلاث المتفقة احرقت الاسطول العثماني في ميناء نافارين
(٢٠ اكتوبر ١٨٢٧) أصر الباب العالي لكن على عدم التسليم بما اقترح
عليه فشهريه عليه الروس الحرب (٢٦ ابريل ١٨٢٨) وكانوا قد فتحوا
القسم الايراني من ارمينيا . ثم دخل المورده ١٥٠٠٠ فرانسوي بدعوى
التعجيل في انهاء هذه المشكلة اليونانية التي كادت تصبح ذات عواقب
وخيمة على العالم بأسره

كثيرة في هذه البلاد لأنها كانت تستورد منها خمورها وتحمل إليها
مصنوعاتها على اختلافها ولأن كثيرين من الانكليز كانوا ذوي ممالك
واسعة فيها فعزم كانبج على الاخذ بنصرة الملكة دوناً بماربوا ووصياها
ثم لم يلبث ان توفي (٨ أغسطس ١٨٢٧) فقامت وزارة محافظين على
أمر وزيرته . وسنرى في النصول الآتية ما كان من تأثير حل هذه
المشكلة البرتغالية على السياسة العامة في الغرب

﴿ فصل ﴾

﴿ في تحرير بلاد اليونان (١٨٢٧) ﴾

كان بدء هذه الثورة في سنة ١٨٢٠ وسببها الدسائس الخفية
التي كانت تدسها روسيا وشتداد الحكومة العثمانية على اليونانيين
غير ان الحكومات الاوربية وفي مقدمتها الروسية انكرت هذه
الثورة في اول امرها وحسبتها عصيانا ينبغي قمعها ثم لم تلبث ان
انقلبت الى تقيض هذا الرأي بحكم الاضطرار وذلك لان الاحرار
في جميع الدول ابدوا ميلا عظيما الى اليونانيين ثم وافقهم على ذلك
المحافظون من قبيل الاكزام لليونانية القديمة ام الحضارة . وأخذ
الشعراء ينشدون القصائد المؤثرة في هذا المعنى ويصفون الحمية
واجراة والمهارة التي اتصف بها الثائرون ولا سيما زعماءهم نيكيتاس
وبوتزاريس وكاناريس وأمثالهم فانهم كانوا يخرقون بالقليل من

سياستها مع البرتغال . وتاريخ ذلك ان نابليون عند ما فتح مدريد
 واشبونه حرر المستعمرات الاسبانية وهو لا يدري
 وقد عرفنا ما كان من ثورة هذه المستعمرات انتهازا الفرصة
 ضعف اسبانيا ونيلها الاستقلال . وكذلك حرر نابليون البرازيل على
 غير قصد منه فان قائده جونو عندما حرد من اشبونه آل براغنس
 وهم الاسرة المالكة في البرتغال جاؤا الى البرازيل (١٨١٥) فجعل الملك
 يوحنا السادس تحت ماله فيها واخذ يدبر منها شؤون البرتغال (١٨١٥)
 وقد اضطر ان يمنح البرازيليين دستورا يقيهم بوثق الاستبداد التي
 كانوا يحملونها قبلا ولما عاد الى البرتغال طلبت البرازيل الانفصال
 عنها والاستقلال فعين لها ابنه دون بدرو مبراطورا مقيدا بدستور
 جديد (١٨٢٢) . وكانت البرتغال قد التمت من ملكها في سنة ١٨٢٠
 ان يمنحها دستور اسوة بالمستعمرة البرازيلية فوضعه لها ولكن
 دسائس دون ميغل ابنه الثاني وانكسار الاحرار الاسبانيين (١٨٢٣)
 حالا دون انفاذه . ولما توفي يوحنا السادس (١٨٢٦) رجع الحق في
 خلافته الى ابنه دون بدرو فابى تقلد تاج البرتغال ووضعه على رأس
 ابنه دون ماريا ومنح الشعب دستورا جديدا . وكان قد اعتزل ايضا
 مبراطورية البرازيل وتركها لابن صغير له اقام حوالياه الاوصياء
 لادارة الشؤون . غير ان حزب الاستبداد والتاخر في البرتغال
 انكروا عليه دستوره واستخلاف ابنه . وكانت انكرا ذات مصالح

﴿ البرازيل الدستورية (١٨٢٢) وثورة الاحرار في البرتغال (١٨٢٦) ﴾
 كانت اسبانيا تحظر الزراعات المفيدة على مستعمراتها في
 العالم الجديد وتستخدم اهلها لاستخراج الذهب والفضة منها
 فتسئوردهما الى مدريد وترسل الى المستعمرات بدلا منها مصنوعات
 من حديد وخشب وكل شيء حاجي فلم يلبث هذا الاستبداد الذي
 لا يطاق ان اثار الخواطر فقامت المكسيك اول علم للانتفاض على
 اسبانيا في سنة ١٨١٠ اذ كان فتح نابليون لاسبانيا يمنعها عن انجاد
 حكامها في المستعمرات. ثم استقلت البلاتا (١٨١٦) ثم شيلي
 (١٨٢١) ثم بيرو وكولومبيا وامريكا الوسطى ولم تبق لاسبانيا الا
 بعض مراکز وجزيرتا كوبا والامريكيا اليوم وبورتوريكو. وكانت اكثر
 الشعوب في اوربا تميل كل الميل الى الثائرين وتسرب تحريرهم دليل
 سعة ما انتشرت الاراء الحرة.

وقد بادرت مجلس نواب واشنطن للاعتراف باستقلال تلك
 البلدان أما انكثرا فامتعت عنه أولا وحظرت بيع الذخيرة للثائرين
 ثم عدلت عن هذه الخطة عندما أرسلت حملة فرنسوية للتدخل في
 تسكين ثورة اسبانيا جريا على مبادئ التحالف المقدس وأرسلت
 وكلاء سياسيين من قبلها الى تلك الحكومات الجديدة وطلبت عقد
 معاهدات تجارية معها.

وفي سنتي ١٨٢٦ جرت انكثرا على هذه السيرة الجديدة في

كنشستر وغيرها لا نائب لها . فلذلك تألفت جمعية بيرمنهام من جمهور عظيم وطلبت الاصلاح البرلماني وشفعته بطلب تخفيض الرسوم على الجبوب لتسهيل وسائل الاقتيات بالقوت الضروري فلم يقبل الاقتراح الاول الا في سنة ١٨٣٢ والثاني في سنة ١٨٤٦ ومما تقدم يتبين القاري ان انكلترا كانت تتقدم في داخلتها بلا زعازع ولا ثورات والفضل في ذلك للحرية التي كانت ممنوحة لاهابها . على أن كاننج كان في سنة ١٨٢٤ قد خفض الضرائب باسقاطه نحو ٥٠ مليوناً من ايرادها وأسس صندوقاً للاستهلاك العام وخفض عوائد الفحم والحرائر والاصواف فزاد بذلك الثقة في مالية الحكومة ووسع نطاق للصناعة والتجارة . وقد عامنا من اشارة سبقت ان كاننج كان غير راض عن سياسة تداخل البعض من الدول في شؤون البعض الآخر ولذلك نظر الى حملة فرنسا على اسبانيا لارجاع ما ملكها اليها بعين الكدر ثم حدث ان ثارت مستعمرات اسبانيا عليها فحملت دول التحالف المقدس سفير فرنسا على مفاخرة كاننج في الوسائل التي يجب اتخاذها لاختاد انفس تلك المستعمرات فاجابه انه ينبغي على كل دولة ان تلم شعها بنفسها . وكان ذلك اعلانا لانفراد انكلترا عن تلك الدول في هذه الخطة .

﴿ فصل ﴾

(في استقلال المستعمرات الاسبانية (١٨٢٤) ونشأة امبراطورية)

وزارة احرار وكان كاننج تلميذيت الشهير قد انتقل الى هذا
الحزب فنولى ادارة الحكومة وحول سياستها من خطتها القديمة
الى خطة المقاومة لدول الشمال في تداخلها بما لا يعنىها من شؤون
القارة الاوروية . وفي سنة ١٨٢٣ عين كاننج هسكيسون وزيرا
للتجارة فاجرى من الاصلاحات العامة النفع ولا سيما في تعاريف
المكس (الجرك) مافرج كربة العامة الانكليزية الفقيرة ووسع
رزقها وأضعف امتيازات الشرفاء . وكان الايرلنديون في شقاء
لا يضارعه شقاء ولم يكن لهم من ينوب عنهم في مجلس النواب اذ
كان الكاثوليك منهم وهم الاكثرون يعتبرون قصرأ في نظر القانون
فحاول كاننج اخراجهم من هذا الانحطاط فرفض اقتراحه اللوردات
بعد ان قبله النواب (١٨٢٧) ولكن روبرت بيل الذي كان أول
معارض لهذا الاقتراح اضطر بعد ذلك بسنتين ان يعرضه على
المجلسين ويستصدر أمراً به (١٨٢٩) ومن مآثر كاننج انه وضع
اللوائح الممهدة لتحرير الارقاء وكان البرلمان الانكليزي قد حضر
الخاصة سنة ١٨٠٧ اقتداء بما قرره جمعية الكونفانسيون الفرنسية
في اوائل الثورة ولم يتقرر الغاء الرق الا في سنة ١٨٣٣

هذا وقد كانت طريقة اختيار النواب مختلة في انكلترا بحيث
ان اثني عشر من البيوتات ذوات الاملاك الواسعة كانت تنتخب
عن املاكها بمجرد ارادتها نحو مئة نائب . وكانت مدائن كبيرة

أمر ولذلك عول الاحرار على القبول بالملكية على شرط ان تقوم
 بالدستور حقيقة لا كذبا وعملوا على اسقاط وزارة «الاخوية» التي
 كانت اذ ذلك تتولى الشؤون وفي شهر ابريل من سنة ١٨٢٧
 استعرض الملك جيش الحامية الوطنية فنادوا صف بعد آخر وهم تحت
 السلاح لتسقط الوزارة فخل الملك هذا الجيش في اليوم نفسه
 خوفاً من الروح المبعوث فيه وأبقى الوزارة ثمانية أشهر بعد ذلك
 وكان رئيسها لايزال فلان ثم طرد ٧٦ عضواً من مجلس الشيوخ
 وأمر بتجديد الانتخابات العامة فاختر الشعب أكثر نوابه من
 الاحرار فسقطت الوزارة وخلفها وزارة حرة رئيسها دي مارتينياك
 وكان ذلك منشأ أول معارضة قانونية في فرنسا فالغت الحكومة
 الجديدة مراقبة الجرائد وحظرت الاحتيال الذي كان يستعمل
 قبلها في الانتخابات وأيدت حرية الفكر وأعدت الى كلية السوربون
 بعض الفروع التي منع تدريسها فيها. وكان الروح الجديد في أكثر
 الدول الاخرى أخذاً بالسيادة على الروح القديم

﴿ فصل ﴾

﴿ في انكلترا وذكّر هسكيسون وكاننج (١٨٢٢) والكلام ﴾

« على ما وضع من الخطة الجديدة في السياسة »

(الخارجية وتقرير مبدأ عدم التداخل)

في سنة ١٨٢٢ سقطت وزارة المحافظين في انكلترا وخلفتها

﴿ فصل ﴾

﴿ في نشأة المعارضة القانونية في فرنسا ﴾

وكان في مجلس نواب فرنسا رجال عظام منهم شاتوبريان ورويه كولار ودي بروجلي وباسكيه ودي برانت وموله وبنجامين كونستان يخدمون الحرية خدما جليلة . ومثل ذلك قامت جرائد عظيمة الشأن منها الكلوب والمراقب والديبا والكونستيتوتسيونيل ورائدفرنسافكانت كالحكومة الجديدة في داخل الحكومة تراقبها وترشدها . وكانت جمعية العلماء (الاكاديمي) تحتج على ما يوضع لمصادرة الحرية في نشر بعض الصحف والمحاكم تبرئ ساحة بعض كتاب الجرائد الذين كانت الحكومة تعتدي عليهم . وفي الجملة كانت الامة الفرنسية تخطو خطوة عظيمة في طريق الفلاح لاني الآداب والعلوم والافكار وحدها بل في التجارة والصناعة أيضاً حتى انها استعادت في عشر سنين كل ما خسرت في حروبها السابقة . وفي ذلك الوقت نشأ المبدأ الاشتراكي من قطرات قلم سان سيمون (١٨٢٦) ثم انتشر انتشاراً ضعيفاً في بدئه كان يضحك منه ولا يحسب له حساب . وكان في فرنسا حزبان الملكي والحر وكان الملكيون المتطرفون المعروفون برجال الاخوية هم السائدون . ولما توفي نابليون انقطع الرجاء من عود الامبراطورية لان ابن الامبراطور كان أسيراً في ويانه وابن أخيه لويس كان لا يؤمل منه

ويرون الانكليزيان ثم مؤسسوه ورافعوه الى اسمى درجاته تياري
وكيزو ودي بارانت ومينيه وميشله في التاريخ وكوزين وجوفروا في
الفلسفة وهوغو ولامارتين ودي فيني ودوماس وموسه وبالزاك
في الشعر والروايات التمثيلية والقصص الموضوع وفيلان وسنت
بوف في الانتقاد البياني الادبي . ووجد مثل ذلك المذهب في
التصوير وامتاز به جاريكو ودي لاكروا واري شفر واينكر ودي
لاروش وايوبولد روبرت وكذلك في النحت وامتاز به دافيد
ورود . ثم ان العلوم التحقيقية اخذت تتقدم فاكتشف شامبوايون
المكتوبات المصرية القديمة وكشف ساسي ورعموزات الستار عن
المشريات وكتب جنيو تاريخ الاديان القديمة وأوضح ما خفي من
أمرها على الناس . وكل هذا زاد ترقية الافكار واستماتها الى
الروح الجديد ايا كان شكله سياسياً أو غير سياسي . وكان لتقدم
العلوم الطبيعية مثل هذا التأثير وهذه أسماء أشهر علماء فرنسا
وبالتالي علماء الدنيا في ذلك الوقت . بواسون وامبير وفرسئل وكوشي
شازل واراغويو ودولون في الفلسفة الطبيعية والحسابية وجاي
لوساك وتينار وشفرول ودوماس في الكيمياء وكوفيه وجوفروا
وسنتيلار وبرونيارد دي جوسيو وايلي بومون في العلوم الطبيعية .
والي سنة ١٨٣٠ كان قد تكامل اختراع البواخر والقطر ووضعت
أساسات التلغراف الكهربائي .

منه منح مليمار تعويضاً للمهاجرين واعادة اديرة النساء وحق
 البكورية في الميراث وسن قانونين في نهاية الشدة على الجرائد.
 فوافق المجلس على جميع هذه الاقتراحات ولكن مجلس الشيوخ
 قاومها فاستمال الشعب اليه أياما معدودات . وفي شهر مايو سنة
 ١٨٢٥ جدد الملك حفلة التتويج على الشكل القديم فاقام الشعب
 مظاهرة عداية ضد ذلك وكان القائد فوا من زعماء الاحرار قد
 توفي فشييع مشهده مئة الف نفس وفتح اكتتاب وطني جمع به مال
 كثير لدفع الفاقة عن اولاده .



﴿ الباب التاسع والسبعون ﴾

﴿ في اتساع نطاق الافكار الحرة ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في فرنسا ونشأة المعارضة القانونية فيها وحالة الآداب والعلوم ﴾

وفي ذلك العهد توهم الناس ان فولتير بعث حياً اكثر مما كانت
 تأييمه تنشر وأخذ الشعب يطالع كل قول حر بارتياح واقبال عظيم
 وحدث أن النفس الكتابي انقلب من الشكل القديم الى شكل جديد
 وسمي أربابه بأهل المذهب الروائي في الكلام (١٨٢٥ - ١٨٣٠)
 وقد كان المهيدون لهذا المذهب جوتي وشيار الالمانيان وشكسبير

اندجوار وأراد به ان يمنع استبداد أي من الثريقين الملكي أو الحر
 بالآخر غير ان الملك فرديناند لم يقبل بهذا الشرط وأمر فسيف
 ريانغو زعيم الاحرار الى المشقة على حمار وقتل في ذلك المكان ٥٢
 من أشياعه وساد الاستبداد . وقد جرى في لشبونه مثل ردّ العمل
 الذي جرى في مدريد وانفرد ملكها بالسلطة . على ان الحماية
 الفرنسية لم تكسب الملك نفراً يذكر في أعين مواطنيه ولم ينجم
 عنها في فرنسا سوى ان الوزارة «الاخوية» التي قررت ارسالها
 فازت في الانتخابات التي جرت في ذلك الوقت بحيث لم يدخل
 مجلس النواب الا تسعة عشر من الاحرار

﴿ فصل ﴾

﴿ في كارلوس العاشر (١٨٢٤) والوزارة الاخوية ﴾

عند ماتوفي لويس الثامن عشر المعروف باعتداله فاز المتمر فون
 من الملكيين كل النوز ووضعوا التاج على رأس الكونت دارتوا
 (١٦ سبتمبر ١٨٢٤) وكان هذا الملك لم يستفد أدنى فائدة من العبر
 التي مضت مع انه كان أول المهاجرين في سنة ١٧٨٩ . ولذلك لم يكند
 يستقر على السري حتى أرسل وزيره فيلال الى مجلس النواب يطالب

(١) نسبة الى الجمعية الدينية السرية المعروفة باسم الاخوية التي كانت

من أعوان الحكومة الفرنسية الملكية

في اسبانيا وايطاليا فدخل جيش عظيم من النمساويين نابولي وتوزينو
ومسينا وكانت تنصب وراءه المشايخ وتملأ السجون بالتهمين في
البندقية وليمبا وسبيلر وند وجد في سجون صقليا ونابولي ستة
عشر الف نفس واعتقل ٤٠٠ نفس في الولايات التابعة للكنيسة
مع انها لم تحدث فيها حركة . وأرجع ملك سردينيا السخرة (١٨٢٤)
ومنع عامة الشعب الفقراء من التعلم (١٨٢٥) وأعاد البابا القضاء
المدني لمحاكم الإساقفة ورد حق الايواء والاغاثة للكائس وصادر
كل جمعية تشتغل بعلم أو أدب كرهاً لتنفوز أذهان الناس . ولما خلف
البابا ليون الثاني عشر البابا بيوس السابع (١٨٢٣) أصدر منشوراً
مانعاً للزواج المدني محسباً لملوك على عدم التسامح في أمر ديني
وأعاد التفتيش فملاً بتهمة السجون . وفي سنة ١٨٢٣ ظن ان هذه
السياسة افلحت حيث امتنع التامر والنبل والثورات ولكنه كان
امتناعاً مؤقتاً . أما اسبانيا فارسل اليها لويس الثامن عشر جيشاً بقيادة
دوق انجوليم لاختاد الثورة فيها وانما فعل ذلك لاسترضاء دول
التحالف المقدس وليستعيد بعمل عسكري بعض مجد أجداده
فدخل الجيش اسبانيا في ١٧ ابريل سنة ١٨٢٣ ولم يقاتل في طريقه
قتالاً يذكر الا قداس فانه حاصر ها وفي ٣١ أغسطس أخذ مركز
التروكاديرو فسلمت المدينة ودخلها الجنود ففتحوا السجون وأخرجوا
منها المظالمين المطروحين فيها . ثم أصدر الدوق دانجوليم منشور

فقرروا وضع الكليات والمطبوعات عامة تحت المراقبة الشديدة
وان تشكل لجنة في ميانس لتبحث عن أعداء النظام الجاري
وتعاقبهم . ثم عقد مؤتمر في ويانه استمر ستة أشهر (نوفبر ١٨١٩)
واستصدر منشوراً من البابا شاجبا للجمعيات السرية وقرر اتخاذ
جملة وسائل أخرى لمحاربة حرية الفكر وأنهى أعماله بنقض جميع
الامتيازات التي كان ملوك الدول الثلاث قد وعدوا بها الشعوب
الخاضعة لهم . ثم أخذ الذين في أيديهم أزمة سياسة لحالفة المقدسة
ينفون ويسجنون العلماء والكتاب والفلاسفة وسائر المجاهدين
بافكارهم الحرة ويلغون الجرائد والمجلات .

أما فرنسا فلما قتل فيها الشقي لوفل الدوق دي باري لتعرض
به سلالة بوربون الاولى تسلط حزب الماسكين المتطرفين على عقل
لويس الثامن عشر وحملوه على مصادرة الحرية الشخصية واعادة
المراقبة على الجرائد ثم فاز هذا الحزب في الانتخاب ولم يدخل
مجلس النواب الا عشرة من الاحرار وذلك لما اثر في القلوب
هذا الاعتداء . ولما اتفق حدوثه في ذلك الوقت من وضع أرملة
الدوق دي باري غلاما (٢٩ ستمبر ١٨٢٠) ووفاة نابليون الاول
(٥ مايو ١٨٢١)

أما دول التحالف المقدس فقد قررت في مؤتمرات تروبو
(١٨٢) ولباخ (١٨٢١) وفيرونه (١٨٢٢) أن تقتل حرية الفكر

﴿ فصل ﴾

﴿ في عاوكمة التحالف المقدس في أوربا وحماتي ايطاليا (١٨٢١) ﴾

(واسبانيا ١٨٢٣)

عند ما أحست دول التحالف المقدس بوهي عملها وقرب
وهنه أخذ ملوكها بجمعة معون مراراً متوالية ويدير مناقشاتهم السياسي
الشهير البرنس مترنيخ حاكم النمسا . وكانت خطة هـ هذا السياسي
الاحتفاظ بالحالة الحاضرة في كل مكان . ولما كثرت حوادث
التآمر والقتل والهياج العام واشتبكت دسائس الجمعيات السرية
اتفق مترنيخ والقيصر وملك بروسيا على تجديد الاتفاق بين الدول
الثلاث يتم ذلك في اكس لاشابل (نوفبر ١٨١٨) وتقرر ان يجتمع
رؤساء تلك الدول أو وزراءها ليقروا المسائل التي يقتضيها السلم .
وفي فبراير ١٨٢١ عقدوا اجتماعاً في ليباخ فقررروا « ان التغييرات
التي تجري في الحكومات لا ينبغي ان تصدر الا عن ارادة » الذين
القي الله عليهم مسؤولية السلطة « أي الملوك وكان معنى هذه العبارة
ان كل ملك يكرهه شعبه على سن دستور لهم يحق له ان يستعين
عليهم برصنائه الاجانب وكان أكثر المسكين في فرنسا راضين
عن هذه السياسة أما ان كانت افاضت الاشتراك فيها وانفردت عن
القائمين بها . وفي سنة ١٨١٩ انعقد مؤتمر كاراسباد في بوهيميا على
أثر مقتل كوتزيبو وكان الحضور فيه من الامراء الالمانيين

يتآمر عليه من أئمة يتظاهرون إلى أن تثار الجيش كله وأعلن القائد ريانغوفي
 قانس (٥ يناير ١٨٢٠) والقائد مينا في البرانس عود البلاد إلى
 دستور ١٨١٢ فقتل الملك وأقسم يمين الطاعة للدستور « بناء على
 إرادة الشعب » (٩ مارس ١٨٢٠) وفي اليوم نفسه طرد الجزويت
 الذين كانوا مستشاريه في استبداده والنفي ديوان التفتيش وباع
 أملاكه لاستهلاك قسم من الدين العام بثمنها ورد الحرية للجراند
 وكان ما جرى في اسبانيا عنوان الفوز النهائي للروح الجديد
 على الروح القديم. وقد رن لهذا الثورة صدى في لشبونة (اغسطس)
 وآخر في صقيا ومملكة نابولي (لويو) وآخر في بنفانتى وبونتي كورنو
 من عمالات الكنيسة وآخر في بيامونتي التي استقال ملكها
 (مارس ١٨٢١) وأخذ جماعة من ذوي المقامات يفكرون في تأليف
 اتحاد بين أمارات ايطاليا وممالكها وآخرون في ضم أشتاتها إلى
 مملكة واحدة .

وعليه فإن كل جنوب اوربا عاد إلى الدستور وانطلقت ريح
 الحرية إلى ما وراء البحر الأتلانتيكي فحمت مستعمرات اسبانيا على
 الاستقلال ومن جهة أخرى هبت على تركيا أثارت الرومانيين واليونانيين
 عليها (مارس وابريل ١٨٢١) أما بولونيا فبعد فقدتها حرية الجراند
 (١٨١٩) ومجلس النواب (١٨٢٠) شكلت جمعيتي الدوايين
 والحصادين للتهييج واستعدت للثورة .

الافكار الجديدة املاً منهم انهم يمنعون بذلك هبوب ريح الحرية
 التي كانت تعصف في كل مكان غير انه لم ينتج من شدتهم سوى
 التجاء الشعوب الى التآمر والنواضئ وذلك من سنة ١٨١٦ الى ١٨٢٢
 ثم الى قتل بعض الامراء والوزراء وبعض المنتصرين لهم من
 الكتاب وذلك من سنة ١٨١٩ الى ١٨٢٠ ثم الى الثورات وذلك
 من سنة ١٨٢٠ الى ١٨٢١ . وكان أشد التآمر في حكومات
 التحالف المقدس وأعظمه انتشاراً في فرنسا واسبانيا وناپولي وتورين
 والامارات الجرمانية واسوج واضعته في روسيا التي كان لا يدخلها
 النور ولا الهواء المتجدد لتبدل طبقات شعبها بعضها فوق بعض
 الا بولونيا فانها اضطرت القيصر بعد الملاينة لها ان يضع المراقبة
 الشديدة على جرائدها ويلغي دار ندوتها ثم يعلن أن لا وجود للامة
 البولونية وانها فصيلة ملحقة بالشعب الروسي . أما انكتر اقسامت
 من المؤامرات لان شعبها كان غير مضغوط عليه وكان يقترح ما
 يريد به بالمظاهرات العانية . وكان أول ما حدث من الثورات في
 اسبانيا فان الشعب عند مارد لفرديناند السابع تاجه انفذ اليه نوابه
 فقابلوه على التخوم وعرضوا عليه دستور سنة ١٨١٢ فوافق عليه
 ثم قالوا له « لا تنس انك يوم تحل بهذا القانون فالعقد الذي جعلك
 ملكاً علينا يكون محلولاً » ولكن الملك نسي وبالغ في الاستبداد
 فاعاد التعذيب واكثر من اصدار الاحكام بالاعدام لجعل الشعب

واسبانيا . وكانت في اليونانية جمعية الهتيري وفي بولونيا جمعية « الدواوية » و الحصادين » . وكل هذه الجمعيات كانت تقاوم الحكومات في الخفاء ولذلك اتخذت الحكومات شركات تماثلها لتقاومها بها فكانت لها جمعية « السانفديست » في ايطاليا و « جنود الايمان » في اسبانيا و « الإداسكت » في بروسيا و « والتردينادية » في النمسا و « الاخوية » في جميع البلدان .

وقد رأينا فيما سبق نشأة جمعية « النضالية » في المانيا فلما ردت بمساعيها التيجان واسرة الملك الى الامراء الذين فقدوها كأفوها على ذلك بان حلوها وشتتوها فنشأت على أثرها جمعيتان سريتان احدهما « الارمينيا » والاخرى « تعاون الرفاق » وكبر حزبهما وانتشرت دعوتهم لاتحاد المانيا واستقلالها بين الشعب حتى ان جمهوراً من العامة قاموا في يوم ذكرى انتصار ليبزيك ونشأة البروتستانية بمظاهرة عظيمة نشروا فيها راية الاتحاد الالماني وأحرقوا فيها الكتب المنافية لمبادئهم فكان من الامراء الجرمانين ان عاقبوا الشعب على هذه المظاهرة بالغناء كثير من المدارس الكلية منها اربع افقت في البلاد البروسية وحدها .

﴿ فصل ﴾

﴿ في المؤامرات (١٨٢٦ - ١٨٢٢) والثورات (١٨٢٠ - ١٨٢١) ﴾

وقد رأى الملوك والامراء ان يزيدوا الضغط على ارباب

الموضوع في سنة ١٨٠٤ كان ذاملايين من الانصار في البلاد على اختلافها فهم في بلجكا وايطاليا وبولونيا دعاة وطنية لا يطبقون غير الاجنبي وفي سائر الدول زمر من الفرانماسون أو الجمهوريين المستحدثين وجميعهم يدافعون عن الانكار الحرة هذا بخطبه في مجلس نواب لم تقبله يد الاستبداد وذاك بمقالاته في الجرائد التي لاتضيق عليها المراقبة والآخر بتأليفه من شعرية وثرية الى ماشا كل هذه الوسائل . وهؤلاء كانوا يريدون التقدم السلمي وهو الاصح والافيد غير ان فريقا كبيرا من ذوي المغالاة في ميادهم لغايات أو منافع ذاتية كانوا يريدون الثورات والقتل وهم أعضاء الجمعيات السرية التي منها « فتية الشمس » واشماعيل الدبوس الاسود « والوطنيون اشيع سنة ١٨١٦ » وعقبان بونابرت « وهذه الجمعيات وماشا كلها كانت محلية . وكانت بازائها جمعيات أخرى عامة ممتدة في البلاد على اختلاف شعوبها كجمعية « الوطنيين الاوربيين المصلحين » وانصار البعثة العامة « وغيرها . وهذه كانت تستثير الشعوب على الملوك ثم أخذ خلف رجالها الاولين يسمون في توحيد الامم بدون تمييز وطن عن آخر لاعانة الفقراء على الاغنياء والنعلة على أصحاب المعامل . ومن أشهر هذه الجمعيات جمعية الكاربوناري وسموا بالفحامين لانهم كانوا يجتمعون في اقصى الغابات في اكواخ الفحامين وكان اكثر انتشارهم في ايطاليا وفرنسا

فرنسا يدعون الناس الى التدين وأشهرهم شاتوبريان وبونالد
ودي مستر والكاهن لامناي الذي خرج عن الكنيسة فيما بعد ثم
ثم هيكو ولامارتين وغيرهم. وكل ذلك اعان الكنيسة على استرجاع
سطوتها. ولا عجب بهذا الانقلاب السريع الذي حدث فانما هو
نزاع بين المبادي الحرة والمبادي التقليدية كان لابد من حصوله
لتنجس منه الحقيقة.

وقد حدث في المانيا ان فريدريك غليوم الثالث انتدب لحماية
البروتستانية في المانيا وأراد ان يوحد هذا المذهب ليقاوم به وحدة
الكنيسة فادخل عليه شعار دينية منافية لابديا الذي وضع لاجله
ففسد مقصده عليه. غير ان غليوم الاول امبراطور المانيا عاد الى
تحقيق هذه الامنية في هذا العهد ولكن على شكل آخر وذلك
بأنه جعل الكنيسة أمة كانت صورتها خاضعة لصاحب المملكة وما
يتعلق بالكنيسة تحت سيادة الحكومة.

وعلى هذا النمط تم رد الفعل الذي أحدثته الثورة غير انه لم
يكن ليدوم ولم يلبث أهل الروح الجديد وأعوان الحرية ان أخذوا
نقاومونه بطرائق كثيرة مختلفة سيرد ذكرها.

﴿ فضل ﴾

﴿ في حرية الصحف والجمعيات السرية ﴾

فالروح الجديد روح الدستور الموضوع في سنة ١٧٨٩ أو

لافايت وبنجامين كونستان وغيرهما وكان من ذلك العهد ابتداء سير
الحكومة الفرنسية في سبيل النياحة عن الشعب بطريقة منتظمة
وساعدوا الملك على هذا السير بحكمته واعتداله .

﴿ فصل ﴾

﴿ في تعاهد الكنيسة والحكومة وذكر الأخوية ﴾

روينا فيما سبق رجوع بعض الدول الى الافكار الدينية
لتصنيفها أعمالها السياسية وقد انتهزت الكنيسة هذه الفرصة
لتأييد تعاليمها ومحاربة المذاهب الحرة التي كانت تخشاها أكثر من
شدوذ لوثير وكالينوس عنها وما زالت تريد في مطالبتها بقدر
ما يتسع نطاق الحرية الفكرية حتى أتمت عملها في هذه الايام بما
قررته من عدم قابلية البابا للخطأ .

وفي سنة ١٨١٤ أصدر البابا بيوس السابع أمراً مناقضاً للامر
الذي أصدره البابا اكليمندوس الرابع عشر في سنة ١٧٧٢ بالغاء
رهبنة اليسوعيين فتجددت شركتهم وانبثوا في أطراف الارض
ودخل بينهم أمراء ذهبوا الى أقاصي الدنيا لارشاد الناس وتولوا
ادارة المدارس في أكثر بلاد أوروبا الا فرنسا فان المدارس عهدت
ادارتها فيها للاساقفة .

وفي ذلك الوقت قام جماعة من كبار الكتاب خصوصاً في

التي زادها اكتشاف اركرايت لمغازل القطن ووات للآلة البخارية
 وفتون للباخرة وستفانسون للسكة الحديدية (١٨٢٤) ودافي للمصباح
 المأمون ولذلك وضعوا الأثمة تسهل مبيع التمتع في السوق الانكليزية
 لتخصيل أراضي اللوردية ولونجم عن ذلك عسر دائم للاهالي
 وعرضوا من أجله للجماعة أحياناً

وأما في فرنسا فقد تحولت الحال حتى أصبح أعضاء مجلس
 النواب يصرحون علناً برغبتهم في الرجوع الى النظام القديم وقد
 استصدروا من الملك احكاماً رسمية وغير رسمية بفظائع ومنكرات
 كان يعضها مرغمًا منها نفي ٥٧ بريئاً وقتل المارشال ناي وجماعة من
 القواد ومنها الايعاز بقتل المارشال برون والقائدين رامل وليغرد
 ومنها احداث مذابح كذاب أيام الارهاب واقامة محكمة شديدة
 كمحكمة الارهاب . وقد ارتكب فرديناند السابع مثل هذه الجرائم
 في مدريد . وكذلك حكومة نابولي سلحت عصاة الكالدراري
 (المرجليين) لينهبوا ويسلبوا عصاة الكاربوناري (الفحامين) من
 الجمعيات السرية .

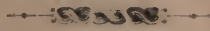
أما لويس الثامن عشر فقد ساءه مارآه من تمادي الملكيين
 في غيهم وفي مبادئهم القديمة المناقضة لروح الجديد ففض مجلس
 النواب الذي كانت أغلبية أعضائه منهم (٦ ستمبر ١٨١٦) وبعد
 ذلك كثر الاحرار في مجلس النواب وكانوا حزب الشمال برئاسة

الثورة ثلاثا وعشرين سنة نقضت هذا المبدأ من حيث أبدلت
الجنود المتطوعين بالدوريين ووحدة السلطة الادارية التي كانت
متفرقة وعودت الرعية على القيام باكثر مما كانت تقوم به من
ضريبة المال وضريبة الدم أو التجند. ولذلك أصبح الملوك يعدوا ترو
ذوي سطوة أعظم واستبداد أشد وسعوا الى تعزيز الروح القديم
وقتل الروح الجديد.

ففي بالرمة ومدريد الني دستور ١٨١٢ وأعيد الاستبداد وفي
ميلانو أبدل القانون الفرنسي بالقانون النموي . ورجعت الحالة
العامه في بياصوني وفي بلاد الكنيسة الى ما كانت عليه سنة ١٧٩٠
وتعهد ملك صقليا الامبراطور النمسا انه لا يخالف رأيه في المبادئ
التي يجب ان تدور الحكومة عليها ففتح من ذلك ان أعيد التنيش
الديني في جنوب الالب والبيريني وردد امتيازات الكهنه اليهم
وفي الاحرار وسجنوا وقتلوا

اما في المانيا فتناسى الامراء ما وعدوا به شعوبهم سنة ١٨١٣
من الاصلاح الدستوري الا في بافاريا وبعض الولايات الصغيرة.
وأما النمسا وبروسيا فاستمرت على حالهما لكثرة ضغطهما على الشعب
بالالوف المسلحة من الجنود حتى كأنه لم يحدث أمر جديد في أوروبا
منذ ربع قرن. وأما في انكلترا فكانت سياسة المحافظين موجهة الى
تأييد مصالح الشرفاء اذ كادت تغاب على ثروتهم ثروة أرباب الصنائع

مندوبون من لدن الله ليحكموا النمسا وبروسيا وروسيا باعتبار انها
فروع لاسرة واحدة» وهكذا مسحت جنائيات مؤتمر ويانه على
كثير من الاقوام الضعيفة بصبغة التقديس وجعلت المطامع
والمحارم التي ارتكبتها تحت راية «دين العدل والمحبة والسلام»



❦ الباب الثامن والسبعون ❦

❦ في التحالف المقدس والجمعيات السرية والثورات ١٨١٥-١٨٢٤ ❦

❦ فصل ❦

❦ في الروح الحديث والروح القديم من سنة ١٨١٥ الى ١٨٣٠ ❦

ان الثورة أحدثت فكريين عظيمين وهما المساواة بين الافراد
امام القانون والحرية السياسية للامم. وقد فاز الاول وانتشر في
اوربا بقانون نابليون وسيفه واما الاخر فانكره الذين انتصروا في
ليبيك وواترلو وحاربوه من سنة ١٨١٥ الى سنة ١٨٣٠

❦ فصل ❦

❦ في محاولة ارجاع النظام القديم ❦

رأينا فيما سلف ان ثورة ١٧٨٩ انشئت لتمنح الانسان كل ما
يستطاع منه اياه من الحرية ولكن الحروب التي استمرت على اثر

واسترجعت النمسا نفوذها الاول فيها باخذها ميلانو والبندقية
وتوابعها ووضعها الحاميات على الضفة اليمنى من البو ونصبها أحد
صنائعها على عرش توسكانا واشتراطها رجوع ملكية بارهه
وبايزانس وغواستالا اليها بطريق الارث عن الامبراطورة ماري
لويزه التى منحت ريع تلك الدوقيات من حياتها . وفي الختام ضم
المؤتمر نروج الى اسوج تعويضاً لاسوج عن فقد فنلانده التى سابتها
روسيا اياها وأعطى الدانمرك لوينبورج عوضاً عن نروج فأصبح
ملك الدانمرك بامتلاكه هذه الدوقية عضواً في الاتحاد الجرمانى
وبالتالى عدواً لفرنسا بعد ان كانت دولته حليفة لها في حالتى السراء
والضراء زماناً طويلاً .

﴿ فصل ﴾

﴿ في التحالف المقدس (١٨١٥) ﴾

على أن هذا المؤتمر الذى تمت أعماله في ٩ يونيو سنة ١٨١٥
كان أعظم عمل سياسي قامت به اوربا بعد معاهدة وستفالي ثم
اراد امبراطور روسيا والنمسا وملك بروسيا ان يلونوه بصبغة دينية
فعدوا في ١٤ ستمبر سنة ١٨١٦ معاهدة التحالف المقدس في باريس
« ليظهروا بها للدنيا صحة عزيمتهم على جعل أساس سياستهم في الداخل
والخارج « الدينى المسيحى دين العدل والمحبة والسلام » و« أنهم

وجزائر سيشل وجزيرة ايل دي فرانس في بحر الهند والاملاك الهولندية في رأس الرجاء الصالح وفي سيلان .

ولم تكف الدول المتحالفة بكل ما استزادته من هذه الاملاك التي كانت لفرنسا بل ضمت باجكا وهولنده الى مملكة واحدة تحت صولجان البرنس دورانج لتكون بمثابة مركز امامي لها في شمال فرنسا وأعطت القسم الاكبر من البلاد الريفية لبروسيا وقسما صغيراً منها لمس دراستاد وبافاريا بحيث تضبط بذلك فرنسا من الشمال الشرقي وردت سافوا ملك يامونتي بحيث جعلت مدينة ايون على مسيرة يومين من الجيوش التحالفية . اما المانيا فقد طال الجدل في أمرها ثم تقرر ان لاتعاد الامبراطورية اليها وان تبقى حكوماتها الكثيرة المختلفة على استقلالها الداخلي التام ويكون لحكامها مجلسان ينظران في الشؤون الخارجية احدهما عادي وهو الذي يجتمع فيه ١٧ من الامراء الكبار والآخر عام وهو الذي يجتمع فيه جميع الحكام ويكون المجلسان أبدأ تحت رئاسة النمسا . وعلى هذه الصورة جمعت المحالفة الالمانية عدوة لفرنسا .

ثم ان سويسرا منحت قسما من جكس وآخر من سافوا فم بذلك الاتحاد الهلفيشي (السويسري) الذي جعل المؤتمر استقلاله تحت ضمانة الدول على الدوام .

وأعيدت للبابا وملك صقليا أملاكهما المفقودة في ايطاليا

النفوس وأصناف السكان فان أحد سكان الضفة اليسرى من الرين
 مثلاً كان يسوى اكثر من أحد سكان الضفة اليمنى من الاودير
 وهكذا على أن هذه المعاهدة كادت تنقض قبل عقدها لاتفاق
 فرنسا وانكلترا والنمسا على ذلك بسبب ما اتفقت عليه روسيا
 وبروسيا من أن الاولى تضم اليها مملكة ساكس وكانت الدول
 التي عارضت هذا الاتفاق تود بقاء ساكس على استقلالها ففاضت
 بما تريده وأعطت بروسيا ولايات الرين بدلاً منها وكان من هذا
 البديل منشأ مصائب فرنسا فيما بعد. اما روسيا فأخذت أفضل
 قسم من غراندوقية فرسوفيا الى أبواب بوزن وكرا كوفيا وأخذت
 غاليسيا الغربية ودائرة زاموسسك. وأما النمسا فاعطيت ولايات
 البندقية وراغوز وأودية فالتين وبورميو وشيا فينا وسالزبورج
 وتيرول وفورارلبرج واما بروسيا فنحت دوقية بوزن وبوميرانيا
 الاسوجية و٧٠٠ الف نفس في ساكس ووستفاليا وبروسيا الرينية
 واما انكلترا فلم تكن لها مطامع في القارة الاوربية بل اكتفت
 باسترجاع هانوفر التي كانت من أملاك تاج ملوكها وبقيت له بعد
 ذلك الى سنة ١٨٣٧ واحتفظت بما غنمته من المستعمرات في جميع
 البحار من خروب الثورة والامبراطورية وهي هلمبوغواند امام
 مصاب الالب والويزر والجزائر اليونانية بمستقبل البحر الادرياتيكي
 ومالطه بين صقليا وافريقيا وسنت لوسي وتاباغو في جزائر الانتيل

❖ ❖ ❖ الباب السابع والسبعون ❖ ❖ ❖

❖ في مؤتمر ويانه والخالفة المقدسة ❖

❖ ❖ ❖ فصل ❖ ❖ ❖

❖ في مؤتمر ويانه (٨١٥) ❖

لما دخل المتحالفون باريس ثانية عقدوا فيها معاهدة غير الاولى
(٢٠ نوفمبر ١٨١٥) أهم متمضياتها ان تؤدى فرنسا غرامة حرب
تبلغ ٧٠٠ مليون وغرامات لارباب ظلامات مختلفة من الافراد تبلغ
٣٧٠ مليوناً وان يحتلها المتحالفون احتلالاً عسكرياً لمدة خمس سنين
وان تخرج من حدودها شامبري وفيليفيل ومارنبرج وسارلويس
ولاندو ودوقية بويون وان تدمر الحصون والمعاقل في ثلاثة
مراكز من خطها الدفاعي تسهياً لعود المتحالفين اليها اذا مست
الحاجة الى ذلك وان تستولي انكرا على تاباغو وسنتلوسي وجزيرة
فرنسا وجزائر سيشل من المستعمرات الفرنسية وان تمنع فرنسا
من تحصين مستعمراتها في الهند .

اما مؤتمر ويانه الذي عقد في سبتمبر سنة ١٨١٤ لتسوية
مشاكل أوروبا فقد كان أشبه بسوق بيعت فيه الرجال البيض اذ
كان اقتسام الدول المنتصرة للبلاد المطموع فيها بحسب عدد

اطلاق زناد واحد وكان البوربونيون قد برحوها قبيل وصوله .
فأول ما فعله انه أصدر الدستور الاضافي وجعل فيه أكثر مواد
الدستور الواضع له لويس الثامن عشر وذلك ليستميل به حزب
الاحرار ثم ووطد الامن توطيداً في أطراف البلاد . وكان الامراء
المتحالفون لم يصرفوا عسا كرم ولم يزالوا مجتهدين في ويا نه لعقد
مؤتمرها وحل مشاكل أوروبا فلما عاموا بعودة نابليون أرسلوا ٨٠٠
الف مقاتل على فرنسا فقهر نابليون البروسيين في ليني (١٦ يونيو
١٨١٥) ثم تقدم في ٦٥ الف مقاتل فالتقى بخمسة وتسعين الفاً من
الانكاز والبالجيكين والهانوفرين في واترلو فقاومهم نصف نهار
ظاهراً عليهم ثم أخذ وانجتن يتقهقر برجاله واذا بجيش للبروسيين
تحت قيادة بلوشر قد وصل وكان فاراً من وجه القائد الفرنسي
غروشي فحمل على عساكر نابليون وهي متفرقة منهوكة من التعب
فكسرها (١٨ يونيو) فاستقال نابليون ثانية على ان يخلفه ابنه (٢٢
يونيو) ولكن المتحالفين عادوا فدخلوا باريس وردوا لويس الثامن
عشر اليها . اما نابليون فلجأ الى انكلترا فهدرت به وعده أسير
حرب ووثقه الى جزيرة القديسه هيلانة في وسط المحيط الاطلانتيكي
فقضى فيها ست سنين وفي اليوم الخامس من شهر مايو سنة ١٨٢١
توفي ذلك الرجل العظيم الذي فاق اسبل ابطال الدنيا وأمر
مديرى سياستها .

المارشال سوات صاده في طولوز فصدته عن التقدم حيناً ولم
يستطع ارجاعه . ولما وصل الاعداء الى ابواب باريس كان في وسع
الامبراطور ان يهاجم الاعداء من خلفهم ويرجعهم عنها غير انها
سلمت في اثنتي عشرة ساعة (٣ مارس) وقرر مجلس الشيوخ خلع
الامبراطور . وفي ١١ ابريل وقع نابليون على كتاب استقالته .

﴿ فصل ﴾

﴿ في العود الاول والايام المئة وموقعة واترلو (١٨١٤ - ١٨١٥) ﴾

فاتفق الفاتحون على تعيين لويس الثامن عشر ملكا لفرنسا
نخفت الراية البيضاء الراية المثلثة الالوان وأعيدت فرنسا الى تخومها
التي كانت لها قبل الثورة ورد الملك الى الاعداء بتمتضي معاهدة
باريس ٥٨ من المعائل والحصون التي أجلي الفرنسيين عنها و ١٢٠٠٠
مدفع و ٣٠ سفينة عادية و ١٢ بارجة (٣٠ مايو ١٨١٤) ثم حاول ان
يسترضي الامة بعد هذا الذل بما منحها اياه من الامتياز الدستوري
الذي عدل به نظام الملكية القديم وأهم مواده ان يكون لفرنسا
مجالس عالين تعرض عليهما المسائل العظمى . وبهذا لم يرض الملك
حزبه ولا غيره فعلم ذلك نابليون وهو في جزيرة اب فقدم فرنسا
في ثمان مئة جندي ونزل على أحد شواطئ بروفانس فارسلت
جنود اقاتلته والقبض عليه فانضمت اليه ثم دخل باريس بدون

السابقين وكانت النمسا مع ما بين امبراطورها و نابليون من النسب تنتظر
 الفرصة للانضمام الى الروسيين وكانت المانيا تحركها الجمعيات السرية
 لقب ظهر المحن للفاتح. غير ان انتصارات نابليون الباهرة في لوتزن
 وبوتزن وورشن سنة ١٨١٣ منعت النمسا من الخروج عليه الى حين.
 ولكنها لم تلبث ان ضمت جيوشها الى جيوش الاعداء وكانوا
 ثلاثمئة الف يوم التقوا في ايزنك بجيش نابليون المؤلف من ١٣٠
 الف مقاتل فاعترك الفريقان ثلاثة ايام كاملة اعتركا هائلا ثم انفصل
 الساكسونيون عن جيش نابليون ليحاربوه مع اعدائه فدارت
 الدائرة عليه للمرة الاولى وعاد راجعا الى الرين. على ان نابليون
 لو امتنع عن محاربة روسيا واعان امريكا في الحرب التي شهرتها على
 انكلترا قبل سفره الى موسكو لما اصابه هذا النشل ولقضى لبانته
 من اذلال بريطانيا العظمى.

وفي السنة التالية كان ابتداء حرب فرنسا التي اظهر فيها
 الامبراطور من عجاب ذكائه ونباتته ودهائه مالا يحيط به
 الوصف. فقد قاتل جيوش اوربا كلها بنضعة آلاف من الجنود
 وانتصر عليها في شامبوير وموفايريل وموترو غير انها كانت مع
 ذلك تتقدم لان طلاب الحرية ودعاة الماسكية كانوا يقابلونها بمقاولة
 المنقذين والاعوان ويخذلون نابليون لينضموا اليها. وكان ولنجت
 قد دخل من الجنوب بجيش انكليزي وقوبل بالترحيب غير ان

الروسيين في ويتسك وسوملنسك وفالوتينا وموسكو ثم دخل مدينة موسكو وقد أحرقها أهلها قبل مغادرتها فاضطر أن يتقهقر بعد زمان قليل خوف قضاء الشتاء في بقعة خربة فققد في الطريق بين الثلوج وخصوصاً في ممر البرسينا قسماً كبيراً من الجيش وجميع الركائب ومعظم الاثقال .

وكان الشاعر أرند في اسوج والوزير السابق شتين في روسيا يملآن بروسيا قصائد ورسائل يدعوان بها الشعب الى الثورة على نابليون ويحثون الجنود البروسيين المقاتلين معه على الغدر فتتج من ذلك أن جيشاً بروسياً بقيادة يورك ترك نابليون وانضم الى الروس وان ولايات المقاطعة البروسية ثارت وجهزت ٦٠ الف مقاتل عملاً بايعاز شتين الذي قدم اليها وهذا قصده فاضطر الملك فريديريك غايوم بعد تردد طويل ان يحالف روسيا بمعاهدة كاليش (٢٨ فبراير ١٨١٣) على ان ترضى له الاستيلاء على مملكة ساكس الالمانية . ثم أصدر أمراً يدعو به شعبه الى السلاح والتفاني في سبيل الوطن وأخذت الخطباء تخطب والكتاب تكتب في هذا المعنى وكان ذلك ابتداء ما سمي « بحرب الامم »

أما نابليون فبعد أن اجتاز البرسينا ذهب مسرعاً الى باريس وعبأ جيشاً . وكانت الدول حليفاته قد خذته عدا الدانمرك . وكانت اسوج اول الدول التي حملت السلاح عليه بقيادة برنادوت أحد قواد فرنسا

الوزير شتين يهول بها ويجسمها لاستنهاض هممة الشعب فعزله نابليون
 فاستخلفه ملك بروسيا فريدريك غليوم بهاندوف فجرى على خطته
 ولكن باعتدال ومن مآثره تأسيسه كلية براين التي كان يصدر منها
 الاستاذ فشت خطبه المهيجة للشعب الالمانى . وكان كذلك جماعة
 من الشعراء يكتبون القصائد الحماسية ينشدون بها الوطن المفقود
 اما اسبانيا فلما عجزت عن مقاومة الامبراطور بالسلاح حاربه
 بطلبها الحرية على مثال ما سنتها فرنسا في ثورتها وكان القائم بهذا
 الاقتراح مجاس نواب قادس وجرى ملك نابولي المعزول الذي لجأ
 الى صقليا على هذا المجرى في تلك الجزيرة فانه منح شعبها دستوراً
 كدستور انكلترا . وعلى هذا النمط انتشر روح الحرية بين الشعوب
 فكان لا بد ان يسقط استبداد فرنسا بهما عظم الرجال القائمون به

﴿ فصل ﴾

﴿ في موقعتي موسكو (١٨١٢) وليزيك (١٨١٣) ﴾

« والغارة على فرنسا ١٨١٤ »

وبينما كان نابليون مستخدماً ٢٧٠ ألف مقاتل من أفضل جنوده
 في محاربة قادس والجيش الانكليزي الذي ارسل لانجادهها بقيادة
 ولنجتون الشهير اراد اكراه روسيا على الاشتراك في الحصار البري
 وفي ٢٤ يونيو ١٨١٢ اجتاز نهر النيامن في ٤٥٠ ألف مقاتل وكسر

رأت ان هذا النشل دليل على ان جيش الامبراطور مع كل ما سبق له من الانتصارات صار الى حالة يجوز معها التغلب عليه .

اما بروسيا فلما بعد ان سلمت جيوشها وحصونها على أثر موقعة يانا أخذت تصلح شؤونها على يد وزراء أجنب أحيوها وعززوها وهم البارون شتين دي ناسو وشارنهورست الالمانيان وهارندبرج الهانوفري . وكان شروع أولهم في اصلاحها عقيب مصالحة تيلست فالغى رق الفلاحين ومنحهم حق الامتلاك وجعلهم يشعرون بوجودهم السياسي وجعل رتب الضباط في الجيش مشروعة للشريف والوضيع بلا فرق الا في الكفاءة والبسالة واستطاع ان يعد في سنين قليلة ١٥٠ الف مقاتل مع انه كان محظوراً على بروسيا ان يكون لها أكثر من ٤٢ الف جندي عامل . وفي ذلك الوقت الف بعض الاساتذة جمعية سرية تحت اسم جمعية الفضيلة انتشرت انتشاراً عظيماً في جميع المانيا وفي سنة ١٨٠٩ حاول أحد أعضائها قتل نابليون في شن برن فاضطدها من أجل ذلك فظلت تعمل في الخفاء الى ان ظهرت نتائج مساعيها في نهضة

١٨١٣

﴿ فصل ﴾

﴿ في تقدم الافكار الحرة في أوروبا ﴾

عند ما كانت ترد أخبار مقاومة الاسبانيين لجنود نابليون كان

ثم طلق امرأته جوزيفين على تراض بينهما وتزوج ماري لويز سليمة
آل النمسا أقدم بيت ملكي في اوربا وفي ٢٠ مارس من سنة ١٨١١
رزق منها غلاماً لقب منذ ميلاده بملك رومه وكان ذلك منتهى
سعادة هذا الرجل وتوفيقاته



﴿ الباب السادس والسبعون ﴾

﴿ فصل ﴾

« (في فوز تحالف الشعوب والملوك على نابليون (١٨١١ - ١٨١٥) »

« تنبه الشعوب واستعداد ألمانيا للثورة »

ان الشعوب التي لم تتأثر بادىء بدء لما أبدله نابليون من
ملوكها وأمرائها لم تلبث ان شعرت بانها أخطأت وعرضت كرامتها
للانحطاط اذ ان ربيعة الاجنبي لا تطاق ولو كان الاحسان مثقلها
فنهضت من غفلتها وأبغضت فرنسا بعد الحب لها وسنرى ملوكها
يقوون على نابليون بمعونتها بعد ان كانوا يعجزون عنه بدونها.

ولما انتصر نابليون في واغرام وهدم المحالفة الخامسة كان قائدها
جونو وماسينا في اسبانيا لم يستطيعا فتح البرتغال التي كانت انكترا
تمدها بالمال والقواد وسلم القائد دوبون مدينة بايلني بصورة
منجلة فاشتدت عزائم انكترا ونوت الحرب الى ان تفوز اذ

عباً نابليون جيشاً لطرده الانكليز منها . وكان في تلك الاثناء ولي عهد ملك اسبانيا كارلوس الرابع ثائراً على أبيه يريد خلع فاسنعان الملك على ابنه بالامبراطور فوجد الفرصة على مرافقه فقدم اسبانيا واقنع الملك باعتزال سيره بعد أن ابعد ابنه فاجابه الى طلبه (٩ مايو ١٨٠٨) فاستقدم الامبراطور أخاه يوسف لينصبه على عرش تلك المملكة ولكن أهلها قاوموه أشد المقاومة غير انه أنزلهم على حكمه بعد مواقع كثيرة وادخل جنوده مدريد وقبل ان يتم اخضاع تلك البلاد كانت انكلترا قد دعت الدول الى محالفة خامسة على فرنسا فاجابتها اليها خلافاً لما تعهد به ملوكها للامبراطور في مقابلة ارفورث .

﴿ فصل ﴾

﴿ في موقعة واغرام (١٨٠٩) ﴾

فبرح نابليون اسبانيا قاصداً ألمانيا وفي ٢ مايو من سنة ١٨٠٩ دخل ويانه ثانية وفي ٦ يوليو التالي فاز في معركة واغرام الهائلة التي عقدت على أثرها معاهدة ويانه . وقد تقدرت النمسا في هذه الحرب أرضاً يقطنها ٣٤٠٠٠٠٠ نفس قسمت بين فرنسا وروسيا وبافاريا وساكس وغراندوقية فرسوفيا . وبهذه المعاهدة بلغ نابليون منتهى مجده الحربي وامتدت سلطنته من مصاب الالب الى مصاب النهر .

وزارة ويليم بيت العدو الالديفرنسا خلفتها وزارة فوكس وكان أقل
حماسة وأميل الى السلام فاراد الامبراطور أن يعقد معه صلحاً ثابت
الاركان والمع الى أنه يرد مقاطعة هانوفر لانكترا واذ كانت بروسيا
تطمع في هذه المقاطعة غضبت واستعدت للقتال

واتفق أن توفي فوكس وعاد حزب محبي الحرب الى ادارة
سياسة انكترا فالجند بروسيا فنازلت جيوش فرنسا فدحرها
الامبراطور في يانا واورستاد (١٤ اكتوبر ١٨٠٦) واسقط ملكها
ثم التقى بالبروسيين فكسره في ايلو (٨ فبراير ١٨٠٧) وفي فريلند
(١٤ يونيو) وختمت هذه الحرب بمعاهدة تيلست التي وقع عليها
القيصر وكان من مقتضاها ان جعلت بروسيا اقل من نصف ما كانت
وأصبح سكانها خمسة ملايين نفس واعطيت فنلاندهلروسيا.

﴿ فصل ﴾

﴿ في الحصار البري ﴾

وبعد موقعة يانا اصدر نابليون أمراً من برلين قضي باعتبار
انكترا في حالة حصار وحظر كل تجارة معها

﴿ فصل ﴾

*(في فتح اسبانيا (١٨٠٧ - ١٨٠٨)) *

ولما كانت البرتغال قد أبت ان توافق على هذه السياسة الحصارية

عن الاخرى بداخليتها مرتبطة معها في ادارة الشؤون الخارجية
بما يقرره النواب في اجتماعاتهم بفرانكفورت . وانما فعل ذلك
ليفصل النمسا وبروسيا وفرنسا بعضها عن بعض بتلك الحكومات
فيؤيد السلام . ثم انه بعد موقعة تيلست التي سيأتي ذكرها تبادى
في مقاصده فجعل نصف أوربا حكومات تابعة لفرنسا وجمع على
رؤوس ذويه من التيجان ما لم يجتمع على رؤوس أسرة قديمة العهد
بالمك كآسرة بوربون وآل النمسا . فقد منح اخوته الثلاثة لويس
وجيروم ويوسف ممالك هوانده ووستفاليا وناپولي ونسيبه أوجين
بوهارني وكالة مملكة ايطاليا اذ كان هو ملكها وصهره صرات
غبراندوقية برج ثم مملكة نابولي ونقل أخاه يوسف من نابولي
فجعله ملكا على اسبانيا . ووهب شقيقته اليزا امارة لوك وبيومينو
ثم غبراندوقية توسكانا وشقيقته الاخرى بولينا دوقية غواستالا
وكان هو لا يزال وسيط سويسرا على ما قدمنا بيانه .
ولم يكتف بذلك كله بل أقطع كثيرين من كبار حاشيته وضباطه
امارات وعمالات

﴿ فصل ﴾

﴿ في موقعة يانا (١٨٠٦) ومعاهدة تيلست (١٨٠٧) ﴾

ان انتصار نابليون على المتحالفين في اوسترلتس أسقط

في أولم (١٩ أكتوبر) وأخذه فيها . وبعد ذلك بيومين بلغه خبر انتصار ويلسون على أسطوله في ترافلغار (الطرف الاغر) فعدل عن محاربة الانكليز في نفس بلادهم وعزم على هدم تجارتهم . وفي ١٩ نوفمبر دخل ويانه وفي ٢ ديسمبر انتصر على امبراطوري النمسا وروسيا في موقعة أوسترلتس وهي احدى المواقع الكبرى التي ورد ذكرها في التاريخ . فتراجعت بقايا الجيش الروسي مسرعة الى بلادها وتعهد امبراطور النمسا في معاهدة برسبورج بترك ولايات البندقية ودلماسيا لتضم الى ايطاليا وترك التيرول وسواب لتضم الى أملاك دوق ورتمبرج ودوق بافاريا ودوق بادن . وجعل نابليون الاولين ملكين والاخير ارشيدوقا (٢٦ ديسمبر)

﴿ فصل ﴾

*(في محالفة الرين والحكومات التابعة للامبراطورية) *

وكان نابليون يطمع في تغيير الشكل الذي كانت أوروبا عليه فلما فاز في اوسترلتس شرع في انشاء محالفة الرين فأكرد فرنسيس الثاني على ترك سرير المانيا فاستبدله بسيرير النمسا وانحلت باستقالته امبراطورية المانيا بعد ان دامت عشرة قرون ثم أخذ نابليون يضم بعض الولايات الالمانية الى بعض حتى أنشأ منها ٣٠ أو ٤٠ مملكة وامارة وولاية كبيرة وكانت في الاصل ٣٧٠ وجعل كلا منها مستقلة

زعيماً لسويسرا تحت لقب الوسيط فضم الى عمالاتها المتحدة ستا
أخرى ووحده النظام لجميعها والفي امتيازات بعضها على البعض ولما
أصبح امبراطوراً لم يغير نظامها بل اتخذ منها جيشاً لخدمة فرنسا

﴿ فصل ﴾

﴿ في التحالف الثالث . وموقعة اوسترلتس ومعهادة برسبورج ١٨٠٥ ﴾

في ١٥ مايو من سنة ١٨٠٤ رجع بيت الى الوزارة في انكلترا
فساد معه الحزب المائل الى الحرب وكانت انكلترا قد نكثت
بوعدها ولم تتجمل عن مالطه وصادرت ١٢٠٠ مركب فرنسوي
وهولندي بدون اعلان حرب فعاقبها نابليون على ذلك بشن الغارة
على مقاطعة هانوفر التي كانت لها ثم جمع جيوشه في بولونيا
استعداداً لاجتياز المانش ومحاربة بريطانيا العظمى براً فخافت من
ذلك الخطر العظيم وبذلت المال لتعقد محالفة ثالثة فاشتركت فيها
اسوج وروسيا والنمسا و نابولي فلما علم نابليون ان ١٦٠ الف نمسوي
زاحفون بعضهم على الاديج تحت قيادة الارشيدوق كارلوس
وبعضهم على الرين تحت قيادة القائد ماك وان وراءهم جيشاً روسياً
لانجادهم ارجأ فكر الانتقاص على انكلترا وخرج بجيشه من
بولونيا واستقدم « الجيش الكبير » الى الرين وبينما كان ماسينه
واقفاً ازاء الارشيدوق كارلوس دار نابليون حول ماك وحصره

قيصر روسيا وملوك بروسيا والدانمرك واسوج وجددوا عصاة
أهل الحياذ لتقرير حرية البحار (ديسمبر ١٨٠٠) فصادرت انكلترا
مراكب الدول المتحالفة التي كانت في موانئها وأرسلت نلسون
فر من السويد وتهدد كوبنهاغن . واتفق ان توفي القيصر بولس
الاول فاحلت العصاة على أثر وفاته لما أظهرته انكلترا من البسالة
والقوة البحرية وبقيت فرنسا منفردة في الدفاع عن حرية البحار
وكانت انكلترا مع ما نالته بعد ذلك من جلاء الفرنسيين عن مصر
ومن وقوع مالطه في أيديها عقيب حصار دام ٢٦ شهراً قد أثقلتها
ديونها التي بلغت اثني عشر ملياراً وأضعفتها فاقه أهل الطبقة الدنيا
من سكانها وثوراتهم المستمرة من أجل ذلك وهالها مارأته من تجدد
قوة فرنسا البحرية والاستعدادات التي كانت تجريها في بولونيا
لمحاربتها وانتصار ثلاث سفائن فرنسوية في الجزيراس على ست
سفائن بريطانية وتغريقها اثنتين منها فاسقطت وزيرها بيت قبيل عقد
معاهدة لونيڤيل ثم وقعت على صلح اميان في ٢٥ مارس من سنة ١٨٠٢
وبموجبها اعترفت بالجمهوريات التي أنشأتها فرنسا وردت اليها جميع
مستعمراتها وتمهدت برد مالطه الى فرسانها والرأس الى هولنده
واحتفظت بجزيرة الثالوث الاسبانية وجزيرة سيلان الملتزمة
لمستعمرتها الهندية

والابرام والف لجنة من بورتاليس وترونشه وبيغو وبريامنو ومالقييل
لوضع القانون المدني المشهور بكود نابليون وكان في الغالب يرئس
تلك اللجنة فلما فرغت من عملها عرضته على مجلسي الحكومة
والتشريع فتناقشا فيه بعد ان نقحه كبار رجال القضاء وأعضاء مجلس
الشورى . وفي سنة ١٨٠٤ أمضي . ومن مآثر بونابرت تشييد بنك
فرنسا فانه خدم البلاد أجل الخدم في أوقات اعسارها .

﴿ فصل ﴾

﴿ في موقعة مارنغو وصلاح لونيڤيل وصلاح اميان ﴾

عند مارأى الملكيون خيبة آملهم رفعوا راية الثورة في غرب
البلاد فقمها بونابرت بالوسائل الشديدة ثم وجد ان فرنسا في
خطر عظيم من جهة ايطاليا فسار اليها واجتاز الالب اجتيازاً وهبط
على مؤخر جيش ملاس النمسوى الذي فتح جنوا وكان مزمعاً
الفتك بالغار فسحقه سحقة قاضية في مارنغو ارجعت ايطاليا لفرنسا
(١٤ يونيو ١٨٠٠) وكان مورو قد فتك بالنمسيين أيضاً في
هوهاندن فاضطرت النمسا ان توقع على صلاح لونيڤيل (٩ فبراير
سنة ١٨٠١)

أمانكلترا فأصرت على عدائها . وأدركت الدول انها هي
وحدها التي ربحت من تلك الحرب الهائلة دونهن فاجتمع

المشروع المعروض أو استهجاناه دون ان تكون الحكومة مقيدة بذلك الرأي ثم مجلس تشريع يرفع اليه المشروع بعد عرضة على الشورى ويتناقش فيه ثلاثة من أعضاء هذا المجلس وثلاثة من نواب الحكومة ومتى انتهى الجدل فيه قبله الاعضاء أو طرحوه .

وأشئ فوق هذه المجالس مجلس للشيخ مؤلف من ثمانين عضواً غير قابلين للعزل مكلفين بمراقبة انفاذ الدستور ومحاكمة كل من يخالف شيئاً من القانون الاساسي وباتخاب أعضاء مجلسي الشورى والتشريع . وكان كل فرنسوي في الواحدة والعشرين من عمره منتخباً وكان المنتخبون من كل مركز ينتخبون العشر منهم ليعينوا في وظائف المركز وأصحاب هذه الوظائف ينتخبون العشر منهم لينتخب منهم مجلس الشيخ الاعضاء لمجلسي الشورى والتشريع . على ان بونابرت أظهر من المهارة في الادارة مثل ما أظهر من البراعة العجيبة في الحروب فانه وضع وظائف المديرين وجعل كلا منهم تحت سلطة وزير الداخلية مباشرة وفي يده جميع السلطة الانفاذية وجعل بجانبه مجلسين أحدهما مجلس المقاطعة على مثال مجلس الحكومة العالي والآخر المجلس العام على مثال المجلس التشريعي . ثم جعل وكيل المدير مرتباً بمجلس المركز والعمدة مرتباً بمجلس القرية وجعل في كل مركز محكمة مدنية وجايبا للمالية . وشيد سبعا وعشرين محكمة للاستئناف ومحكمة للنقض

من النواب لمثل هذا السبب (٤ ستمبر ١٧٩٧) وبعد ذلك بقليل كسر الديركتوار انتخاب جماعة من النواب الملقبين بالوطنيين فأجاب المجلس التشريعي على هذا القرار الذي ساءه بقرار قضى فيه على أعضاء الديركتوار بالاستقالة من مناصبهم . وكان الناس قد ملوا هذه الحكومة التي لا حول لها ولا قوة فمالوا الى جعل أزمة الامر في يد بونابرت وقد زاد نفوذه على اثر عودته من الشرق وارادوا منحه الرئاسة على حكومة جديدة تتولى ادارة شؤونهم فثاروا واسقطوا الديركتوار بمساعدته (١٨ برومير أو ٩ نوفمبر ١٧٩٩)

﴿ فصل ﴾

(في دستور السنة الثامنة والقنصلية)

أما القنصلية فتألفت من ثلاثة أعضاء أولهم بونابرت وثانيهم سيباياس وثالثهم روجه ديكوس . غير أن بونابرت لم يميل زميليه ان اسقطهما واختار كامباسريس ولبرون مكانهما واستمنح لقب القنصل الاول وسن دستوراً دعي بدستور السنة الثامنة جعل في يده عامة الاحكام

وبمقتضى هذا الدستور انشيء « مجلس حكومة » يعد القوانين التي يوعز بها اليه القناصل ثم مجلس شورى يبدي رأياً في استحسان

محكمة النظام ولا حماسة كالحماسة الاولى التي بثها في ارجال سنة ٩٣
ومع ذلك فان جويير طرد ملك سردينيا من نابولي وشامبيونيه حول
نابولي الى جمهورية . غير ان المتحالفين كان لهم ثلاثمائة وستون الف
مقاتل وكان لفرنسا سبعون الفاً فقط . فاحتل جيش مؤلف من
الانكيز والروسين هولنده وقهر الارشيدوق كارلوس جوردان
في ستوكاخ وحاصر كهل تجاه ستراسبورج ودخل مئة الف روسي
ونمسي الى ايطاليا بعد تغلبوا على شرر في ماغانو (١٥ ابريل
١٧٩٩) وماكدونالد في تريپيا (١٧ - ١٩ يونيو) وجويير في
نوني (١٥ أغسطس) الا ان ماسينه انتصر في زورنخ (٢٥ ستمبر
١٧٩٩) وبرون في برجن (١٩ ستمبر) فأنقذنا فرنسا من غارة
الاعداء عليها .

﴿ فصل ﴾

*(في الفوضى الداخلية وثامن عشر برومير (٩ نوفمبر)) *

ولم يلبث تنازع الاحزاب ان عاد الى داخلية فرنسا فقد
جاء حين ظن فيه الماسكيون انهم يفوزون بارجاع الملك الى فرنسا
وأخذ المهاجرون منهم يرجعون ومنحت لهم الاغلبية في الانتخابات
للمجالس غير ان الديركتوار قتل هذا الامل حيث طرد كارنو
وبارتلمي من أعضائه بدعوى انهما يميلان الى الملكية ونفى ٥٠

﴿ فصل ﴾

﴿ في حملة مصر (١٧٩٨ - ١٧٩٩) والتحالف الثاني (١٧٠٨) ﴾

« وموقعة زورنج »

عند ما عقدت المعاهدة المتقدم ذكرها التقت النمسا السلاح
أما انكلترا فلا وذلك لتحصنها في جزيرتها فأراد الديركتور ان
يعاقبها بقطع الطريق على تجارتها فعهد الى بونابرت في تسيير حملة
على مصر. وكان هذا القائد العظيم يأمل ان يدرك انكلترا في الهند
ويخلع سيادتها عنها. فانتصر باديء بدء في موقعتي الاهرام (٢١
لوليو ١٧٩٨) وجبل الطور (١٦ ابريل ١٧٩٩) غير ان فوز الانكليز
على أسطوله في أبي قير (٢١ أغسطس ١٧٩٨) كان قد أفقده مدافع
الحصار فلذلك لم يفتح عكاء (٢٠ مايو ١٧٩٩) وانحصر في مصر
فوجد انه لا يستطيع فيها كبير أمر فرجع الى فرنسا بعد ان تغلب
على جيش عماني في أبي قير (٢٥ لوليو ١٧٩٩)

وكان الوزير الانكليزي بيت قد انتهز فرصة غياب بونابرت
وجيشه ليفقد فرنسا ثمار معاهدة كامبو فورميو فشرع من شهر
مايو سنة ١٧٩٨ في عقد تحالف ثان على فرنسا فدخل فيه بولس
الاول قيصر روسيا وبعض امراء المانيا الخاضعين للنفوذ النمساوي
وامبراطور النمسا واشتركت فيه أيضاً نابولي وبيامونتي وتركيا
فعظم الخطر على فرنسا لانها كانت بلا مال ولا تجارة ولا حكومة

الارشيدوق كارلوس فأصابه نصيب سابقية . وهكذا تحطم كل
قواد النمسا وكل جيوشها في ملاقاتهم لجيش ايطاليا الذي كان مؤلفاً
من ٤٠ الف مقاتل يقوده شاب لم يتجاوز الثامنة والعشرين من عمره .
ولذلك أهدي الديركتوار الى ذلك الجيش الباسل راية مكتوباعليها
مايأتي « انه أي الجيش » أسرمئة وخمسين الفاً من الاعداء وأخذ
٧٠ راية ومئة وخمسين مدفعاً للحصار و٦٠٠ مدفع للميدان وخمس
شراذم من عمال القناطر وتسعة مراكب و٣٨ بارجة وأعطى الحرية
لشعوب شمال ايطاليا وأرسل الى باريس أحاسن مصنوعات
ميكيلانج وغرشين ودي تسيان وبول فيرونيز وكوريج ولالبان
وكاراش ورافائيل وغيرهم وظفر في ١٨ موقعة وصادم الاعداء
٦٧ مرة . »

وفي أثناء هذه الحرب العجيبة كان الارشيدوق كارلوس
قد انتصر على جوردان في ويرتبرج فخلا بذلك مورو من السند
فرجع القهقري ولسكنها رجعة كانت أجل من الفوز لانه قضى
أربعين يوماً حتى اجتاز مسافة مئة ميل بدون ان يمكن الاعداء من
ملاقاته . وفي ١٧ اكتوبر سنة ١٧٩٧ وقع بونابرت على معاهدة
كامبو فورميو فارجعت الرين حداً لفرنسا وأعطت فرنسا
حليفة جديدة هي جمهورية ماوراء الالب التي قامت حديثاً في
لمبرديا .

جيش الداخلية غير انه لم يلبث ان استبدلها بقيادة جيش ايطاليا.

❖ فصل ❖

❖ (في مواقع بونابرت في ايطاليا (١٧٩٦ - ١٧٩٧))

وكان جيش ايطاليا معسكراً في جبال الالب ينوش جنود سردينيا ولا ينال منهم مآرباً مع كثرة ما يعانیه من المشاق وكان النمسيون يهددون جنوا ويزحفون على مقاطعة الفار فلما استلم بونابرت القيادة ورأى انه لا يستطيع اجتياز الالب الى ايطاليا دار اليها من جوانب تلك الجبال وجعل جيشه في مركز يفصل النمسيين عن البيامنتيين خارب كلا من الفريقين المتحالفين على انفراد وغلبه ثم نكل بالسردينين حتى القوا السلاح وسلموا فعاد الى النمسيين فتقهقر قائدهم بوليو لما وقع في قلبه من رعب بونابرت على اثر مارآه من عجائب بلائه في مواقع مونتقوتي (١١ ابريل) وميلازيمو (١٤) وداغو (١٥) وموندوفي (٢٢) فلحق به بونابرت وأدرکه وسحق جيشه وأراد النمسيون ان يصادموا هذا البطل على قنطرة لودي فاطقوا عليه قتال مدافعهم كالمطر فاستظهر عليهم (١٠ مايو) فأرسلت النمسا ورمسر أحسن قوادها ليخلف بوليو وأمدته بجيشين ضخمين أحدهما بعد فتغاب عليهما بونابرت في لوناتو وكاستيلوني (بين ٥٦٣) أغسطس وفي باسانو (٨ ستمبر) نخاف الفنزوي ورمسر فقهر في اركول (نوفمبر ١٧٩٦) وفي ريفولي (يناير ٩٧) فأرسل

والامراض المزمنة على نفقة الحكومة وختمت اعمالها بالغاء الحكم
بالاعدام بعد أن يسكن الهياج العام .

﴿ فصل ﴾

*(في اللجنة الانفاذية او الديركتوار (١٧٦٥ - ١٧٩٩)) *

كان ثلثا مجلس الخمسة ومجلس الاقدمين من أعضاء الجمعية
التي انحلت ولذلك اتخبوا الاعضاء الخمسة للجنة الانفاذية أو
الديركتوار من الذين قضوا بقتل الملك وهم لبو وكارنو وروبل
ولتورنو وباراس . على أن هذا النظام الجديد لم يأت بثمرة مفيدة لان
المجالس الانتخابية الفرعية في المقاطعات وأقسامها كانت تسيء
التصرف أو تتماذى في الاهمال والسطاة العليا كانت مقسمة بحيث لا
تستطيع ان تديرها على ما يجب فنشأ عن ذلك ان اعتلت مصالح
العباد والبلاد وختلت اخزينة من المال وسقطت القراطيس المضمونة
باملاك الاكايروس الى آخر دركة من انحطاط القيمة ووقفت
حركة التجارة والصناعة وقوفاً تاماً وأصبحت الجنود بلا ملابس ولا
ميرة ولا ذخيرة للحرب .

وفي هذه الاثناء كان موروقا قائد جيش الرين وجوردان قائد
جيش سامبروموز وهوش يراقب شواطئ المحيط لتسكين بريتانيا
وفاندي ودفعت غارات الانكليز . وأما بونا برت فعهد اليه في قيادة

١٧٩٣ وكان لم ينفذ بعد وجعات الساطة التشريعية في يد مجلسين
 مجلس الخمسة ومجلس القدماء والساطة الانفاذية في يد لجنة مؤلفة
 من خمسة أعضاء غير أن الشعب لم يرض عن هذا المشروع فانهز
 المالكيون فرصة كدره واستثاروا بعض شرادم من الحرس الوطني
 وهاجموا الجمعية فهدت الى باراس القائد العام في قمع هذا العصيان
 فكلف به بونابارت الذي أظهر في يوم ١٥ اكتوبر براءة حربية
 لامزيد عاها فانه نظم جنوده مع قلمهم بحيث يستظهرون على الشائرين
 مهما بلغ عديدهم من الكثرة وفي اليوم السادس والعشرين من
 ذلك الشهر عينه أعانت الجمعية انها انحلت . وقد ذكرنا ما كان من
 بعض سياستها الداخلية ونزيد الآن على ذلك تتمه فانها بينما كانت
 البلاد مجاهدة في الخارج ممزقة في الداخل كانت تواصل أعمالها
 الاصلاحية فاسست وحدة فرنسا وشيدت معالم لنشر المعارف
 من مدارس ابتدائية وتجهيزية وهندسية وطبية وحقوقية وبيطرية
 وأقامت نادي الفنون والصنائع ومدارس اللغات المتكلم بها الى ذلك
 الوقت ومكتب المقابيس الجغرافية ونادي تدريس الموسيقى ومجمع العلماء
 ومتحف المواليد الثلاثة ووحدت الموازين والمكاييل بالحساب المترى
 ووضعت السجل الاكبر للدين العام فاستعادت به الثقة بمالية
 الحكومة واستخدمت للتغراف وجعلت كفالة ذوي العاهات

وبروسيا التي كانت تحتاج الى الراحة لاهتضام بولونيا وتجزئتها
 للمرة الثانية ثم الثالثة. غير ان انكلترا والنمسا وسردينيا والدول
 الجنوبية والمانيا استمرت مستعدة للنزال واشتركت معها روسيا
 فارسلت مراكبها تعين انكلترا على محو الاساطيل الفرنسية وأخذت
 مستعمرات فرنسا وهولانده حليفها . ومن نكد طالع فرنسا ان
 ابطال بحريتها كانوا قد هجروها بسبب الثورة ولذلك لم تستطع
 سفائنها الظهور على السفائن الانكليزية مع ما كان عند رجالها
 من البسالة وحدث في غرة يونيو من سنة ١٧٩٤ ان الاميرال
 فيلاده جوايوز « وأصله قبطان صغير » هاجم ستا وثلاثين سفينة
 انكليزية بست وعشرين ليحامي من سطوها مراكب كانت
 مشحونة قذفاً وآتية به الى فرنسا لدفع المجاعة عن بعض مقاطعاتها
 ففاز بما أراده ولكنه فقد سبعة من مراكبه وكان أحدها يسمى
 المنتقم فغرقه بحارته بانفسهم وهم ينشدون النشيد الثوري لثلاينكسوا
 علمه وماتوا عن آخرهم

﴿ فصل ﴾

*(في دستور السنة الشوروية الثالثة ويوم ١٥ أكتوبر سنة ١٧٩٥) *

عند ما خرجت جمعية الاتفاق الوطني ظافرة من الفتن التي
 قامت عليها بعد واقعة ٩ ترميدور الفت الدستور الموضوع في سنة

الضرورة وكان عددا الاحكام التي أصدرتها المحكمة الثورية بالاعدام يبلغ ٢٦٦٩ عدا الاحكام التي أصدرت بمثل ذلك في ليون واراس ونانت وتولوزو مرسيليا وبوردو مما يكاد لا يقع تحت حصر.

﴿ فصل ﴾

﴿ في المواقع التي جرت من ١٧٩٣ - ١٧٩٥ ﴾

عرفنا ان جميع الدول محالفت على فرنسا بعد مقتل لويس السادس عشر ولم يسلمها الا الدانمرك وأسوج . ففي شهر أغسطس من سنة ١٧٩٣ كان الاعداء قد دخلوا فرنسا من جميع تخومها وفي آخر ديسمبر كانت فرنسا منتصرة عليهم في جميع الجهات فان هوشار دحر الانكليز في هندشوت . وجوردان كسر النمسيين في واتيني وبونابرت فاز في طولون وهوش في ويسميرج وحزب الجمهوريين تغلب على الفانديين وأنهى هذه الحرب الداخلية التي طال أمرها واشتد على فرنسا كثيراً . وبعد ذلك باشهر تغلب الفرنسيون على أعدائهم في فلوروس فاستفتحوا أبواب هولنده وردوا الاسبانيين الى ما وراء البرانس والبيامونتين الى ما وراء الالب والالمانين والبروسيين الى ما وراء الرين ثم دخل بيشغرو هولنده في فصل الشتاء وان هذا الفشل المتتابع حمل دولتين على الخروج من المحالفة وهما اسبانيا التي كان يحكمها رجال متقاعدون

كورداي قنات مارا ظناً منها انها تسقط بقتله حكومة الارهاب
 ولكن النتيجة وقعت على العكس وكان ممن قتلوا على أثر هذه
 الحادثة ماري انطوانت امرأة الملك واليصابات شقيقته وبايلي
 وزعماء الجيرونديين ودوق أورليان والقائد كوستين ومدام رولان
 الكاتبة الشهيرة ولافوازيه العالم ومالزرب وكاميل ديمولين
 ودانتون والفوضيون حزب همبير والشاعر اندره شنيه وكان في
 شرح شبابه .

{ فصل }
 في تاسع ترميدور أو ٢٧ يوليو

{ في تاسع ترميدور أو ٢٧ يوليو }

وبعد هذه المنكرات أراد روبسبير ان يصل الى الانفراد
 بالسلطة فتنبه لمقاصده زمرة من الزعماء منهم فوشه وتاليان وكاريه
 ويود فارين وكولودربوا وفاديه وآمار وغيرهم فاحدثوا ثورة تاسع
 ترميدور^(١) وابقعوا في التهمة روبسبير وكوتون وسنجوست وابن
 روبسبير واياومئة من أنصارهم فقتلوا جميعاً. وعند ذلك استراحت
 فرنسا من هذه المجزرة ومالت الحكومة الى الاعتدال بحكم

(١) هو اسم أحد الشهور من التاريخ الجديد الذي جمعت الثورة مبداه .

وكان الشورويون قد غيروا أسماء الشهور والاسابيع والايام غير ان التاريخ
 القديم لم يلبث ان عاد الى ما كان عليه

أكثر مدائن الجنوب وفتحت طولون أبوابها للانكيز وسلمتهم
أسطول البحر المتوسط ووقعت كونده وفالانسين ومايانس في
أيدي الاعداء فدخلوا فرنسا من الشمال والجنوب . وفي تلك الاثناء
كان الفانديون منتصرين على جنود الجمهورية وكانت فرنسا كلها
مبتلاة بمجاعة هائلة فقد معها كل امن واختل كل نظام . ولما رأات
الجمعية انه لم يبق لها الا ثلاثون مقاطعة تعتمد عليها قررت لائحة
« المشتبهين » التي عرضها عليها صرين فاعتقل بسببها ٣٠٠٠٠٠
نفس في الجبوس . ثم قررت ماعرضه عليها بارير نيابة عن لجنة
النجاة وهو ان تعتبر الجمهورية كلها كمدينة محاصرة . وان تحول
فرنسا الى معسكر ويدعى الرجال على اختلاف أعمارهم الى الدفاع
عن الوطن والحرية فالشبان يقاتلون والمزوجون يصنعون الاسلحة
والنساء تهيء الملابس والخيام للجنود والاولاد يقطعون من
الاكسية البالية اربطة للجراح والشيوخ ينتقلون الى الساحات العامة
لايقاد الحماسة في الصدور « وعلى أثر ذلك جهز مليون ومئتا الف
رجل للحرب وعادت ليون وبوردو الى الطاعة واسترجع بونابرت
مدينة طولون وكان اذ ذلك يوزباشياً في المدفعية وطارد الفانديون
عن أبواب نانت وجعل جوردان قائداً عاماً للجيش فكف غارة
المتحالفين . وكانت دماء الشرفاء والكهنة والمشتبهين على اختلافهم
تجري انهاراً في جميع انحاء فرنسا . واتفق أن امرأة تدعى شارلوت

قال دانتون « ولترم رأس هذا الملك لاعدائنا المتحالفين فيكون لهم عبرة وانذاراً »

﴿ فصل ﴾

﴿ في حكومة الارهاب ﴾

ولما انتشر نبي لويس السادس عشر دخلت الدول التي كانت لازمة الحياد في معاداة فرنسا وأطبقت جيوشها بها من كل جانب وفضلا عن ذلك فقد شبت الحرب الاهلية في فاندي وبريتانيا وترك ديموريز جيشه وانضم الى النمساويين فقاومت الجمعية اعداءها الداخليين والخارجيين جميعاً ولكنها ركبت فظائع لا توصف وذلك انها وضعت المحكمة الشوروية الشهيرة لتقضي بالقتل على كل متهم بكلمة قالها أو بجرمته مشتبهة أبقاها (١٠ مارس ١٧٩٣) ثم قررت ان أعضاءها خاضعون لتلك المحكمة وانتخب من بينهم لجنة سميت بلجنة النجاة جعلت في يدها السلطة الانفاذية . وهذه الحكومة اتبعت بحكومة الارهاب وكان أعضاء الجمعية فريقين الجيرونديين برئاسة دانتون والجلبيين برئاسة روبسبير الشهير بقوته ومارا الشهير بنفثات قلمه التي كانت تشر في جريدته ودانتون الشهير بفصاحته . وقد احنال هؤلاء حتى استصدروا حكماً باعدام ٣٢ عضواً من الجيرونديين (٢ يونيو) فنفذ الحكم على بعضهم وفر بعضهم الى المقاطعات يستثيرون الناس على الجمعية فثارت بايعازهم

﴿ فصل ﴾

﴿ في التحالف الاول وانكسار البروسيين في فالمي (٢٠ ستمبر سنة ١٧٩٢ ﴾
 عند ما ابتدأت الحرب زحف النمسيون على فرنسا من الشمال
 والبروسيون من جهة نهر الموزيل وملاك سردينيا من جهة الالب.
 فانتصر الفرنسيون على أعدائهم في الشمال وأخذوا سانوا ونيقا.
 والتقى ديموريز القائد الفرنسي بجيش البروسيين في فالمي من
 مقاطعة شمبانيا فتغلب عليهم وردم على أعقابهم الى الرين وهناك
 تولى القائد كوستين الهجوم ففتح سيرا وورس ومايانس. ثم سطا
 ديموريز على النمسيين بعد رفعهم الحصار عن مدينة ليل لعجزهم
 عن أخذها عنوة فظهر عليهم في موقعة جاماب وفتحت له بذلك
 أبواب هولنده.

﴿ فصل ﴾

﴿ في جمعية الاتفاق الوطني (١٧٩٢ - ١٧٩٥) وتأسيس ﴾

« الجمهورية الفرنسية (٢٠ ستمبر ١٧٩٢) ومقتل لويس السادس عشر »
 كان أول ما قررت هذه الجمعية الغاء الملكية والمناداة بالجمهورية
 وفي ٣ دسمبر قررت محاكمة لويس السادس عشر امامها خلافا
 للدستور القاضي بان يكون الملك فوق سلطة القضاء ولا يعاقب الا
 بالخلع. فخكمت عليه بقطع رأسه وتم ذلك في ٢١ يناير سنة ١٧٩٣

في الجمعية التشريعية ثم حالوا دون اقامة لافايت رئيس هذا
الحزب محافظاً لباريس فعين بتيون احد الجيرونديين في ذلك
المنصب. وفي ٢٠ يونيو دخل الشعب قصر التويلري وأهان الملك
وأكرهه على ايس القبعة الحمراء علامة الرضى بالثورة فاحتج لافايت
على محدثي هذه الالهانة فنقم الجمهور عليه واضطر ان يخرج من
فرنسا بعد ذلك بشهرين وسقط بخروجه حزب الملكية الدستورية
وفاز حزب الجمهورية. وفي ١٠ أغسطس كان غضب الشعب قد بلغ
منتهاه لما رآه من شدة لهجة الدول المعادية وخصوصاً منشور
الدوق دي برونسويك فكانت كل فرنسا مستعدة لحمل السلاح
وفي ١٠ أغسطس قتل بعض رعاك الجمهوريين والجنود حرس
القصر ودخلوه فلجأ الملك الى متدى الجمعية التشريعية فارسلته الى
سجن يعرف باسم سجن الهيكل والحقت أسرته به وأعلنت انه
مكفوف عن أداء وظيفته. وفي أثناء هذه الحادثة قتل نحو أربعة
آلاف نفس. ثم أريد استبدال الدستور الحاضر بأخر فانتخبت
جمعية الاتفاق الوطني (لاكونفانسيون) وخلفت الجمعية التشريعية
التي لطخت أواخر أيامها بلطخة سوداء قبيحة وهي ان حزب
الكومون في باريس رشا جماعة من السفاحين فأخذوا يستمتجون
السجون من ٢ الى ٥ ستمبر ويذبحون المعتقلين فيها حتى بلغ عدد
القتلى ٩٠٠ وستا وستين نفساً

ملك بروسيا وامبراطور النمسا في بلينتنس ورسمًا خطة دخول المتحالقين لفرنسا ورد سلطة ملكها اليه (١٧٩١) فاجابت الجمعية التشريعية على ما باغها من هذا الاستعداد بانها تنصح لاولئك الملوك بالعدول عنه والا دخل فرنسا ويون بلادهم واعملوا فيها السيف والنار وادخلوا اليها الحرية فليحذروا مما يقدمون عليه . وعلى اثر هذا الجواب انتشبت حرب هائلة دامت ٢٣ سنة كان النزوف في ختامها للفرنسيين وجرى فيها من الدماء مقدار ما كسبته فرنسا من الفخر والمجد

﴿ فصل ﴾

﴿ في كون باريس وواقعتي ٢٠ يونيو و ١٠ اغسطس سنة ١٧٩٢ ﴾

﴿ ومذبح ستمبر ﴾

واول ما فعلته الجمعية بعد قرار بيانتمس انها سنت قوانين شديدة الوطأة على المهاجرين والقسس الذين ابوا ان يحلفوا اليمين المدني بدعوى انهم هم سبب العصيان الذي قام في مقاطعة فياندي وبريتانيا على قدم وساق . فتردد الملك في التوقيع على هذه الاوامر ثم امضاها وشهر الحرب على النمسا في ٢٠ ابريل سنة ١٧٩٢ غير ان كبار الثائرين كانوا يشعرون بان للملك تواطؤاً سرّياً مع الدول المعادية لفرنسا ولذلك سعوا في اضعاف حزبه الذي كان صاحب الاغلبية

❖ الباب الخامس والسبعون ❖

❖ في تحالف الملوك على فرنسا واتخاذهم وذكر الثورة من سنة ❖

— ١٧٩٢ الى ١٨٠٢ —

❖ في الجمعية التشريعية (١٧٩١ — ١٧٩٢) ❖

كان اول اجتماع لهذه الجمعية في غرة اكتوبر سنة ١٧٩١
وآخر اجتماع لها في ٢١ ستمبر من السنة التالية وكان زعمائها من
الحزب الذي عرف بحزب الجيرونديين واشهرهم بريسو وبتيون
وفرنيود وجانسونه وديكو وفالازي وجل ما فعلوه انهم سعوا
لاسقاط الملك واقامة الجمهورية

❖ فصل ❖

❖ في تأثير الثورة خارج فرنسا والتحالف الاول (١٧٩١) ❖

ان الثورة لم ينحصر تأثيرها في فرنسا بل تجاوزها الى بلجكا
او هولنده وامارات الرين والمانيا وانكلترا حتى وروسيا فاغضب
ذلك الامراء والملوك واخذوا يستعدون لمقاومة هذا الروح الجديد
ومعاقبة الذين احدثوه وبشوه فاتفق على ذلك ملوك النمسا وبروسيا
واليامون واسبانيا وحكومات سويسرا ولما انتهت اسوج من
محاربة روسيا وبروسيا من محاربة تركيا من محاربة النمسا التي

عنه اضطادات وحروب فظيعة . وكذلك ساء لويس السادس عشر
 ما كان يعرض عليه من القوانين الشديدة لمعاينة اعزائه وأعوانه
 الذين كانوا يهجرون فرنسا ويلجأون الى الدول الاجنبية فرأى ان
 الافضل له الفرار الى متس والاستنجد بالنمسا وبروسيا على قومه
 فقرر (١٧٩١) ولكنه قبض عليه في فارين فقررت الجمعية معاقبته
 بكفه عن أداء وظيفة السامية وفي ١٧ يوليو طالب الشعب في ساحة
 الشان دي مارس ان يستقبل الملك فنشر القائد بابي الراية الحمراء
 وأطلق البنادق على الجموع ففرقها . وبقي الملك سجيناً في قصر التويلري
 الى ١٤ ستمبر ثم قبل بدستور سنة ١٧٩١ القاضي باقامة مجلس
 واحد للتشريع لا يجوز للملك أن يمنع انفاذ أحد قراراته اكثر
 من أربع سنين وعند ما أنجزت الجمعية أعمالها أصدرت عمواً عاماً
 وأوصت بالمسامحة وأعدت حرية السفر والجواز وافتت كل القوانين
 الاستثنائية لتسترجع بذلك المهاجرين الى وطنهم . ثم ارفضت على
 ان لا يدخل في الجمعية التي تخلفها أحد من أعضائها . وكان أشهر
 رجالها مونييه ومالواي وبرناف وسياس وخصوصاً ميرابو احد
 اعظم خطباء الدنيا



جميع الفرنسيين في المناصب بالتمييز من حيث الكفاءة وأن تقسم فرنسا الى ٨٣ مقاطعة عوضاً عن تقسيمها القديم . وأن تستبدل البرلمانات في المدائن بحكام وأن تصادرا ملاك الاكليروس وتصدر قراطيس مالية بقيمة اربعمئة مليون مضمونة برهن تلك الاملاك وذلك لسد ما اشتد من حاجة الحكومة الجديدة الى المال وأن لا تكون في القانون مزية للرهبنات على غيرها من الشركات . وأن تكون ارادة الامة هي السائدة وتصدر عنها كل ساطة ومن أجل ذلك عمم الانتخاب في كل مكان وجعل في كل مقاطعة وفي كل مركز وفي كل مدينة مجلس انفاذي . وفي شهر نوفمبر من سنة ١٧٨٩ أخذ أهل فرنسا يتآخون وهم شاكو السلاح ويهني بعضهم بعضاً في القرى والمدائن بنجاة الوطن واستمروا على هذه الحال بضعة أشهر مطمئنين ثم أعدت باريس ساحة الشان دي مارس للاحتفال بعيد للمواخاة فوفد اليها مندوبون من قبل الجيش ومئة الف مندوب عن الولايات وفي ١٤ يوليو من سنة ١٧٩٠ اقسم الملك بمشهد ومسمع من ذلك الجمهور يمين الطاعة للدستور . وظن ان الامن يبيت موطن الاركان غير انه لم يلبث ان تكدر صفوه بما وقع من النزاع الجديد بين الملك والجمعية وذلك انها عرضت عليه لائحة لاصلاح الاكليروس على الشكل الدستوري المدني فأبى الموافقة عليها وحظر البابا على رجاله ان يقبلوها فوقع من جراء ذلك شقاق في كنيسة فرنسا نتجت

وفي ٤ أغسطس ألغت الجمعية الحقوق الاقطاعية ومبيع المناصب
ثم قررت لأئمة « حقوق الانسان » الشهيرة ووضعت المجلس
التشريعي وابت على الملك ان يكون له حق رفض القرارات النيابية
ما شاء فاستدعى لويس جيشاً جديداً لتأمينه على نفسه وارهاب
الثائرين فلم يفلح بهذه الحيلة . وكانت في تلك الاثناء المجاعة عامة في
فرنسا في خامس اكتوبر تألف جيش جرار من نساء باريس وذهبن
الى فرساييل لارجاع الملك منها اعتقاد ان رجوعه يعيد الخصب
والسعة الى باريس . وكان جماعة من الحرس الوطني الذي أوجده
القائد الشهير لافايه يسرون خلفاتهن فلما وصلن الى فرساييل
دافعن حراس الملك فقتلن رهطاً منهم وأهانوا الملكة وانتهكن
احترام القصر وبعديومين عدن بالملك وسائر أهل البلاط الى باريس
وحدثت أيضاً في داخلية البلاد حركات ثورية كثيرة فان
الفلاحين كانوا يوقعون بالشرفاء ويهدمون استحكامات قصورهم
فيفرون الى الخارج وكذلك جماعة من الامراء والكبراء من
حاشية الملك تركوه منفرداً في هذه الشدة ولجأوا الى الدول
الاجنبية يواطئونها على دخول فرنسا لاعادة الامن وساطة الملك اليها
أما الجمعية فكانت توالي أعمالها وكان مما قررته حرية المعتقدات
واقامة الشعائر الدينية وحرية الصحافة والصناعة وأن يرث جميع
الاولاد أباهم المتوفى على السواء وأن تلغى القاب الشرفاء وأن يقبل

هذا الفكر ان انضم فريق من الشرفاء والاكليروس الى نواب العامة وقرروا في اجتماعهم ان تلقب جمعيتهم بالجمعية الواضحة للدستور . وفي السابع والعشرين من الشهر تم انضمام أهل الطبقات الثلاث من النواب بعضهم الى بعض ولم يزدحم ما حاوله الملك من تشييت شملهم بالهوة وما القاه من الخطاب التهديدي عليهم الا ثباتا في عزيمتهم فاعانوا على اثر ذلك انهم فوق العقوبة لنيابتهم عن الشعب . فجمع الملك ٣٠٠٠ مقاتل من جنوده الاجانب حول باريس وفرسايل لارهاب الجمعية ونفي نيكر الوزير الذي كان الشعب يميل اليه فجدد النواب تحالفهم على ان لا يفترقوا قبل ان يضعوا دستورا لفرنسا . فهجم المقاتلون على باريس لالقاء الرعب في القلوب فحمل السكان السلاح وهجم فريق منهم على الجنود فقتلتهم الى فرسايل وذهب فريق آخر الى سجن البستيل فأخذوه عنوة وقتلوا قومندانه وكان ممن قتلوه الوزير فولون والمستشار برتية (١٤ يوايو)

﴿ فصل ﴾

﴿ في واقعة اكتوبر والهجرة ودستور سنة ١٧٩١ ﴾

فلما علم الملك بما حدث قال « اذن فذلك عصيان » فأجابه الدوق لاروشفوكو « لا يا مولاي وانما هو ثورة وانقلاب »

❖ القسم الرابع ❖

(في التاريخ العصري)

« ١٧٨٩ — ١٨٩٦ »

❖ الباب الرابع والسبعون ❖

* (في الثورة (١٧٨٩ — ١٧٩٢)) *

❖ فصل ❖

(في الجمعية الواضحة للدستور وسقوط البستيل)

رأينا مما تقدم ان الملك الاستبدادي في فرنسا كان ولا بد زائلا لما كثر من نفقات الملوك الفاحشة التي ضاقت الامة ذرعا عن تحملها ولما ركبوه من الاغلاط السياسية والادارية التي كانت تقضي قضاء محتماً بتغيير الشكل الذي كان عليه نظام الحكومة في ذلك الوقت ولما تغير من أفكار الامة ومشاربها بعد انتشار أفكار الفلاسفة والعلماء الاصلاحيين المتقدم ذكرهم بينها فلما اجتمع النواب في اليوم الخامس من شهر مايو سنة ١٧٨٩ في فرساي كان المندوبون عن العامة منهم وجماعة من المندوبين عن الشرفاء والكهنة يرون ضرورة التسوية بين جميع الافراد لدى القانون للتوصل بذلك الى الوحدة السياسية والاجتماعية في فرنسا . فنشأ عن التوافق في

الافلاس الذي وقعت فيه ولا سيما على أثر حرب امريكا . وبعده استوزر كالون فزاد دين المملكة ٥٠٠ مليون في ثلاث سنين فعقد الملك جمعية من الاعيان للنظر في دواء يزال به ذلك الداء (١٧٨٧) فلم تفلح في قرارها فاخذ الشعب يطالب عقد مجلس النواب بكل لسان فوعدته بذلك الحكومة واستعادت نيكرا المحب للاصلاح الى الوزارة فاستصدر قراراً بعقد مجلس النواب وان يكون فيه عدد المنتدبين عن قسم العامة من الامة مساوياً لعدد المندوبين عن الشرفاء والاكثروس .

وكان ذلك مننتح الحوادث التي جرت بعد الاجتماع الذي تم على هذا الشكل مما سيأتي بيانه في القسم الرابع من هذا الكتاب ان شاء الله .



اللورين التي كانت محتاتها بعساكرها من زمان قديم (١٧٦٦) وجزيرة
كورسكا التي اشترتها من جنوا بأربعين مليوناً . (١٧٦٩)

هذا ما كان من عمل لويس الخامس عشر في الخارج وأما في
الداخل فإنه استبد وأساء التصرف فأغضب الأمة اغضاباً عييل
معه صبرها لانه حكم عشيقاته في رقابها وكان يسلب أموال الاغنياء
ويسجن من يريده أو يعدمه بلا محاكمة ومما زاد النفار منه حله البرلمان
ونفيه الجزويت . وقد شعر في اخيرات أيامه بخرق سياسته فقال
« ان هذه الحالة تدوم مادمت وعلى من يخلفني ان يخرج منها كما
يمكنه الخروج »

﴿ فصل ﴾

﴿ في لويس السادس عشر الى ابتداء الثورة ﴾

خلف هذا الملك لويس الخامس عشر وكان مستقيماً عفيفاً
محباً لبلاده ضعيف الرأي قلق الجنان . فالقى السخره والتعذيب
وأخرج البروتستان من اعتبارهم سفهاء بمقتضى القانون . ومن ما أثره
انه استوزر تورغو فشرع في الاصلاحات التي كانت تقضي بها
الظروف فعاداه الحاشية وأهل البلاط واستدروا يقاومونه حتى
عزله الملك وهو يقول « لا يحب الشعب أحد كما نحبه انا وتورغو »
ثم استوزر نيكر أحد الصيارفة فلم يستطع ان يخرج فرنسا من

عليها المجتمع الانساني. ثم كنساي واضع علم الاقتصاد السياسي
القاضي ايضاً بتعديل الشكل الاجتماعي واصلاحه

﴿ فصل ﴾

*(في اختلاف الافكار ونظامات الحكومات) *

ان عدم التلاؤم بين هذه الافكار التي انتشرت وبين حال
الحكومات في ذلك الوقت كانت ولا بد داعية الى تغيير الملوك
لنظامات بلادهم فان لم يفعلوا نار الشعب عليهم وتولى ذلك بنفسه
وهذا ما حصل على ما سنراه غير ان اكثر ملوك اوربا شعروا بالحاجة
الى الاصلاح فأجروه وكان قليلاً بطيء السير وخصوصاً من حيث
تعميم المعارف فان القيصرية كاترينه كانت تنشيء المدارس ولا تقبل
فيها احداً وذلك لـمكراهتها ان يتنبه الشعب فيكون بذلك سقوط
سلطتها وكان سائر الملوك يرون مثل رأيها ومع ذلك فقد اصلحوا
ما اصلحوه من حال رعيتهم بحكم الاضطرار وكان ارشدهم في ذلك
وأعظمهم عملاً فريدريك الثاني ملك بروسيا

﴿ فصل ﴾

*(في اواخر سني لويس الخامس عشر (١٧٦٣ - ١٧٧٤)) *

عرفنا ما كان من انحطاط فرنسا على أثر حرب السبع السنين
فهي بعد ما خسرت من السطوة والاملاك والاساطيل لم تستزد الا ولاية

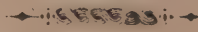
لعلم الكيمياء . وفي سنة ١٧٧٥ اكتشف اللقاح البشري وفي سنة ١٧٨٣ اجتازت أول باخرة نهر السون واطلق أول منطاد في الجو وكذلك قام رحالون مشاهير في مقدمتهم كوك وبوكنفيل ويبروز فطافوا حول الارض يطالعون أحوال الامم والبلاد ويرسمون ما يرونه لتقرير الحقائق وفي الجملة يطلبون الافادة العلمية لا الاستفادة المالية .

﴿ فصل ﴾

﴿ في الاداب في القرن الثامن عشر ﴾

اما الاداب فانتقلت من طور الى آخر فقد نزلت من عالم الوهم والخيال والمناقشات الدينية الى عالم المادة والتحقيق والبحث عن امراض المجتمع البشري لمداواتها وكان في مقدمة اهل هذه المباحث من مشاهير الادباء العظام فولتير الذي جاهد كل حياته في سبيل اطلاق حرية الفكر ومونتسكيو الذي بحث عن أصل وضع الشرائع وقابل بين الموجودة منها ليرشد الناس الى انضها وهي شريعة الدستور الانكليزي وروسو الذي قرر في كتاباته حق السيادة في الحكم للامة لا للملوك وأشار بضرورة الانتخابات العامة ثم اصحاب كتاب موسوعات العلوم وقد نقلوا في تأليفهم جميع المعارف البشرية على شكل مناف للدين داع الى اصلاح الهيئة التي كان

تلك المملكة في داخلها غير ان دهاء غستاف الثالث ملكها (١٧٧٢) والنظام الدستوري الذي وضع لها سنة ١٧٨٩ انقذها من الخطر المحقق بها. ثم لم يلبث الكبراء ان قتلوا ذلك الملك المحب للاصلاح الكاره للروسيين (١٧٩٢) وكادوا يقضون على وطنهم بالدمار لو لم تكن كاترينه في ذلك الوقت مشغولة بمشا كلها في الشرق وبروسيا بمشا كلها في الغرب



—•••••—

﴿ في مهدات الثورة الكبرى ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في الاكتشافات العلمية والجغرافية ﴾

ان القرن الثامن عشر كان عصر تجديد في العلوم كما كان القرن السابع عشر عصر تجديد في الاداب والقرن السادس عشر عصر تجديد في المعتقدات. وقد تكاملت به العلوم الطبيعية على يد فرانسوا بيكون مخترع الشاري وهو التضييب الدافع للصاعقة وفولتاو كالفاني مخترعي البطارية الكهربائية ولا بلاس ولاغرانج مخترعي التحليل الكيماوي ولينه ودي جوسيو مكتشفي علم النبات وبرفون مكتشف علم الحيوان وعلم طبقات الارض ولا فوازيه مكتشف النواميس الاساسية

وفي السنة التالية استولى الروس على جمهورية القوقاز
الاوكرانيين الذين كانوا يحولون دون تقدمهم نحو البحر الاسود.
وفي سنة ١٧٧٧ اشتروا من خان القرم امارته على ماأشرنا
اليه قبلا. وفي سنة ١٧٨٧ شهرت تركيا عليهم الحرب فامتدت أربع
سنين وانتهت بمعاهدة ياش. (١٧٩٢)

﴿ فصل ﴾

﴿ في اقسام بولونيا ثانية وثالثة ١٧٩٣ — ١٧٩٥ ﴾

وكان البولونيون قد تنهبوا من غفلتهم على أثر ما جزيء من
ممالكهم فأخذوا يصلحون شؤونهم اثناء ما كانت النمسا وبروسيا
مشتغلتين باخماد الثورة الفرنسية غير ان هتتين الدولتين كرهتا ان
تقوم لتلك المملكة قائمة فاقسمتاها مع روسيا ثانية وثالثة في خلال
سنتين ومجيت هذه الامة من صحيفة الامم المستقلة وكان ذلك اكبر
عار وأعظم أثم جنته الدول التي جزأتها

﴿ فصل ﴾

﴿ في محاولة اقسام اسوج ﴾

ثم اتفقت روسيا وبروسيا سرا على اقسام اسوج وأخذتا
تدسان الدسائس لدوام المؤامرات والشقاق الذين كانا يمزقان أحشاء

خفقاً لتلك مكانه . فلما رأَت ان مجلس نواب بولونيا قرر اضطهاد « المنشقين » ويعني بهم الروم غير الكاثوليك جعلتهم تحت حمايتها فتحالف الكاثوليك ليقاتلوا المنشقين وقتل الفلاحون ساداتهم وغرقت بولونيا بدماء أهلها فدخلها الروسيون وانتشروا في كل جوانبها وأتاه البروسيون من الغرب والنمسيون من الجنوب . واذ كانت فرنسا لا تستطيع انجاد بولونيا حركت الاتراك على كاترينه فدمرت اسطولهم واحرقته في جشمه وأخذت جانباً من ولاياتهم فهال فريدريك الثاني ذلك الفوز العظيم ودعا كاترينه الى استئناف الكرة على بولونيا منذراً لها بان يحالف النمسا لمحاربتها ان لم تفعل فلبته على الرغم منها وتم ذلك الاثم في ١٩ ابريل من سنة ١٧٧٣ فأخذت ماري تريزا غاليسيا وفريدريك كل البقعة التي كان يحتاج اليها لضم الارض البروسية برمتها الى ما كان يملكه من البلاد الالمانية . وكاترينه بعض الولايات الشرقية

﴿ فصل ﴾

﴿ في معاهدي فينارجه (١٧٧٤) وياش (١٧٩٢) ﴾

ولما فرغت كاترينه من أمر هذه التجزئة رجعت الى مناوأة الاتراك وكان ختام هذه الحرب بمعاهدة فينارجه (١٧٧٤) التي تقدم ذكرها .

الى بلدته ايميش كسائر الناس الى ان دعاه قومه في سنة ١٧٨٩ لتولي الرئاسة عليهم واتقادهم بحسن سياسته من ورطة وقعوا فيها كما انقذهم قبلها بسيفه وبسالته فاستلم ازمة الحكيم مرتين ثم رجع الى عزلته وفي سنة ١٧٩٩ أدركه أجله وقد ترك في الدنيا أظهور ذكر وأشرف اسم بين أسماء المشاهير من أهل الازمان الحديثة .

— ❦ —
❦ الباب الثاني والسبعون ❦ —

﴿ في اقسام بولونيا وانحطاط تركيا وارتفاع روسيا ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في كاترينه الثانية (١٧٦١) وفريدريك الثاني

وتجزئة بولونيا للمرة الاولى (١٧٧٣)

كانت بولونيا بما هي عليه من تولى ملوكها بالانتخاب وفوضوية الشرفاء والمنازعات الدينية مقضيا عليها اما بالفناء او باصلاح هذه الحالة . ولكن جيرانها حالوا دون اصلاحها وتآمرت روسيا وبروسيا سرا على اقتسامها . غير ان القيصرة كاترينه الثانية التي كانت أفضل خلف لبطرس الاكبر بدهائها وحسن سياستها طالوت في الامر على أمل أن تغنم الغنيمة وحدها بعد حين . وكانت كاترينه هذه قرينة بطرس الثالث حميد بطرس الكبير وقد أماتت زوجها

للتأثرين وكان الرجل الذي يحتاج الى مثله في مثل هذه العظام
لما كان عليه من البسالة وعدم الاستخفاف لدى النصر والجنب
لدى الانكسار. فأرسل الانكليز ١٧٠٠٠ مقاتل أكثر وهم من الامراء
الالمانين لمحاربتة فأفقدوه نيو يورك وفيلادلفيا غير انه احتفظ
بمدينة هو في الشرق واستطاع بها ان يرد هجمة بورغوين عليه
مع جيش أتى به من كندا لانجاد الانكليز ثم حصره في ساراتوغه
(١٧٧٧) ودحره وكانت فرنسا قد ارسلت أسطولا لمساعدة امريكا
فقاتل الاسطول الانكليزي لى آخر الحرب دون ان يفوز أو يفاز
عليه وكذلك أرسلت فرنسا جيشاً بقيادة روشامبو ولافايت
فاضطرا كورنواليس ان يسلم لهما مدينة يورك تون . وبعد قليل
انضمت أساطيل اسبانيا وسائر الاساطيل الثانوية الى أسطول
فرنسا وتألقت من جميعها « عصابة أهل الحياض » بحجة ان تؤمن
طريق السفن التي لا تهرب أدوات للحرب فضاقت انكثرا ذرعا
عن اتمام القتال ووقعت على معاهدة فرساي التي ردت الى فرنسا
بعض مراكزها الاستعمارية المسلوقة عدا كندا وأثبتت استقلال
الولايات المتحدة (١٧٨٣).

ولم يمض نصف قرن على استقلال الولايات المتحدة حتى
أخذت تناظر انكثرا في تجارتها البحرية . اما واشنطن فبعد ان
انتهت الحرب فرق جنوده وكانوا لا يريدون الانفكاك عنه وعاد

وهلم جراً وكانت كل مستعمرة ذات جمعية شوروية تدير شؤونها

﴿ فصل ﴾

﴿ في حرب أمريكا (١٧٧٥ - ١٧٨٣) ﴾

عند ما انتهت حرب السبع السنين أرادت الوزارة الانكليزية ان تحمل المستعمرات قسماً من ضرائب المماكة فقرضت على امريكا رسم استعمال الطوايع وعوائد على الزجاج والورق والشاي (١٧٦٧) فأبى سكانها ذلك بناء على البند الدستوري الانكليزي القاضي بان لا تؤخذ أموال من بلدة الا ما يقرره نوابها . وهلم يكن لهم نواب في البرلمان البريطاني ثم تعاهد سكان ٩٦ مدينة منهم على ان لا يشتروا بضاعة انكليزية مادامت الحكومة لا تجيبهم الا ما طلبوه في احتجاجهم من تعيين نواب لهم وفي سنة ١٧٧٤ التي بعض المعتصمين محمول ثلاث سفائن انكليزية في البحر وبعد ذلك بأشهر كان ابتداء الثورة ثم انعقد مجتمع فيلادلفيا في ١٤ يوليو من سنة ١٧٧٦ وأعلن استقلال المستعمرات الثلاث عشرة واتحادها مع بقاء كل منها على حريتها السياسية والدينية .

﴿ فصل ﴾

﴿ في واشنطن واشتراك فرنسا في الحرب وعصاة أهل الحيات ﴾

وانصب واشنطن احد كبار مزارعي ورجلينا قائداً عاماً

سنة ١٧٩٩ الى ١٨٠٨ تحارب المورانيين حتى أخضعتهم . وفي سنة ١٨٤٦ فتحت البنجاب أو بقعة الانهار الخمسة ثم فتحت البقاع الواقعة وراء الكانج في الشمال الشرقي ليكون لها منها سبيل الى الصين وفي سنة ١٨٤١ حاولت ان تستولي على الشمال الشرقي من جبال افغانستان لتقابل الروس فيه فلم تفلح . وفي سنة ١٨٥٨ تنازلات الشركة للمملكة الانكليزية عن فتوحاتها في الهند وهي لا تقل مساحة عن أوروبا الغربية كلها عدا روسيا فالانكليز اليوم يحكمون على مئتي مليون هندي .



الباب الواحد والسبعون

(في تأسيس الولايات المتحدة الاميركية (١٧٨٣))

فصل

(في أصل الجاليات الانكليزية التي قطنت امريكا) *

كانت الجماعات والافراد من الذين يضطهدون في انكلترا بسبب الدين يفرون الى امريكا الشمالية ويعيشون فيها بحرية الضمير والمعتقد وكان كل فريق من المهاجرين يستوطن بقعة فالكاثوليك اختاروا ماريلاند والبروتستانت أهل البدع المختلفة عن المذهب السائد في بريطانيا العظمى اختاروا البقعة التي سميت بانكلترا الجديدة

الكبير (١٦٥٠) على الاذن بالتجار في بنغال وفي سنة ١٦٩٠
 شيدت مدينة قلقوطه . غير ان المراكب الحربية الفرنسية لم تلبث
 ان اضعفت تلك الشركة بمساعدة الامبراطور المغولي وحمّلت التجارة
 الانكليزية خسارة ٦٧٥ مليوناً في اثناء حرب عصابة أوجسبرج .
 وفي سنة ١٧٧٧ توفي الامبراطور أورنج زيب فظن الانكليز
 انهم يتهمزون الفرصة لتأييد سلطتهم في الهند غير ان كولبير أنشأ
 في سنة ١٧٢٣ شركة مناظرة لشركتهم وكان يديرها دوبلكس
 الذي حولها الى حكومة قوية ذات حصون ومعامل أسلحة
 وجيوش وأرض مساحتها ٩٠٠ كيلو متر تمتد من رأس كامورين
 الى كريشنه . واستمر دوبلكس ثلاثين سنة مطلق الحكم على
 ثلاثين مليوناً من الهنود غير ان لويس الخامس عشر لم يلبث ان
 استرجعه الى فرنسا . مات فيها فقيراً وأخذ الانكليز مكانه واحتدوا
 على مثاله فنجحوا نجاحاً تاماً ولم يبقوا لفرنسا في الهند
 الا بونديشيري .

وحدث بعد وفاة أورنج زيب ان السوابيين أو الامراء
 والنابايين أو الولاة انقسموا وحاول كل منهم ان يستقل فاخذت
 شركة البنغال الانكليزي تنتشر بسهولة ولم تصادف معارضة الا في
 دقّان فان الامير حيدر علي المسلم صاحب ميسور وابنه تيبوسايب
 حاربها من سنة ١٧٦١ الى ١٧٩٩ ثم بقي الفوز للشركة واخذت من

من الانكليزية ولا بدأ من بنود الدستور الانكليزي فأخذ
 يحكم على يد وزيره روبرت والبول رئيس الاحرار وكانوا قد
 أسقطوا المحافظين وقاموا مقامهم الى سنة ١٧٤٢ . ثم سقطوا
 عند بدء الحرب خلافة النمسا وقام بعدهم المحافظون وفي أثناء هذه
 الحرب نهض كارلوس ستيوارت يطالب بسرير آبائه (١٧٤٥)
 فأحدث دماراً كبيراً في انكلترا ثم دارت عليه الدائرة وفي ذلك
 الزمن ظهر النائب الشهير ويليم بيت العدو لفرنسا ثم لم يلبث ان
 أصبح وزيراً اول فادار حرب السبع السنين على فرنسا بمهارة
 وثبات عجيبيين وفي خلاهما أفقد فرنسا بحريتها ومستعمراتها . وعند
 وفاة جورج الاول سنة ١٧٢٧ خلفه جورج الثاني وتوفي سنة ١٧٦٠
 وكلاهما ملكا ولم يحكما بل كان الامر للنواب يستلمه الوزراء
 الاحرار أو المحافظون منهم والملك يوقع على ما يعرضه عليه وزراؤه
 وذلك ما جعل انكلترا ثابتة في سياستها قوية عزيزة الجانب مدة
 قرنين كاملين وحدث أن ملكها جورج الثالث اصيب بمس في
 عقله جملة مرار في خلال عهده الطويل الذي طال ٦٠ سنة (١٧٦٠ —
 ١٨٢٠) فلم يتأثر من ذلك سير الحكومة في انكلترا اقل تأثراً .

﴿ فصل ﴾

﴿ في الشركة الانكليزية للهند الشرقية ﴾

هذه الشركة تأسست في عهد الملكة اليصابات وحصلت من المغولي

عوضاً عن النمسا ومهد خلفه طريق ضمها الى مملكته من بعده

❖ الباب السبعون ❖

﴿ في قوتي انكاترا البحرية والاستعمارية ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في انكاترا من سنة ١٦٨٨ الى سنة ١٧٦٣ ﴾

ان ثورة ١٦٨٨ أحيت الحرية الوطنية والدينية في داخل انكاترا وسودت بحريتها في الخارج على بحريتي فرنسا وهولنده ولما حدثت حرب عصابة اوجسبرج ثم حرب خلافة اسبانيا انتشرت صفائن الانكليزي في المحيط كله. وفي سنة ١٧٠٢ توفي غايوم الثالث خلفته الملكة حنة ثانياً بنات جاك الثاني فألفت برلمان ادمبرج وضمت من ذلك اليوم اسكتلنده الى انكاترا ضمها تماماً واستمرت الى سنة ١٧١٠ تحم على يد الاحرار وتقاوم سياسة لويس الرابع عشر وقد رأينا انتصار قائدها مارابروك على الفرنسيين في هوشستد واودنارد وراميلي وماابلاكه. وفي سنة ١٧١٠ سقطت وزارة الاحرار وخلفتها وزارة المحافظين فعمدت مع فرنسا صلح اوترخت (١٧١٣) ثم توفيت الملكة فمنح البرلمان التاج لجورج دي برانسويك منتخب هانوفر (١٧١٤) وكان لا يعرف كلمة

فتحالت فرنسا وروسيا والنمسا عليها فأسرع فريدريك وفتح ساكس
ثم بوهيميا فأرسلت فرنسا جيشين الى المانيا احدهما انتصر والاخر
انكسر (١٧٥٧) ودارت رحى الحرب من كل جانب فبقي فريدريك
بضع سنين مقاوماً لفرنسا والنمسا وروسيا واسوج والتقى جيشه
بجوشها في ثماني مواقع الى ان خارت قواه في سنة ١٧٦١ وكاد
ملكه يقتسم فاتفق ان توفيت في تلك السنة اليصابات القيصرية
وخلعها بطرس الثالث وكان معجباً بسالة ملك بروسيا فاستعاد جنوده
فاستأنف فريدريك الحرب وفاز على أعدائه واستبقى سيلازيا. أما
فرنسا فلم تمس براً ولسكنها فقدت بونديشيري وكوبك من
مستعمراتها وخسرت بحريتها وقبلت بمعاهدة باريس (١٧٦٣)
فكانت النتيجة من هذه الحرب الثانية ارتفاع بروسيا براً وانكاثراً
بحراً واذلال النمسا وانحطاط فرنسا. أما بروسيا فقدت فيها مليون
نفس واتهمت النار ١٤٥٠٠ من منازلها. وبعد أن أسس فريدريك
مملكته على حدود السيوف أخذ يصاح شؤونها الداخلية بنف
المستنقعات وابتنى الجسور والسدود والمعامل واحترف الترع وأقام
بنكاً عقارياً وعمم المعارف ورقى نظمات القضاء والادارة. وفي سنة
١٧٧٢ تم تقسيم بولونيا كما سنرى ذلك بعد قليل وفي سنة ١٧٧٧
اكره النمسا على ترك بافابا مع انها اشترتها بما لها عقيب وفاة آخر
منتخبها وبذلك نصب نفسه من نصب الحامي للامبراطورية الالمانية

فريدريك السلاح ثانية ودخل بوهيميا منتصراً وعقد معاهدة
 درسد التي أبتت له سيلازيا . وتمكن في هذه الاثناء كارلوس
 السابع من الرجوع الى مونيخ وأرسل ابنه يفاوض ماري تيريزا
 في أمر الصالح (١٧٤٥) فعند ذلك لم تبق لفرنسا مصلحة في
 مداومة الحرب الا لتصل الى المسألة بطريقة تشر فيها فانتصر قائدها
 المارشال دي ساكس على أعدائه في روكو ولوفلد وما يستريخت
 ثم أرسلت روسيا ١٠٠٠٠ جندي روسي لتأييد الفرنسيين فانتهت
 هذه الحرب بمصالحة ااكس لاشابل (١٨٤٨) وفيها تعهد
 الفرنسيون والانكليز بان يرد بعضهم لبعض ما فتحه كل فريق
 من أملاك الآخر . وكانت فرنسا فائزة في البر الا انها خسرت
 بحريتها وأضاعت فرصة استعمار الهند التي كان دوبلكس قد مهد
 لها طريق الاستيلاء عليها .

﴿ فصل ﴾

﴿ في حرب السبع السنين الثانية ١٧٥٦ ١٧٦٣ ﴾

فبادرت فرنسا الى تجديد عمارتها وتوسيع نطاق تجارتها
 تخافت انكاثرا من سرعة نهضتها وأسرت سفائنها بدون اعلان
 حرب (١٧٥٥) ثم جنبت عن مداومة الحرب البحرية مع فرنسا
 فبذلت الماء لاية دولة تشاء محاربة عدوتها براً فقبلت ذلك بروسيا

رأينا ما كان من انحطاط النمسا على أثر الصدمات التي لقيتها
 من بروكستان المانيا بمساعدة الاسوجيين ومن الاتراك ومن
 الفرنسيين الا ان البرنس اوجين الفرنسي الاصل انقذها بانتصاره
 على الاتراك في زانتا (١٦٩٧) وفي بترواردين (١٧١٦) وفي باغراد
 (١٧١٧) كما أن حرب خلافة اسبانيا وسعت نطاق أملاكها بضم
 هوانده الاسبانية وبارناس وبارمه اليها . وفي سنة ١٧٤٠ توفي
 الامبراطور كارلوس السادس فانقرضت به سلالة هابسبورج من
 الذكور فقام الخلف على وراثته بين ملك اسبانيا ومنتخي بافاريا
 وساكس وملك سردنيا وفريدريك الثاني ملك بروسيا فقاومتهم
 ابنته ماري تيرزا وانضمت فرنسا الى ملك بروسيا وانكثرا الى
 الامبراطورة .

وكان فريدريك الثاني منقطعاً للاشتغال بالادبيات الى ان انتشبت
 تلك الحرب فظهر لاوريا بمظهر أعظم قواد عصره من أول حملة
 حملها فانه انتصر انتصاراً باهراً على ابطال البرنس اوجين في
 مولويتس وفتح سيلازيا . وكان الفرنسيون في تلك الاثناء قد
 دخلوا بوهميا ودوق بافاريا قد توج نفسه امبراطورا . غير ان
 ماري تيرزا لم تلبث ان جهزت جيشاً جديداً كانت تنفق عليه من
 مال انكثرا وأرسلته الى براغ فحصر الفرنسيين فيها فترجعوا
 وانجلوا عن بوهميا فاسترجعها النمسيون وهجموا على بافاريا فحمل

من الامبراطور مارغرافية برنذبورج وأصبح بذلك أحد المنتخبين في المانيا . ثم قام من بعده ابنه البرت (١٤٦٩) فاصدر أمراً بأن كل ما يستزیده ذووه في المستقبل من الاملاك يضم الى الانتخابية وان الانتخابية لا تقبل التقسيم . وفي سنة ١٦١٨ استزاد هذا البيت دوقية بروسيا وفي سنة ١٦٢٤ دوقية كليف وكونتيني مارك ورافنسبرج وقد رأينا في معاهدة وستفالي ان صاحب هذه الانتخابية الكبرى احتل مجدبرج وقسما من بوميرانيا (١٦٤٨) . ولما تولى فريدريك غايوم انتصر لهوانده على لويس الرابع عشر وكسر الاسوجيين في نهر باين فكان ذلك أساس شهرة الجيش البروسي . وهو الذي شيد برلين ووطن فيها وفي البقاع غير المأهولة من أملاكه عدداً عظيماً من الهولنديين والفرنسيين الذين أخرجهم من بلادهم نقض منشور نانت . ثم خلفه ابنه فريدريك الثالث فاشترى من الامبراطور لقب الملك وتوج نفسه في كنيغسبرج (١٧١١) وكان لا يزال معدوداً كسائر المنتخبين بالنظر الى المانيا . ثم خلفه فريدريك غايوم الاول (١٧١٣) فأسس الجيش البروسي وكان يبلغ ٨٠ الف مقاتل وقضى عمرة في ترويض عساكره وتمارينهم ولم يتم بعمل يذكر سوى أنه فتح بقية بوميرانيا .

﴿ فصل ﴾

« في ماري تريزا وفريدريك الثاني وحرب السبع سنين (١٧٤١ - ١٧٤٨) »

أسقف فريجوس أستاذ الملك فبذل قصارى جهده في اصلاح حال
 المالية وتوطيد السلام في أوروبا ولكنه أضعف بحرية بلاده باجابه
 انكلترا الى كل المطالب المضرة التي كانت تعرضها عليه . ولما توفي
 اغسطس الثاني ملك بولونيا انتخب أكثرية أهلها ستانيسلاس
 لكونسكي وكان الروسيون يريدون تعيين منتخب ساكس (١٧٣٣)
 فاضطر ملك فرنسا ان يجده صهره ولكنه بعث اليه عدداً قليلا من
 الجنود فغلبوا جميعاً واتي لكونسكي الى فرنسا (١٧٣٤) فأراد فلوري
 ان يحمو هذا العار وحالف سافوي واسبانيا لخراج النمسا من
 ايطاليا فانتصرت جنود الحلفاء في بارمه وغواستالا وأكرهت
 الامبراطور على التوقيع على معاهدة ويانه (١٧٣٣) التي أعطيت
 بمقتضاها دوقية لورينه لستانيسلاس على ان تأول بالارث عنه الى
 تاج فرنسا وأعطى دوق لورينا توسكانا وأعطى دون كارلوس
 ولي عهد اسبانيا صقليا ومملكة نابولي . ثم ان فرنسا انتصرت لتركيا
 في معاهدة بلغراد (١٧٣٩) ففتحها الصرب بموجها وبعد هذا
 الفوز على النمسا عادت ذات النفوذ الاول في أوروبا .

﴿ فصل ﴾

(في نشأة بروسيا)

في سنة ١٤١٧ اشترى فريدريك هوهنزولرن صاحب نورمبرج

من عمره فأقام البرلمان دوق اورليان وصياً على الملك فاستوزر
استاذة الكردينال دوبوا فاخذ يحالف انكلترا ويعادي اسبانيا
فنوى عند ذلك السكردينال البيروني وزير فيليب الخامس ان يحرض
الاتراك على النمسا ليحتلوها ويشير مؤامرة في فرنسا لاستقاط الوصي
ووزيره ويرجع آل ستيوارت الى انكلترا بسيف كارلوس الثاني عشر
غير أن البرنس اوجين غلب الاتراك في بلغراد (١٧٧١) ومؤامرة
سلامار في فرنسا لم تفلح وكارلوس الثاني عشر هلك في نروج . ثم
هدم الانكليز الاساطيل الاسبانية بقرب مسينا ودخل الفرنسيون
نافاريا وخرجت اسبانيا مستضعفة من هذه الحرب . ومن أهم ما أتاه
الوصي مدة حكمه انه استعان برجل مالي شهير يدعى لاو لسد العجز
الفاحش الذي تركه لويس الرابع عشر في الميزانية فأنشأ شركة الهند
فنجحت نجاحاً تاماً في أول أمرها ثم سقطت فضمها الى بنك
فرنسا لتستمر في مركزها ويتمتع الخراب والافلاس فسقطت هي
والبنك جميعاً وفر لاو تلغنه عامة الناس لما أضاع عليهم من أموالهم
باحتياله ونعشه

وفي سنة ١٧٢٣ توفي الوصي ودوبوا فتولى الوزارة بوربون
وأهم عمل قام به انه زوج لويس الخامس عشر من ابنة ستانيسلاس
لكزنسكي (١٧٢٥) الذي أقامه كارلوس الثاني عشر ملكاً على
بولونيا ثم لم يلبث ان خلع . وخلف بوربون في الوزارة فلوري

هذه الفرصة وأوقع بمازيبا على انفراد ثم بجدة اسوجية كانت آتية
لامداده . وحدث ان شتاء سنة ١٧٠٩ كان شديداً فأتم شتاء
كارلوس الثاني عشر حيث أدركه الروسيون في بولتوا (١٧٠٩)
فالجأوه الى الفرار مع خمسمئة من خياله فذهب الى بندر وحرص
الأتراك على الروسيين فأرسلوا مئة وخمسين الف مقاتل فاجتازوا
الطونه وحصروا بطرس في معسكره ببروث وكادوا يقبضون عليه
لولم يكفهم عنه الصدر الاعظم لرشوة أخذها منه . فتمهد القيصر
بتسليم ازوف واجلاء عساكره عن بولونيا . وكانت هذه المعاهدة
أشبه بانكسار جديد لكارلوس الثاني عشر غير أنه استمر مع ذلك
ثلاث سنين في بلاد الأتراك وفي سنة ١٧١٤ عاد قاصداً اسوج
وكانت الدول قد اقتسمت اسلابها فاشترى جورج الاول ملك
انكلترا بريم وفردين وأخذ ملك بروسيا برنيم وستاتين وشرع في
حصار ستراسلند وعند ذلك دخلها كارلوس الثاني عشر ودافع عنها
شهوراً ثم ذهب منها الى اسوج فقتل غدرًا في حصار فريديكشال
(١٧١٨) وترك بلاده معيبة منهوكة ضعيفة . أما بطرس فلم يمنح
الصلح في نيمتاد (١٧٢١) للاسوحيين الا وقد تنازلوا له عن ايفونيا
واستونيا وainجريا وقسم من كاريليا وقسم من بلاد فيبورج وفنلانده
وهكذا انحطت اسوج وارتفعت روسيا .

وفي سنة ١٧١٦ سافر القيصر ثانياً الى الغرب فزار فرنسا

بشورة قام بها جيش الحرس القيصري فهرع الى موسكو وقتل
 منهم ٥٠٠ وسجن الفين . ثم أسس الفرق المنظمة وحمل اولاد
 الكبراء على الخدمة فيها جنوداً قبل أن يصيروا ضباطاً وشيد
 المدارس للحساب والفلك والبحرية وشرع في حفر ترعة من الدون
 الى الفولكا غير ان احدي الحوادث العظيمة كفتته عن هذا العمل
 العظيم . وذلك ان ملك اسوج كارلوس الحادي عشر توفي فظنت
 روسيا والدانمرك وبولونيا ان تلك فرصة لاقتسام البلطيك (١٧٠٠)
 ولكن كارلوس الثاني عشر مع حداثة سنه وكان لا يتجاوز الثامنة
 عشرة أراهم تحقيق ما قيل فيه من انه « ان لم يكن الاسكندر بذاته
 فهو أول جندي بين جنود الاسكندر » فانه هجم على الدانمرك
 ليفزوها ثم زحف بثمانية آلاف اسوجي على ثمانين الف روسي فردم
 على أعقابهم وطرد السكسونيين من ليفونيا ولحق بهم الى ساكس
 نفلع أغسطس الثاني وأجاس مكانه على العرش ستانيسلاس
 اكرزينسكي (١٧٠١ - ١٧٠٦) . وفي هذه الاثناء الف بطرس
 جيشاً كبيراً على مثال الجيوش التي رآها في اوربا وفتح انجريا
 وكاريليا وأسس بطرسبرج (١٧٠٣) ايستولي بها على خليج فنلاند
 ولما فرغ كارلوس الثاني عشر من أعماله التي ذكرناها قصد بدارس
 لمحاربه غير انه ضل سبيلا في مستنقعات بنسك عن القائد القوقافي
 مازيبا الذي كان قد وعده بانجاده بمئة الف مقاتل فاتهن بطرس

الى البلطيك الجنوبي وجمهورية القوقازيين الباسين التابعين بالاسم
لبولونيا تفصاهم عن البحر الاسود كما تفصاهم عنه أيضاً جماعة من
القبائل التتية . ولما سقطت جمهورية نوفوغورود في سنة ١٤٧٦
انفتحت لهم مسالك المحيط المتجمد وشمالى البلطيك . ثم أفنوا
تتراسترا كان ووصلوا الى بحر قزوين . وفي سنة ١٦٥٦ عقدوا مع
البولونيين معاهدة وينا التي خطوا بها أول خطوة نحو اوربا حيث
أدخلوا في أملاكهم سموانسك ونشيرينكوف واوركين . وحين
تولى ايوان الثالث منع تقسيم أملاك التاج بين أعضاء عائلته وترك
تلك العادة جارية في بيوتات الشرفاء ليضعفوا بها . ثم خاضه ايوان
الرابع الملقب بالشديد فنكل بالشرفاء تمكيدا وأصدر في سنة
١٥٩٣ أمراً يجعل جميع الفلاحين ارقاء لازمين للارض التي يوجدون
عليها لا يستطيعون ان يبتدعوا من تبعية سيد الى تبعية آخر

﴿ فصل ﴾

﴿ في بطرس الكبير (١٦٨٢) ﴾

وفي سنة ١٦٨٢ لقب بطرس بالقيصر وكان في العاشرة من
عمره . فلما شب تآقت نفسه لزيارة اوربا واقتباس فنونها نزار
ساردام بهولنده ليتعلم كيف يبني مركباً ثم انكثرا ليستطلع احوال
الصناعة فيها ثم المانيا لمشاهدة نظاماتها الحربية وبينما هو في ويانه علم

— ❧ الباب الثامن والستون ❧ —

﴿ في نشأة روسيا وانحطاط اسوج ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في دول الشمال في أول القرن السابع عشر ﴾

بينما كان أهل وسط اوروبا وغربها يتقدمون ذلك التقدم السريع الذي وصفناه كان السلافيون والسكندينافيون في ظلمات من الجهل والهدجية استمروا فيها الى ما بعد فتح المغول لروسيا ففي ذلك العهد تعززت بولونيا بانتصارها المتوالي على المغول ثم اسوج بظهورها في مدة غوسناف ادولف على الالمانيين والبولونيين والروسيين . وفي منتصف القرن الثامن عشر كان البلطيك لا يزال بحيرة أسوجية محاطة بمراكز حصينة غير ان السيادة الاسوجية عليه كانت سريعة العطب والزوال لما كان حواليه من الاعداء المتهيبين لاقتسامه . وكانت اذ ذاك بولونيا لا تزال ممتدة من جبال كربات الى البلطيك ومن الاودير الى منابع الدنيابر والنواكساغير ان حكومتها الفوضوية وماكيتها الانتخابية كانتا مضعفتها وفاقحتي أبوابها لكل طارق من الاعداء . وفي الزمن الذي نحن في صددده كان منتخب ساكس هو الملك عليها . أما الروسيون فكان الاسوجيون والبولونيون ودوق قورانده يحولون دون وصولهم

ودامت الحال كذلك الى ظهور كوبرنيك في القرن السادس عشر فكان الاول والآخر في زمانه ولكنه ظهر في القرن السابع عشر كبلر الورتنبرجي الذي أثبت صحة ما علمه كوبرنيك من أن السيارات تدور حول نفسها وحول الشمس . ثم غاليله البيزي الذي قال بدوران الارض فعاقبه التفتيش الاستبدادي الكاثوليكي بالسجن والتعذيب على اكتشافه (١٦٣٣) ثم نيوتن الانكليزي الذي اكتشف النواميس الاولى للنور وللجاذبية العامة . ثم لينتس مكتشف حساب الفروق ثم باسكال مكتشف حساب الخطأين ثم ديكارت الشهير ثم بايين مكتشف قوة البخار المحركة ثم رومر مكتشف سرعة النور ثم هارفي مكتشف دورة الدم ثم كاسيني وييكار اللذين أسسا هاجرة باريس ثم توريشلي صاحب مقياس الحرارة على وضع يختلف عن مقياس غاليله ثم هويجنس مخترع الساعة ذات الرقاص .

ومما تقدم يظهر ان السبق في هذا القرن كان لفرنسا ثم لانكلترا وتليهما سائر الدول من بعيد .



﴿ فصل ﴾

﴿ في الآداب والصناعات في الامصار الاخرى ﴾

كانت ايطاليا والمانيا واسبانيا في انحطاط وقد ظهر في اسبانيا لوب
دي فيجا وكالديرون وسرفانتس من الكتاب
وأما انكترا فقد كان ذلك العصر عصرها الذهبي أيضاً إذ
نبغ فيه شكسبير وماتن ودريدن وأديسون من أعظم الشعراء
والادباء. وهوبس ولوك من المنفلسين الكبار. وظهر في امستردام
الفيلسوف اليهودي الشهير سبينوزا وفي ليمزيك من المانيا العلامة
ليبننتس .

اما الصناعات فكان السبق فيها لهولنده والفلانك فقد ظهر فيهما
روبنس وفان ديك ورامبرند وتنيه وأخوه وظهر في اسبانيا
فيلاسكس ومورايو ورييرا وفي ايطاليا لوجيد ولوبرنين واما
انكترا والمانيا فلم يكن فيهما صناعات يخلق بالذكر .

﴿ فصل ﴾

﴿ في العلوم في القرن السابع عشر ﴾

علمنا ان القرون القديمة والمتوسطة ذهبت كل مذعب في
ميادين الفكر والنظر والتنمور ولكن كانت على جهل من حيث
العلم التحقيقي الوضعي

وبعد هذه الحوادث بقليل توفي لويس الرابع عشر (١٧١٥٠)
وكان قد حكم مدة ٧٢ سنة حكما مطلقاً الى حد أنه كان يقول « اني
أنا ملكتي »

— ❦ — الباب السابع والستون ❦ —

❦ في الصنائع والاداب والعلوم في القرن السابع عشر ❦

❦ فصل ❦

❦ في الاداب والصنائع في فرنسا ❦

هذه جريدة أسماء المشاهير من الفرنسيين في ذلك العصر
الذهبي . كورنايل ومويا روبوالو ولافونتين وبوسويه ومدام دي
سفينيه وراسين ولابرويار وفنلون وسن سيمون وبوردالو من
الشعراء والكتاب والواعظين . وكازوبون وسكاليجر وسوماز
ودوكانج وبالوز وبايل والزهبان البندكتيون من الباحثين في العلوم
والتاريخ . وباسكال من الكتاب والحكماء وديكارت صاحب
فلسفة الطريقة وهي أساس النجاح والمدنية وقاعدة الحاضر
والمستقبل في الدنيا لصدق مبادئها وصحة مقدماتها ونتائجها وبوسين
ولسيور وكلود لورين ولبرون من أمهر الرسامين وبوجه من أبرع
النحاتين ومانسار وبيروات من أشهر المهندسين البنائين ولولي من
كبار الموسيقين .

انتصاراً باهراً عجل عقد الصلح فوقعت عليه انكلترا والبرتغال
وسافوى وبروسيا وهولنده في اوترخت (١٧١٣)

﴿ فصل ﴾

﴿ في معاهدي اوترخت وراسناد (١٧١٣ - ١١٧٤) ﴾

يؤخذ من معاهدة اوترخت ان لويس الرابع عشر صدق على
النظام الوراثي الجديد لملك انكلترا على اثر ثورة ١٦٨٣ وترك
للانكليز الارض الجديدة وقبل بهدم حصون دنكرك وبأن لا
يجتمع تاجا اسبانيا وفرنسا على رأس ملك واحد . وبأن يأذن لهولنده
بوضع الحاميات في اكثر مراكز الولايات الاسبانية منها لتحميها
من الوقوع في أيدي الفرنسيين . وأعطى دوق سافوى صقلييا
ولقب الملك . ومنح منتخب براندبرج لقب الملك على بروسيا .
اما امبراطور المانيا فانفرد عن الباقيين ارادة اتمام الحرب الى ان
يملك على اسبانيا فانصر الفرنسيون على جيوشه في لاندو و فريبورج
فوقع على معاهدة راسناد (١٧١٤) وبمقتضاها كسب جانبا من
املاك اسبانيا الخارجية والولايات المتحدة الهولندية الاسبانية ونابولي
وسردينيا وميلانو وتوسكانا . على أن فرنسا خسرت خسارة كبيرة
في هذه الحرب ولكن اسبانيا بفقدائها أملاكها الهولندية اصبحت
حايقة طبيعية لها فأمنت بذلك على تخومها الجنوبية وتعززت تخومها
في الشمال الشرقي .

وفي الوقت نفسه نزل مارلبوروك في هولنده الاسبانية
والارشيديوق كارلوس في البرتغال وثار السكاميزار وهم طائفة من
البروتستان في سيفين من أعمال فرنسا وأحدق الخطر بهذه الدولة
من الداخل والخارج . وفي سنة ١٧٠٤ انكسر الفرنسيون في
موقعة ثانية في هوشستد فاخرجوا من المانيا ثم في موقعة راميلي
فاخرجوا من هولنده الاسبانية ثم في تورين فاخرجوا من ميلانو
ومملكة نابولي (١٧٠٦) وفي سنة ١٧٠٧ دنا العدو من طولون
بجمع لويس الرابع عشر جيشاً جديداً جراراً ليستوقف به الاعداء
في هولنده الاسبانية فانكسر في أودنارد ثم حوصرت مدينة ايل
فسلمت بعد شهرين (١٧٠٨) فطلب لويس عند الصلح فاشترط عليه
انه يطرد بنفسه حفيده من اسبانيا فابي وعباً جيشاً آخر تحت قيادة
فيلارس فانكسر في مالبلالكة بعد ان قتل منه ثمانية آلاف وقتل
من الاعداء ٢٠ الفاً . غير ان فاندوم انتصر على المتحالفين في
فيلافيسيوزا (١٧١٠) فكان هذا الانتصار تأييداً لفيليب الخامس
على عرش اسبانيا وفي سنة ١٧١١ توفي امبراطور المانيا خلفه أخوه
الارشيديوق كارلوس فخافت الدول ان يجتمع على رأسه تاج اسبانيا
وتاج الامبراطورية ونابولي وفضلت ان يبقى فيليب الخامس ملكاً
على اسبانيا فأخذت انكلترا تفاوض فرنسا في شأن الصلح وبعد
ذلك باشر انتصر فيلارس على الجيش الامبراطوري في دينان

على خلافته وهي فرنسا والنمسا وبافاريا. فاما لويس الرابع عشر فكان
 يطالب بما لامراته ماري تيريزا من الحق وأما ليوبولد الاول فكان
 يطالب بمثل ذلك لامراته مرغريته الشقيقة الثانية لماري تيريزا
 وأما منتخب بافاريا فكان يطالب بمثل ذلك لحفيده القاصر الذي
 كان أيضاً حفيد مرغريته المتقدم ذكرها . وكان كارلوس الثاني
 اميل الى استخلاف هذا الصبي فمات الصبي فانصرف ميله الى استخلاف
 دوق انجو حفيد لويس الرابع عشر فلم يكن من هذا الملك عند ما
 لبس حفيده تاج اسبانيا تحت اسم فيليب الخامس الا انه أعلن ان
 حقوق حفيده بوراثة عرش فرنسا محفوفة له فخافت اوربا من ان
 تتجدد سلطنة شرل كان ذات يوم على يد آل فرنسا كما ساءها اعتراف
 لويس بجاك الثالث ملكاً على انكلترا بعد وفاة ابيه جاك الثاني
 وعدت ذلك خروجاً عن حدود معاهدة ريسويك (١٧٠١) فتحالفت
 ثانية في لاهاي وكانت المتحالفات انكلترا والولايات الهولندية المتحدة
 والامبراطورية الالمانية والبرتغال منضماً اليه انفس دوق سوافوى صهر
 فيليب الخامس. وعهدت ادارة المحالفة الى ثلاثة قواد عظام هم هينسيوس
 الهولندي ومارلبوروك زعيم حزب الاحرار في انكلترا والبرنس
 أوجين الفرنسي الاصل احد الذين هاجروا الى النمسا. فلما انتشب
 القتال فازدوق فاندوم (١٧٠٢) على البرنس أوجين في لوزارا وفاز
 فيلارس على جيش آخر امبراطوري في فريدانجن وفي هوشستد.

﴿ فصل ﴾

• في حرب عصاة اوجسبرج (١٦٨٩ - ١٦٩٧) •

فوجه لويس اول ضرباته الى غليوم ذلك انه احسن وفادة جاك الثاني
 وأعطاه اسطولا وجيشا احتل بهما ايرلنده غير أنه انهزم في موقعة
 بوين فرجع. ثم ان الملك أمر تورفيل ان يهجم بسفائنه الاربع
 والاربعين على تسع وتسعين سفينة انكليزية فانكسر الاسطول
 الفرنسي بقرب هوغ (١٦٩٢) ومن ذلك اليوم أصبحت السيادة
 البحرية لانكلترا غير ان فرنسا وفقت في البر فتغاب لوكسنبرج على
 جنود الحلفاء في فلوروس (١٦٩٢) وفي ستينكرك (١٦٩٢) وفي
 نيروندن (١٦٩٣) . ثم استمال لويس دوق سافوى اليه بما رده اليه
 من أملاكه المنزعة منه ففصله عن الدول المتحالفة فاضطرت الى
 القبول بمعاهدة ديسويك (١٦٩٧) وبها اعترف لويس بغليوم
 الثالث ملكا على انكلترا وأرجع لالمانيا الاملاك التي انتزعا منها
 في مدة السلم واستبقى له سان دومنج ولاندو وسان لويس .

﴿ فصل ﴾

• (في حرب الخلافة لاسبانية (١٧٠١ - ١٧١٤)) •

كان كارلوس الثاني ملك اسبانيا آخر سليل من الاسرة النمسية
 التي توارثت سرير هذه الدولة . وكانت ثلاث دول تستمدل تنازع

البرلمان يعقد في مواعيد مسماة وأنه يفرض الضرائب ويشارك الملك في سن القوانين وهلم جرا . وبعد ذلك بأشهر وضع لوك احد الذين كان يضطهدهم جاك الثاني القاعدة الاساسية التي استقرت عليها الحكومة الانكليزية وهي ان سيادة الامة والحرية هما المبدآن الشرعيان اللذان تقوم بهما كل حكومة وتدوم .



٥- الباب السادس والستون

(في تحالف الدول على فرنسا (١٦٨٨ - ١٧١٤))

﴿ فصل ﴾

٥ (في عصابة أوجسبرج (١٦٨٦))

لما رأت الدول ما كان من كثرة مطامع لويس الرابع عشر بحيث أصبح لا يحسب حساباً لها وأخذت تارة يستولي على بعض المدائن في حالة السلم بدعوى أنها من ملحقات فتوحاته ومن ذلك أخذته عشرين مدينة احدها ستراسبرج (١٦٨١) وتارة يسيء معاملته البابا لانه أهان سفيره وطوراً يطالب بقسم من ولاية البلاتين الالمانية وأنا يسعى لامتداد نفوذه لامتداد نفوذه على وادي البو في ايطاليا تحالفت عليه تحت اسم عصابة أوجسبرج في سنة ١٦٨٦ أما انكارترا فلم تدخل في الحائفة الا في سنة ١٦٨٩

توايه منصبه انه لا يعتقد « بالاستحالة » واستمر هذا القرار نافذاً في انكترا الى سنة ١٨٢٩ . وجرت على أثر هذه الخطة الجديدة اضطهادات فظيعة للكاتوليك . وفي سنة ١٦٨٥ خاف جاك الثاني أباه على أثر ثورة ارادها حزب الاحرار ان يمنعه من وراثته الملك بدعوى انه كاثوليكي ففاز فيها عليهم وقتل كثيرين من زعمائهم ونفي كثيرين آخرين . ثم ثار عليه ابن أخيه والدوق دارجيل فانتصر عليهم وقتلها ونيكل بجزيها وأرسل سفيراً رسمياً الى الفاتيكان لمصالحة انكترا مع الكنيسة الكاثوليكية فاحتج على ذلك رئيس اساقفة كانتوربري فسجن في البرج وستة من أشياعه

﴿ فصل ﴾

﴿ في سقرط جاك الثاني (١٦٨٨) ونولي غليوم الثالث (١٦٨٩) ﴾

هذه الخطة التي جرى عليها الملك حمات حزب الاحرار على الناصر عليه خصوصاً وقد ولدت له امرأته الايطالية الكاثوليكية وليّ عهد في سنة ١٦٨٨ كان لابدان يربي كاثوليكيًا . فواطأوا غليوم دورانيّ حاكم هوانده صهر جاك الثاني على ان يقيموه ملكاً على انكترا . فلما رأى جاك انه متخلى عنه من الجميع فرّ الى فرنسا واقام البرلمان مقامه غليوم الثالث بعد ان جعله يوقع على لائحة عرفت بلائحة الحقوق مؤداها ان تاج الملك هبة من الامة وان

دوكين وستراي في الوقت نفسه يهدم عمارة الهوانديين وينهب
 مستعمراتهم. ولما رأى لويس ان ازكتر ادخلت في المحالفة على رغم
 ارادة ملكها وقع على معاهدة نياج التي اخذ بمقتضاها فرانش
 كونه و ١٤ مركزاً فامنكيا واكره الدانرك وبراندبورج على ما
 فتحته من املاك اسوج وخرجت فرنسا من هذه الحرب منتصرة
 على اوربا كلها بعيدة الاطراف والتخوم من الشمال والشرق بما
 كسبته من الاملاك الجديدة

﴿ فصل ﴾

﴿ في نقض منشور نانت (١٦٨٥) ﴾

وسكر لويس بجمرة نصره وعظمته فوجه نظره الى توحيد
 الدين في مملكته لانه كان لا يطيق ان تدين بدينين كما كان لا يطيق
 ان تكون فيها ارادة نافذة غير ارادته. فأرسل الواعظين والمبشرين
 يتحولون البروتستان عن مذهبهم تارة بالملانية وطوراً بالجمافة وفي
 سنة ١٦٨٥ اصدر أمراً نقض به منشور نانت وحظر حرية الضمير
 والمعتقد على غير الكاثوليك فاخذ البروتستان بالهجرة من فرنسا
 الى اوربا فبرحها نحو ثلاثمئة الف نفس منهم ٩٠٠ بحار و ١٢٠٠٠
 جندي و ٦٠٠ ضابط وسائرهم من ارباب الصناعات وأربع المشتغلين
 بها حملوا الى خارج فرنسا اسرار فنونها التي كانت تستدر لها

بان يرث القسم الاسباني من هولنده نرشا انكلترا وهولنده لتلزم
الحياض وفتحت جنوده مراكز الفلمنك الجنوبية في ثلاثة أشهر
والفرانش كونته كلها في ١٧ يوما (١٦٦٨) فوق الرعب في قلب
الدول فعقدت هولنده وانكلترا وأسوج مخالفة لاهاي وحمت الملك
على التوقيع على معاهدة اكس لاشابل وتركت له بمقتضاها اثني
عشرة مدينة (١٦٦٨)

وبعد ذلك بربع سنين نوى الملك فتح هولنده كلها فرشا
انكلترا واسوج لتعزلا وارسل على تلك البلاد مئة الف مقاتل
(١٦٧٢) تحت قيادة كونده وتورين فاجتازوا الرين وفتحوا كل المراكز
حتى اصبحوا على مقربة من امستردام وعند ذلك وقع تباطوء من
الفاحين فنار اهل البلاد وقتلوا حاكمهم جان ويت واقاموا مكانه
غليوم دورانج ففتح الهوليسات فهجم البحر على قسم كبير من البلاد
وغرقه فاضطر الفرنسيون ان يتراجعوا. ثم عقد غليوم مخالفة مع
اسبانيا والامبراطور وكثيرين من الامراء الالمانين وانكلترا
فقاومت فرنسا الحلفاء في كل جهة واخضع الملك بذاته الفرانش
كونته (١٦٧٤) وطرد تورين عساكر الامبراطور من الازاس
ثم قتل في العام التالي وانتصر كونده على الاعداء في موقعة سنيف
المائلة ثم اعتزل القيادة. وكان الاسبانيون قد دخلوا فرنسا من
الشمال والنسويون من الشرق فردهم الفرنسيون على اعقابهم وكان

والصناعة والبحرية انجحاً عظيماً . وقد وجد المالية مثقلة بالديون والايادات مستوفاة عن سنتين آتيتين فاصح هذه الحالة واستزاد الايراد ووضع الميزانية التـدـيرية ومنح الجوائز السنية لارباب الصنائع ووسع نطاق البحرية وفتح الطرق والترع واهتدى المواني وأسس خمس شركات كبيرة للتجارة في الهند والشرق والسنغال وغيرها . وفي سنة ١٦٦٢ جهز ثلاث مئة سفينة بمختلفات الحجم وأوجد لها ٨٧ الف بحار . ومن مآثره بناء ميناء روشنور وتوسيع مينائي برست وطولون ومشتري دنكرك واستعمار جزائر الانتيل وأمريكا الشمالية .

﴿ فصل ﴾

﴿ في لوفوا ﴾

وفي الوقت نفسه كان لوفوا وزير الحربية فوضع الكساء الرسمي العسكري ووجد فرقاً مختلفة وأسس مدارس لتعليم المدفعية وأجرى تحسينات عسكرية من كل وجه وكان فوبان المهندس الكبير يحصن تخوم فرنسا تحت ادارته .

﴿ فصل ﴾

﴿ في حرب الفلنك (١٦٦٧) ﴾

عند ما توفي فيايب الرابع ادعى لويس الرابع عشر أنه حقيق

انه لم يلبث ان خرج منها وباع نفسه للويس الرابع عشر فأجرى عليه راتباً سنوياً يبلغ مليوني فرنك الى ان توفاه الله .
 على ان هذه السيئات لم تلبث ان أحدثت كدرًا عند الامة فقام حزب في البرلمان في سنة ١٦٧٤ معارض للملك وكان ذلك عنوان ثورة جديدة مزعم حصولها وسنأتي عليها وعلى ما كان من بقية تاريخ كارلوس الثاني في فصل آخر . ويكفينا الان اننا تبينا الى هذا ان انكترا كانت كاسبانيا والامبراطورية النمسوية في شغل عن لويس الرابع عشر وفي عجز عن مقاومة سلطته المتسعة .

﴿ الباب الرابع والستون ﴾

﴿ في لويس الرابع عشر من ١٦٦١ الى ١٧١٥ ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في كولبير ﴾

صرح هذا الملك حين وفاة مازارين انه سيحكم غير مستعين بكبير وزراء له واستمر على ذلك طول حياته . ولم يكن من ذوي العقول السامية والذكاء الفائق ولكنه كان ملكا عظيما من حيث احسن اختيار رجاله وعرف ان يسيرهم بما كان عنده من المزايا الجليلة ومن أعظم رجاله وزيره كولبير الذي انجح التجارة والزراعة

ولقب نفسه باللورد الحامي للبلاد وكان ماسكا بغير لقب الملك . وقد أحسن السياسة مدة استبداده بالامرفانه ووطد الامن وانبى التجارة والصناعة في الداخل وكسر الهولنديين ثلاث مرار في الخارج وعاقب القرصان الافريقيين وأخذ من الاسبانيين جزيرتي جمايك ودنكرك وأخذ بنصرة البروتستان في كل مكان واستمال لويس الرابع عشر الى مصلحته . وبعد ان حكم خمس سنين على هذه الصورة توفي (١٦٥٨) وخلفه ابنه ريكاردوس ثم ناء بالحل فاعتزل ووقعت انكسار في الفوضى فاخذ القائد مونك يمد السبيل لارجاع الملكية وفض البرلمان الحاضر واستبدله باخر اطوع له من بنانه اتفق فيه المحافظون والاحرار على اعادة آل ستيوارت بلا اشتراط شي عايمهم

﴿ فصل ﴾

﴿ في كارلوس الثاني (١٦٦٠ — ١٦٨٥) ﴾

فولي كارلوس الثاني واحسن السير في بادئ الامر لاقامته على المذهب الانكليكاني وتركه للبرلمان امتيازاته القديمة . ثم احتاج الى المال لكثرة ما كان ينفقه على الفواحش فخالف لويس الرابع عشر من أجل راتب عينه له وباعه مردريك ودنكرك وكتاهما من فتوحات كروموويل (١٦٦٢) ثم الجأه شعبه ان يدنل في محالفة لاهاي الثلاثية لصد غارة الفرنسيين عن هولنده (١٦٦٦) غير

﴿ فصل ﴾

« (في جمهورية انكلترا (١٦٤٩ - ١٦٦٠) و كرومويل) »

ونودي بالجمهورية في انكلترا فثارت ايرلنده واسكتلنده احداهما لانها كاثوليكية والاخرى لانها تدي كرت ان الملك اسكتلندي الاصل وانه قتل ظلماً. فاخضع كرومويل الاولى بحرب من أعظم الحروب شراً وأخضع الثانية بعد ان انتصر عليها في موقعتي رومبار وورستر (١٦٥١) . وكان أول عمل سياسي للبرلمان الجديد ان نشر لائحة الملاحه التي حظرت دخول المواني الانكليزية على جميع السفائن التي تأتيها ببضاعة ليست من مصنوعات نفس البلدان التي تخصها تلك السفائن وقد بقي هذا القانون معمولاً به في انكلترا الى سنة ١٨٥٠

وكان هذا القانون كما يظهر بالبداهه يقتضي انكلترا من توسيع نطاق صناعتها وبحريتها ويقضي على بحرية هولنده بالضعف والانحطاط لان معظم ايرادها كان من المواني الانكليزية . ولذلك شهرت الحرب على بريطانيا العظمى . وحدث ان كرومويل تكدر يومان البرلمان فجاء غرفة الاجتماع مصطحباً جنوده وطرده النواب منها زاعماً « ان الله لم يكن معهم » فلما خرج أقفل جنوده الباب وكتبوا عليه « منزل للكرء » (٢٠ ابريل ١٦٥٣) ثم عاد فعد برلماناً جديداً ثم عاد ففضه

والجنوب الشرقي . فتقدم الملك من نوتنهام زاحفاً على اندرده وكسر
اعداءه في أدج هيل وورستر غير ان البرلمانيين لم يلبثوا ان أسسوا
فرقا جديدة تحت قيادة اوليفيه كروموويل وغيره فقهروا الملك في
مارستون مور (١٦٤٤) ثم في نيوربي . وعند ذلك حالفوا
الاسكتلنديين ثم استمروا يحاربون بلا مهادنة الى ان سحق الجيش
الاسكتلندي آخر جيش للملك في نازبي (١٦٤٥) فيئس ودخل
معسكر الاسكتلنديين تسليماً فباعوه للبرلمان باربعمئة الف دينار
استرليني (١٦٤٧)

وكان كروموويل المتقدم ذكره اعظم رؤساء الاحزاب المختلفة
في البرلمان دهاء وبسالة وأشدهم رغبة في الجمهورية

﴿ فصل ﴾

﴿ في مقتل كارلوس الاول (١٦٤٩) ﴾

فلما قدم الملك الى اندرده مأسوراً مال فريق البرسيبتاريين
في البرلمان للمفاوضة معه ومسالته فطردهم كروموويل من المجلس
فبقي حزب الاستقلايين هو السائد فيه فحكم على الملك بان
يرفع أسره الى محكمة جنائية وهذه قضت عليه بان يقتل شنقا ونفذ
حكمها في ٩ فبراير من سنة ١٦٤٩ . فنتج عن هذا القضاء الظالم
ان انكترا مالت الى الملكية

غير أنه بدونه كان لا يستطيع ان يجمع مالا فاخذ ينهب الاغنياء
 باعذار وحيل مختلفة . وأتفق ان لود طعن على التعاليم الدينية في
 اسكتلنده فثارت (١٦٢٧) فأرسل سترافورد لتسكينها فأبى جنوده ان
 يقاتلوا الناثرين (١٦٤٠) فرأى الملك انه في اضطرار الى عقد برلمان
 خامس بعد ان حكم بالاستبداد احدى عشرة سنة (١٦٤٠) فقرر
 هذا البرلمان ان تكون الجباية على يده والسلطة القضائية بيده وان
 تلغى المحاكم الاستثنائية وان يكون انعقاد جلساته في مواقيت معينة
 وان ستافورد جان يستحق العقوبة بالاعدام فاعدم شنقاً (١٦٤١)
 وفي هذا الوقت ثار الايرلنديون ثورة هائلة ذبحوا فيها ٤٠٠٠
 بروتستاني فطلب الملك مايجب من المال والعدة لقمع الثورة فاجابه
 البرلمان بالتعنيف والوعيد وقرر ان يكون الجيش تحت ادارته
 فحاول الملك ان يقبض على زعماء المعارضين في محل الاجتماع نفسه
 فلم يفاح فبرح لندره ايشرع في الحرب الاهلية (١٦٤٢)

﴿ فصل ﴾

﴿ في الحرب الاهلية (١٦٤٢ - ١٦٤٧) ﴾

وكانت للبرلمان العاصمة والمدائن الكبرى والموانى والاساطيل
 وللامك القسم الاكبر من الشرفاء . وكان حزب الملك منتشراً
 في الشمال والجنوب وحزب البرلمان منتشراً في الشرق والوسط

استوزر رجل أبيه بيكنهام ومن امرأته تقریبها للكاثوليك واحسانها اليهم . فلم يابث النزاع ان عاد الى ما كان عليه بين الملك والبرلمان وكان البرلمان مؤلفاً من مجلسين الاعلى والادنى وأعضاء الاعلى من الكبراء وأعضاء الادنى من أهل الطبقة الوسطى ومن ابناء البيوتات الذين لا يرثون اباؤهم . اذ الورثة كانوا الابكار دون سائر أخوتهم ولا يزال الشأن كذلك في انكلترا الى هذا اليوم . وكان المؤلف ان يقرر البرلمان عوائد المكس التي يجوز تقاضيها مدة ولاية كل ملك جديد غير ان المجلس الادنى او مجلس العامة ابى ان يسمح هذه المرة بتقاضي عوائد المكس الا الى سنة واحدة فغضب كارلوس الاول وفض المجلس ثم عقد آخر في سنة ١٦٢٦ فطالب محاكمة بوكنهايم ففضه أيضاً . وظن بوكنهايم انه يسير باسطول لانجاد بروتستان فرنسا في ثغر روشل فيسترضي الامة عنه ولكنه عاد فشلا (١٦٢٧) فازدادت جراءة النواب واکرهوا الملك على القبول بلائحة دستورية وضعوها ثم أرسلوا اليه انذارين احدهما لانه كان يتقاضى المكس بدون موافقتهم عليه والآخر لانه كان مبقياً بوكنهايم في منصبه على الرغم من الشعب ففض المجلس مرة أخرى . واکن أحد المتعصبين قتل بوكنهايم (١٦٢٨) فاستوزر كارلوس رئيس اساقفة لودورجلا من الكبراء يدعى سترافورد وأخذ يدير معها شؤون حكومته مستغنياً عن البرلمان

حتى ان البرلمان الذي كان اطوع لايصابات من بناتها عصاه ولم
 يخل بوعيده ولم يرهبه منه قبضه على خمسة من النواب طرحهم في
 برج اندره مسجونين (١٦١٤) بل رفض ما كان يطلبه من الاموال
 لسد نفقاته الفاحشة فاخذ الملك يبيع وظائف البلاط والقضاء وأنشأ
 القاب شرف لبيعها ايضاً ولما انتشبت حرب الثلاثين سنة عقد
 برلماناً آخر على أمل ان يكون اطوع له من الاول فخاب ظنه
 ففرض المجلس (١٦٢٢) واراد ان يزوج ابنه من أميرة اسبانية طمعاً
 في مهرها الجسيم فلم يفلح بذلك فزوجه أخت لويس الرابع عشر
 هنرييت دي فرانس فلم يستحسن الشعب هذا القران باميرة
 كاثوليكية . وفي سنة ١٦٢٥ توفي جاك الاول ومما يذكر له من
 الاعمال نشره قانوناً شهيراً ساد بالقانون الحقيقي للملكيات الحرة
 اثبت فيه ان سلطة الملوك ممنوحة لهم من الله لا من غيره وأسس
 نظام الاكليروس الانكليكاني . وكان مستوزراً رجلاً يدعى
 بوكنهايم لا خلاق له ولا فضيلة ولا حسن سياسة

﴿ فصل ﴾

(في كارلوس الاول (١٦٢٥ — ١٦٤٩))

فاستوى على العرش مكانه كارلوس الاول وكان تقياً عفيفاً مشرباً
 مبادئ الاستبداد من نعومة اظفاره . وقد ساء الامة منه انه

﴿ الباب الثالث والستون ﴾

﴿ في انكترا من سنة ١٦٠٣ الى سنة ١٦٧٤ ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في حالة اوروبا سنة ١٦٦١ ﴾

في هذه السنة استوى لويس الرابع عشر على اريكة فرنسا وكانت هذه الدولة قد بلغت منتهى عظمتها في عهد ملوكها فتحوات أنظار اوربا اليها الاضعافها ولكن النمسا واسبانيا كانتا مشتغلتين عنها بتضميد جراحيهما وكان الاسوجيون يقاومون الدنمركيين والروسيون ينازعون البولونيين والاتراك يشنون على اوروبا غاراتهم الاخيرة . اما انكترا فكان لها مع فرنسا شأن سرجع اليه بعد ان نصف ما جرى فيها من الحوادث الداخلية مدة حرب الثلاثين

ففي سنة ١٦٠٣ كان جاك السادس ملك اسكتلنده نجل ماري ستيوارت حفيد هنري السابع قد خلف اليصابات وجمع على رأسه تاجي انكترا واسكتلنده لكن بدون ان يمزج الدولتين احداها بالاخرى فترك السياسة البروتستانية التي عظمت بها صولة سالفته وسعى لمخالفة اسبانيا فتآمر الكاثوليك لاسترجاع المقام الديني الاول لهم في انكترا وسمي تواطؤهم هذا بمؤامرة البارود (١٦٠٥) فقاومهم الملك نفسه كما قاوم البروتستان فانكسرت بذلك شوكته

﴿ فصل ﴾

(في معاهدة البرانس (١٦٥٩))

وعند ما استتب الامن في الداخل اديرت رحى الحرب على اسبانيا في الخارج فانصر تورين على الاسبانيين في موقعة آراس (١٦٥٤) ثم في الموقعة التي اشتهرت باسم موقعة الآكام وكان كونده قائد الاسبانيين فيها وعلى أثرها فتح الفرنسيون مركزاً كان بمثابة منفذ لهم الى هولنده حينما يشاؤون (١٦٥٨) وبعده ذلك ببضعة أشهر وقع مازارين على معاهدة البرانس (١٦٥٩) التي شرط فيها ان تتخلى اسبانيا عن روسيلون وسردينيا وارثوا وان تتزوج ابنة ملك اسبانيا بلويس الرابع عشر وتعهد عن حقها بخلافة ايها خيران مازارين احتال لجعل عدول الاميرة عن حقها ملغى غير نافذ وفي السنة التالية عتد مع جماعة من الامراء الالمانيين مخالفة الرين التي جردها بعده نابوليون. وكلاهما لم يظفر منها بطائل .

وفي سنة ١٦٦١ توفي مازارين عن ثروة واسعة وأقارب أغناهم بالاموال الطائلة وقد خدم فرنسا خدماً جليلاً من حيث أتم اسقاط الشرفاء وأحسن السياسة في الداخل والخارج ولسكنه أضعف المالية كثيراً . وفي عهده ظهر كورنايل وديكارت وباسكال وبوسين وكانوا في مقدمة اهل العلم والادب في العصر الذهبي الذي عرف بعصر لويس الرابع عشر

وان لا يعتقل متهم قبل التحقيق اكثر من اربع وعشرين ساعة الح. وفي ذلك الوقت جاءت البشرى بانتصار كونده في لانس فتشجع مازارين وقبض على ثلاثة من النواب في الكنيسة (١٦٤٨) فثار الشعب والشرفاء واقاموا مئتي متراس ليقاتلوا جنود الملكة فاجابهم الوزير الى ما طابوه خدعة ومطاوله وكان في تلك الايام يوقع على معاهدة وستفالي. ثم استدعى كونده واستعان به على الثائرين الذين كانوا يدعون بالفرنديين فنغلب عليهم وعقد معهم الوزير صالح رويل (١٦٤٩).

. ثم نفر كونده الملكة منه بتعاضده وخيلائه فقبض عليه مازارين وعلى آخرين من الامراء فثار شرفاء فرنسا انتصارا لهم ودخل القائد الشهير تورين بين العصاة فدحرتهم جنود الملكة غير انهم عادوا فهضوا امانية بايعاز بول دي غوندي رئيس اساقفة باريس فقر مازارين الى اياج (١٦٥١) غير ان تورين لم يلبث ان رجع الى حزب الملكة وكسر العصاة فقر كونده وتجدد خدمة الاسبانيين وعلى هذه الصورة اخذت فتنة الفروند (١٦٥٣) وبعدها بستين اصدر الملك أوامر الى مجالس النواب فابى ان يسجلها فعلم بذلك وهو راجع من الصيد فذهب الى غرفة الاجتماع وسوطه بيده وطرده النواب منها وحظر عليهم ان يجتمعوا بعد ذلك.

التي كانت تعطي حكام الولايات بحيث لا يخشى على الملك من
تعاظم سطوتهم

﴿ فصل ﴾

﴿ في ذكر مازارين وقتنة الفروند ﴾

ولم يلبث لويس الثالث عشر ان ادركه اجله فتوفي عن خلف
قاصر هو لويس الرابع عشر فتابت ام الملك عنه واتخذت الكردينال
مازارين الايطالي الاصل وزيراً لها وكان من دهاة عصره رقي الى
الكرديناية بطاب من ريشليو الذي عرفه حين كان قاصداً من قبل
البابا في فرنسا وقدره حتى قدره .

ولم يترجم مازارين في دست الوزارة حتى قام الذين نجوا من
الكبراء يستمنجون المناصب والرواتب من الملكة وعقدوا فيما بينهم
« محالفة ذوي المقامات » فاكتشف الوزير دسيستهم واعتقل اثنين
من اكبرهم في حصن الباستيل وفرق الآخرين كل مفرق .

واذ كان هذا الرجل من الشرهين المسترفين لم يحسن ادارة
المالية فاستقصدراً أمراً لا يترز الاموال بطرائق مختلفة كدوت الشعب
فعمصاه مجلس النواب وأراد ان يجعل نفسه من الشأن ما لبرلمان انكاثرا
فوضع لأخة تشتمل على ٢٧ بنداً وطاب انفاذها وكان من محتويات
اللائحة ان لا تجبي الضرائب قبل ان يراجع المجلس حسابها ويسجله

الكثيرين من الكبراء باعذار ودعاوي مختلفة وعزل بعضهم من مناصبهم ايضعف بذلك سطوتهم . فلما أمن جانب الكبراء قليلا بما اوقعه من الرعب في قلوبهم زوج هانرييت دي فرانساي ملك انجلترا كارلوس الاول ليمنعهم من محاربة البروتستان الزرن . وبين ومع ذلك اقام في البحر سداً جسيماً ليحول دون وصول مدد انكليزي الى البروتستان في روشل وحاصروهم فيها (١٦٢٨) فلم تفتح له ابوابها الا بعد ان اصبح عدد ساكنيها ٥٠٠٠ من ٣٠٠٠ .

وعند ذلك عقد مع البروتستان صلحاً فنجح الضمانات المدنية والحرية الدينية واكنه هدم مراكزهم الحصينة التي كانوا يتمتعون فيها فتمت بذلك وحدة الامة الفرنسية .

ولما فرغ من التتكيل بالبروتستان حول ناظره الى الشرفاء ناية وكان يكتشف مؤامراتهم عليه ويقتل منهم وينفي ويسجن حتى لم تقم لهم بعد ذلك قائمة وفي جملة ما فعله انه قتل المارشال مارياياك وكانت ماري دي مديعيس قد تواطأت معه على عزل ريشايو فاضطرت الملكة ان تنفي نفسها الى بروكسل . وآخر الكبراء الذين امتهم ريشايو كان سان مارس (١٦٤٢) المقرب الى لويس الثالث عشر

وبعد ذلك بسنة توفي هذا الكردينال الجليل وقد عزز فرنسا في الداخل والخارج وخفف من مشاكها المالية قليلا ونزع اكثر الساطة

التي كانت تعطى لحكام الولايات بحيث لا يخشى على الملك من
تعاظم سطوتهم

﴿ فصل ﴾

﴿ في ذكر مازارين وفتنة الفروند ﴾

ولم يلبث لويس الثالث عشر ان ادركه اجله فتوفي عن خلف
قاصر هو لويس الرابع عشر فتابت ام الملك عنه واتخذت الكردينال
مازارين الايطالي الاصل وزيراً لها وكان من دهاة عصره رقي الى
الكردينالية بطاب من ريشليو الذي عرفه حين كان قاصداً من قبل
البابا في فرنسا وقدره حتى قدره .

ولم يتربع مازارين في دست الوزارة حتى قام الذين نجوا من
الكبراء يستمنجون المناصب والرواتب من الملكة وعمدوا فيما بينهم
« محالفة ذوي المقامات » فاكتشف الوزير دسيستهم واعتقل اثنين
من اكبرهم في حصن الباستيل وفرق الآخرين كل مفرق .

واذ كان هذا الرجل من الشرهين المفسرين لم يحسن ادارة
المالية فاستصدر أمراً لا يتراز الاموال بطرائق مختلفة كدبرت الشعب
فعصاه مجالس النواب وأراد ان يجعل لنفسه من الشأن ما لبرلمان انكاثرا
فوضع لائحة تشمل على ٢٧ بنداً وطالب انفاذها وكان من محتويات
اللائحة ان لا تجبي الضرائب قبل ان يراجع المجلس حسابها ويسجله

الكثيرين من الكبراء باعذار ودعاوي مختلفة وعزل بعضهم من مناصبهم ايضعف بذلك سطوتهم . فلما أمن جانب الكبراء قليلا بما اوقعه من الرعب في قلوبهم زوج هانرييت دي فرانساجملك انكيترا كارلوس الاول ليمنعه من محالفة البروتستان الزرنه وبين ومع ذلك اقام في البحر سداً جسيماً ليحول دون وصول مدد انكليزي الى البروتستان في روشل وحاصروهم فيها (١٦٢٨) فلم تفتح له ابوابها الا بعد ان اصبح عدد ساكنيها ٥٠٠٠ من ٣٠٠٠ .

وعند ذلك عقد مع البروتستان صاحباً فنجحهم الضمانات المدينة والحرية الدينية ولكنه هدم مراكزهم الحصينة التي كانوا يتمتعون فيها فتمت بذلك وحدة الامة الفرنسية .

ولما فرغ من التمكن بالبروتستان حول ناظريه الى الشرفاء ثانية وكان يكتشف مؤامراتهم عليه ويقتل منهم وينفي ويسجن حتى لم تقم لهم بعد ذلك قائمة وفي جملة ما فعله انه قتل المارشال مارياليك وكانت ماري دي مديسيس قد تواطأت معه على عزل ريشايو فاضطرت الملائكة ان تنفي نفسها الى بروكسل . وآخر الكبراء الذين اماتهم ريشايو كان سان مارس (١٦٤٢) المقرب الى لويس الثالث عشر

وبمد ذلك بسنة توفي هذا الكردينال الجليل وقد عزز فرنسا في الداخل والخارج وخفف مشاكلها المالية قليلا ونزع اكثر الساطة

التي كانت تعطى لحكام الولايات بحيث لا يخشى على الملك من
تعاظم سطوتهم

﴿ فصل ﴾

﴿ في ذكر مازارين وفتنة الفروند ﴾

ولم يلبث لويس الثالث عشر ان ادركه اجله فتوفي عن خلف
قاصر هو لويس الرابع عشر فتابت ام الملك عنه واتخذت الكردينال
مازارين الايطالي الاصل وزيراً لها وكان من دهاة عصره رقي الى
الكردينالية بطاب من ريشليو الذي عرفه حين كان قاصداً من قبل
البابا في فرنسا وقدره حتى قدره .

ولم يتربع مازارين في دست الوزارة حتى قام الذين نجوا من
الكبراء يستمنجون المناصب والرواتب من الملكة وعقدوا فيما بينهم
« محالفة ذوي المقامات » فاكتشف الوزير دسيستهم واعتقل اثنين
من اكبرهم في حصن الباستيل وفرق الآخرين كل مفرق .

واذ كان هذا الرجل من الشرهين المتهربين لم يحسن ادارة
المالية فاستصدر أمراً لا يتراز الاموال بطرائق مختلفة كدبرت الشعب
فعصاه مجالس النواب وأراد ان يجعل لنفسه من الشأن ما لبرلمان انكاثرا
فوضع لائحة تشمل على ٢٧ بنداً وطالب انفاذها وكان من محتويات
اللائحة ان لا تجبي الضرائب قبل ان يراجع المجلس حسابها ويسجله

الكثيرين من الكبراء باعذار ودعاوي مختلفة وعزل بعضهم من مناصبهم ليضعف بذلك سطوتهم . فلما أمن جانب الكبراء قليلا بما اوقعه من الرعب في قلوبهم زوج هانرييت دي فرنسا بملك انجلترا كارلوس الاول ليمنعه من محالفة البروتستان الزرنه وبين ومع ذلك اقام في البحر سداً جسيماً ليحول دون وصول مدد انكليزي الى البروتستان في روشل وحاصروهم فيها (١٦٢٨) فلم تفتح له ابوابها الا بعد ان اصبح عدد ساكنيها ٥٠٠٠ من ٣٠٠٠ .

وعند ذلك عقد مع البروتستان صاحباً فتحهم الضمانات المدنية والحرية الدينية ولكنه هدم مراكزهم الحصينة التي كانوا يتمتعون فيها فتمت بذلك وحدة الامة الفرنسية .

ولما فرغ من التمشيل بالبروتستان حول ناظريه الى الشرفاء ثانية وكان يكتشف مؤامراتهم عليه ويقتل منهم وينفي ويسجن حتى لم تقم لهم بعد ذلك قائمة وفي جملة ما فعله انه قتل المارشال مارياليك وكانت ماري دي مديسيس قد تواطأت معه على عزل ريشايو فاضطرت الملائكة ان تنفي نفسها الى بروكسل . وآخر الكبراء الذين امتهم ريشايو كان سان مارس (١٦٤٢) المقرب الى لويس الثالث عشر .

وبمد ذلك بسنة توفي هذا الكردينال الجليل وقد عزز فرنسا في الداخل والخارج وخفف من مشاكلها المالية قليلا ونزع اكثر الساطة

أمه فأبانه وأمات امرأته (١٦١٧) وتولى الحكم بعد ذلك بنفسه
 مسترشداً بنصائح الدوق دي لوين فسأت سياسته . وحدث ان
 الملك أصدر أمراً بان تسترجع من البروتستان اليارنين جميع
 الاملاك الكنسية التي غنوها فثاروا ونووا ان يستقلوا في اراضي
 أونيس كاستقلال أهل هولنده وتكون مدينتا روشل ومونتوبان
 قاعدتين لبلادهم فخاربهن الملك وتغلب عليهم وعقد معهم صلحا يؤيد
 منشور نانث ويمنحهم فوق ذلك روشل ومونتوبان ليمتنعوا فيهما من
 غدر غادر بهم والكنه حظر عليهم ان يعقدوا فيها اجتماعات سياسية
 بدون اذنه (١٦٢٢)

﴿ فصل ﴾

﴿ في استيزار ريشليو وسقوط أمر البروتستان والشرقاء ﴾

استوزر الملك هذا الكردينال (١٦٢٤) بناء على ارادة أمه
 وكان سياسياً عظيماً حاز ما شديد البأس أدار سياسته على محورين هما
 تقوية ساطة الملك في الداخل وتعظيم فرنسا في الخارج بكمرشوكة
 النمسا . وقد افلح في الامرين جميعاً فاننا رأينا فوزه العظيم بما اراده
 في الخارج . واما في الداخل فكان اول ماسرع فيه ان عقد معاهدتين
 احدهما مع البروتستان والاخرى مع اسبانيا ليمتدح لانتفاذ متصدده
 ووجه اليه جميع ما في يده من القوة . ثم أخذ يسجن ويقتل

انشأها كرينال وهو ريشايو ووقع عليها كرينال آخر وهو
مازارين فجاء ذلك دليلا على ان الساطة الكنسية كانت لذلك
العهد في اعتبار الجميع حتى كبار اهل الدين قد فصلت عن الساطة
الديوية .

﴿ فصل ﴾

﴿ في الاستقلال السياسي في الولايات الالمانية ﴾

من مقتضيات المعاهدة الدستورية انه يكون لجميع الامراء
والولايات في المانيا حق الاشتراك في تقرير المحالفات والحرب
والمصالحات والمعاهدات وسن القوانين وانه يكون للامراء السلطان
المطلق في ولاياتهم ويحق لكل منهم ان يحالف الدول الاجنبية
على انفراد بشرط ان لا يكون ذلك ضد المماكة او الامبراطور .
وتقرر في المعاهدة نهائيا ان تعتبر سويسرا وهولنده اجنبتين
عن الامبراطورية .

﴿ فصل ﴾

﴿ في مكاسب اسوج وفرنسا ﴾

اعطيت اسوج بموجب المعاهدة المذكورة أملا كما جعلت في
قبضة يدها مصاب الانهار الالمانية الثلاثة الاودير والاب والوزير
فنشأت عن ذلك اسباب انحطاطها في المستقبل . اما فرنسا فأخذت

كان بدء المفاوضات لعقد الصلح منذ سنة ١٦٤١ غير انها لم
تجر في مجرى جدّي الا سنة ١٦٤٤ في مدينتين من مدائن وستمالي
وهما اوسنابروك التي التي فيها مندوبو البروتستان والامبراطور
ومونستر التي التي فيها الوكلاء السياسيون والامراء الكاثوليك .
لكن اسبانيا رأّت ما حدث في فرنسا من قتل الفروند فتوهمت
انها تتم هذه الفرصة لاجراء سردينيا وروسيليون وارتوا فامتنعت
عن التوقيع على المعاهدة ووقعت عليها سائر الحكومات في ٢٤
اكتوبر سنة ١٦٤٨

﴿ فصل ﴾

﴿ في تقدم البروتستان وحصول الولايات الالمانية على الاستقلال الديني ﴾
فما قضت به المعاهدة المشار اليها ان يمنح الامراء حرية الضمير
التامة من حيث الدين وان يكون مثل ذلك للشعب ولكن مع
احترازات كثيرة لان كل ولاية كانت لها ديانة سائدة على ماسواها
وللدائنين بها امتياز على غيرهم من قبيل الحرية المذهبية . وكانت
المذاهب المعروفة رسميا ثلاثة الكاثوليكية واللوتيرية والكافينية .
اما ما يتعلق بالاملاك الكنسية واقامة الشعائر الدينية فقد ارجع الى
ما كان عليه في المانيا سنة ١٦٢٤ فيما عدا البالاتين .
على ان هذه المعاهدة المجففة بمصاحبة الكنيسة الكاثوليكية

دخلوها وفتحوا كوربيه نخافت باريس ولكن ريشليو أوعده قواده
 بالقتل ان لم يخرجوهم منها ففعلوا. ثم اجلوهم ايضاً عن آراس (١٦٤٠)
 وكان برناردي ساكس وبيير حاييف ريشليو قد فتحت الازاس وحين
 دنت منيته اوصى بماله وجيشه لفرنسا (١٦٣٩). وفي الوقت نفسه
 انتصر القائد داركور في ثلاث معارك على جنود اليامون حلينة
 اسبانيا واخذ الملك بنفسه برينيان فبقيت لفرنسا الى هذا اليوم
 وشغل ريشليو الاسبانيين في نفس بلادهم بتعزيزه ثورتي كولونيا
 والبرتغال. وكان القائدان الاسوجيان بانر وتورستنسون قد فازا
 فوزاً جميلاً في برندبرج وسيلازيا وساكس والقائد غابريان الفرنسي
 في ولفنبوتل وكين (١٦٤١ - ١٦٤٢) واصبح على وشك ان يلتقي
 بالاسوجيين وينقضوا جميعاً على النمسا اذ توفي ريشليو (١٦٤٣)
 فتشجع الاسبانيون ودخلوا فرنسا فدمروهم كونده في روكر (١٦٤٣)
 وفريبورج (١٦٤٤) ونوردلينج (١٦٤٥) ولنس (١٦٤٨) فلم يبق
 للاعداء محيص من التوقيع على معاهدة وستفالي.

✽ الباب الواحد والستون ✽

﴿ في نتائج الحروب الدينية التي جرت في وسط اوربا ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في مصالحة وستفالي (١٦٤٨) ﴾

اشتهر ملك اسوج باسم غوستاف ادولف واول ما فعله انه انزل جيوشه في بوميرانيا (١٦٣٠) وكانوا ستة عشر الفا على غاية من البسالة والطاعة . وكانت فرنسا تعينه بأربعمائة الف ريال سنويا على نفقات القتال . فلما فتح بوميرانيا دخل ساكس وقهر تيلي في ليزريك (١٦٣١) وطرد جميع الحاميات الكاثوليكية والاسبانية من فرانكونيا وسواب والرين الاعلى والبالاتين . ودخل حاينه دوق ساكس لوزاس وبوهيميا . فلما تم على هذه الصورة انفصال الالمانيين عن الاسبانيين دخل غوستاف بافاريا وقتل تيلي في ممرليك فاسترجع الامبراطور والدشتين فجمع جيشا للحال وزحف به على ساكس فهرع الملك راجعا للدفاع عنها وانتصر في لوتزن وتوفي سنة (١٦٣٢) خلفه قواده المدربون على يده واستهروا فائزين ولا سيما بعد ان قتل فرديناند والدشتين خوفا من مطامعه (١٦٣٤) غير انهم لم يلبثوا ان انكسروا في نوردلنجن فخذلهم جميع حلفائهم الالمانيين عدا دوق هس كاسل فرأى ريشيو عند ذلك ضرورة دخول فرنسا بذاتها في هذه الحرب .

﴿ فصل ﴾

*(في القسم الفرنسي (١٦٣٥ - ١٦٤٨)) *

كان ابتداء هذه الحرب سيء الطامع على فرنسا فان الاسبانيين

بروتستان المانيا فدخل خرستيان الرابع ملك الدانمرك في الحرب
 (١٦٢٥) واحتل البقعة الواقعة بين نهر الالب والويزر وبينما كان
 يرد من ورائه جنود الخنازرة الكاثوليكية عن الوصول الى فرديناند
 الذي لم يكن له جيش سواهم ليدفعه به ظهر رجل يدعى والدشتين
 كان رئيس عصابة كبيرة يعيدشون من السلب والنهب وقدم للامبراطور
 جيشين واحداً بعد الاخر اولهما مؤلف من ٥٠٠٠٠ مقاتل والثاني
 من مئة الف واستبقى لنفسه قيادتهم المطلقة . فرأى ملك الدانمرك
 ان تيلي قائد الكاثوليك انتصر عليه من ورائه في لوتر وان والدشتين
 قد قطع عليهم المارجع من هولشتين فعاد الى بلاده ووقع على
 معاهدة لوبك (١٦٢٩) واحتل مئة الف من جنود الامبراطور
 شمالي المانيا فجعلوا أهله مطيعين له طاعة الصغار والذل فاوشك
 بذلك فرديناند ان يلحق المانيا بالتمسا كما لحقت اليوم بروسيا ولم
 يحل دون مقصده ريشليو وزير فرنسا بدسائسه التي دسها عليه
 فانه أرسل رسلاً يستحثون الامراء الالمانيين للمدافعة عن اماراتهم
 المهتدة ويحرضهم على طلب عزل والدشتين وسهد الصلح بين ملكي
 بولونيا واسوج فلما هدا بال صاحب اسوج ادرك جسامته الخذر الذي
 يصيب البروتستانية فيما لو فاز فرديناند الثاني واستعد للدخول في الحرب

﴿ فصل ﴾

(في القسم الاسوجي (١٦٣٠ - ١٦٣٥))

كانت قد تغيرت بانتقال الامبراطورية الى فرديناند الثاني فانه منذ
تولى نسف كنائس البروتستان نسفا واحرق في دفعة واحدة
١٠٠٠٠ نسخة من التوراة. وكان على أثر ذلك ابتداء الحرب الدينية
الثانية التي تقسم الى اربعة اقسام

﴿ فصل ﴾

﴿ في القسم الاول المعروف باللاتيني (١٦١٨ - ١٦٢٥) ﴾

عند ما فعل فرديناند الثاني ما ذكرناه آنفا ثار البوهيميون
عليه واقاموا فريديريك الثاني منتخبا باللاتين صهر ملك انكترا
ملكا عليهم (١٦١٨) غير ان اللوتيريين خذلوه لانه كان كلفينيا.
اما فرديناند فانجده حلفاؤه الاسبانيون واصحاب المحالنة الكاثوليكية
فانتصر على الثائرين في موقعة الجبل الابيض فدخلت بوهيميا ثانية
في ولايته ولكنه نكل بها تنكيلا اضعفها الى قرنين.

﴿ فصل ﴾

﴿ في القسم الدانمركي (١٦٢٥ - ١٦٢٠) ﴾

واستمر الكونت دي مانسفاذ وخريستيان دي برونسويك
الزعيمان للبروتستان يحاربان فرديناند وقائده تيلي الشهير وانصاره
الاسبان النازلين بهوانده الى ان فطن امراء الشمال البروتستانتون
لما كان يقصده فرديناند من اخضاعهم للكثاكة بعد ان يفوز على

الشمال اما الثانية فقد دامت ثلاثين سنة (١٦١٨ - ١٦٤٨) وجرت
 ويلاتها من الدانوب الى الاسكو ومن ضفاف البو الى البلطيك .
 وهكذا قضت اوربا اثني قرن تقتتل وتسفك الدماء كالانهار في
 سبيل اله السلام والمحبة .

وخليق بالذكر هنا ان البروتستان مع اضطهاد الكاثوليك لهم
 لم يكونوا على شيء من الاتحاد فيما بينهم لكثرة البدع والشيع في
 مذهبهم حتى ان اهل كل شيعة كانوا يجرمون شيعة الآخرين
 وينكرونها عليهم . واعظم ما كان الانقسام بين اللوتيريين والكالفينيين
 وخصوصاً في المانيا وذلك ما جعل الكاثوليك ينضمون فيها و يقيمون
 على البروتستان حرب دسائس كادوا يفوزون بها عليهم لو لم يتنبهوا
 وبعقدوا فيما بينهم مخالفة دعيت بالانجيمية (١٦٠٨) فألف الكاثوليك
 عند ذلك مخالفة لمقاومتها تحت رئاسة ما كسيميليان دوق بافاريا

وحدث في السنة التالية ان وقع خلاف على من يرث دوقيات
 مقاطعات كلينفس وبرج وجوايرس بين دوق نوبورج ومنتخب
 براندبورج فجز الامبراطور الدوقيات المذكورة فاعترض البروتستان
 واستعد هنري الرابع لمساعدتهم فحال دون ذلك مقتله كما قدمناه
 (١٦١٠) فطال النضال والجدال وتحول دوق نوبرج الى الكاثوليك
 ودوق براندبورج الى الكالفينية وعند ذلك دخل البلاد الاسبانيون
 من أحد جوانبها والهولنديون من الآخر ولكن سياسة النمسا

أما الهولنديون فالقوا البحر وتجارته وكانوا يحملون براميل السمك المنجف الى البلاد الكاثوليكية فيعودون بها مملوءة ذهباً .
ولما أقفل فيايب الثاني عليهم ميناء لشبونة تحولوا الى الشرق يأتون بالمتاجر منه وفتحوا جزائر المولوك فكانت أساس ساطنتهم الاستعمارية التي توالتها بعد ذلك شركة البلاد الهندية الكبرى في سنة ١٦٠٢

وكان لولايتي هولنده وزيلنده وحدهما ٧٠٠٠٠٠ ملاح . وهم الذين انتقلت الى يدهم بعد حين جميع تجارة اسبانيا والبرتغال

﴿ فصل ﴾

﴿ في تجديد هنري الرابع لنظام فرنسا (١٥٩٨ -- ١٦١٠) ﴾

هذا الملك رده الى فرنسا الامن والراحة في الداخل والخارج وأخذ يصلح شؤونها الداخلية ويضمدهم جراحها مستعيناً بوزيره الامين سُلِّي فتوصل في أقل من ١٢ سنة الى وفاء مئة و٤٧ مايونا من دين فرنسا الذي كان يبلغ الفاً وثلاثمائة مليون . واسترجع املاكاً للتاج ثمانين مليوناً وادخر للحاجة عشرين مليوناً في حصن الباستيل . ومما فعله سُلِّي تخفيف المستنقعات وتكثير المراعي ومنع الجباة عن بيع المواشي وأدوات الزراعة . وفي ذلك الوقت ظهر العالم الزراعي الكبير أوليفيه سرّ فشر المبادئ الصحيحة للزراعة

فجارت التجارة ووقفت الصناعة وكان الذهب الذي يرد من
 المستعمرات بالقناطير المقنطرة يمر من اسبانيا مروراً ايذهب الى
 البلاد التي كانت تبث اغلالها ومصنوعاتها اليها . ومن أجل ذلك
 عجزت خزينة اسبانيا مرتين عن وفاء ديونها التي بلغت نحو المليار في
 آخر عهد فيليب الثاني . وفي سنة ١٤٩٨ توفي هذا الملك بعد صدور
 منشورانات وعقد معاهدة فرفين باربعة اشهر وترك اسبانيا
 خائرة باثرة

﴿ فصل ﴾

﴿ في تقدم انكلترا وهولنده ﴾

عند ما تم الفوز لا ليصابات في الداخل والخارج استبدت
 بالملك استبداداً لا مثيل له وقتلت كثيرين ممن لم يتموا سلطتها
 الدينية غير انها فيما خلا ذلك ساعدت أهل بلادها على الاثراء
 والتقدم فعززت البحرية والتجارة والصناعة التي اتاها بها الفلامنك
 حين لجأوا اليها من جور فيليب قبل استقلالهم . وأنشئت في
 عهدا بورصة اندرة واستعمرت فرجينيا وكان يستورد منها التبغ
 والقلقاس . وفي عهدا أيضاً وجد شكسبير أحد أكبر مؤلفي
 الروايات التمثيلية في الدنيا وباكون فيلسوف زمانه صاحب الطريقة
 الاختبارية .

اليه بعده اكثرية الفرنسيين لانه ترك البروتستانية وتمذهب
 بالكاثوليكية قائلاً « ان باريس تسوى قداساً » (١٥٩٣) ولما
 دخل باريس اجلى عنها الحامية الاسبانية (١٥٩٤) ثم جاءه تحميل
 من البابا فاعترف به رؤساء جميع الاحزاب وبعد ذلك انتشبت بينه
 وبين اسبانيا حرب قصيرة فاز فيها وعقد معها معاهدة فرفين التي
 ردت تخوم فرنسا الى ما كانت عليه بعدمعاهدة كامبريزيس (١٥٩٨)
 وكان قبيل هذه المعاهدة بثلاثة اسابيع قد اصدر منشور فانت الذي
 منح به البروتستان حرية الضمير وحرية القيام بشعائر مذهبهم في
 داخل القصور وفي عدد كبير من المدائن وامنهم واذن لهم ان
 ينتدبوا نوابا عنهم كل ثلاث سنين ليعرضوا للحكومة ظلاماتهم
 ومطالبهم .

❦ الباب التاسع والخمسون ❦

﴿ في نتائج الحروب الدينية في غربي اوروبا ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في المخطاط اسبانيا وفلاسها ﴾

هتان المصيبتان وقعتا على اسبانيا بسبب طرد اليهود والمغاربة
 واكثر الحكومة من الاحتكارات وافنائها الرعايا بالحروب المستمرة

هولنده وانكاترا أخذ آل جيزيسون في احياء العصاة الكاثوليكية
في فرنسا سنة ١٥٨٤ . وأما فيليب الثاني فإنه أعد عمارة لنعته بالتي لا
تغلب وفي ٣ يونيه من سنة ١٥٨٨ اخرجها من نهر التاغوس قاصداً
بها انكاترا وكان عليها ٥٠٠٠٠٠ مقاتل فهبت عليها عاصفة شديدة
حطتها وأجهزت عليها المراكب الانكليزية والهولندية فسقط بذلك
ما كان ينويه فيليب من تسويد الكاثوليكية والنهوض الاسباني
على انكاترا فهولنده فرانساً مما استعد له ثماني عشرة سنة وذهب
ادراج الرياح في بضعة أيام .

وبينما كان فيليب ذاهباً لمحاربة انكاترا كان اصدق حلفائه
الدوق دي جيز قد فاز في الموقعة المشهورة بموقعة المتاريس (١٥٨٨)
ودخل باريس فقرر منها الملك ثم علم بما أصاب العمارة الاسبانية
فعاد اليه الامل واحتال على دي جيز حتى أخرجته من باريس
الى بلوا فغلبه فيها وأماته وجاء يحاصر باريس مع ملك نافاريا حليفه
فقتله راهب في معسكره (١٥٨٩) ونودي بهنري البيارني ملكاً على
فرنسا تحت اسم هنري الرابع فخذله كثيرون من الكاثوليك ولكنه
أنته نجات عظيمة من انكاترا وهولندا والمانيا فقاوم الاسبانيين
والايطاليين الذين أتوا لانجاد عصاة الكاثوليك وكسرهم في ايفراي
وارك (١٥٩٠) الا ان قاندهم فارنيز صده مرتين عن باريس وروان
(١٥٩١) لكن حزب السياسيين لم يلبث ان انضم الى الملك وأنضمت

استقلالهم بعد وفاته بمساعدة انكترا وفرنسا وفازوا على فارينز
دوق بارمه الى ان قتل . وهكذا وجدت امة جديدة بين
الامم الغربية .

اما انكترا واسبانيا فكانتا تتحاران بالديسائس والمعارضات
قبل ان تعتركا . وكانت اليصابات ترسل سفائنها للسطو على سفائن
اسبانيا اينما ظفرت بها ولنهب سواحل مستعمراتها . وفي سنة ١٥٧٧
اغاردراك على سواحل شيبي وييرو وغنم منها غنائم كثيرة وأسر
عدة مرآكب اسبانية وعادها الى انكترا بعد ان طاف حول
الارض . وفي سنة ١٥٨٥ سطا كافنديش ثاية على المراكز
الاستعمارية الاسبانية وكان الهولنديون في اثناء ذلك يسطون على
المستعمرات البرتغالية التي دخلت في أملاك اسبانيا منذ تحولت
البرتغال الى ولاية من ولاياتها . ولم يكن فيليب يستطيع الانتقام من
هذين الشعبين اذ لم تكن لهما املاك خارج بلادها فأخذ يثيرالفتن
في قلب انكترا على الملكة حتي اذا اشتد قلق افكارها امانت ماري
ستيوارت شفقاً (١٥٨٧) وبسقوط رأسها سقطت آمال جميع الذين
كانوا يتوهمون ان المذهب الكاثوليكي يحتمل رجوعه الى انكترا

﴿ فصل ﴾

« (في فشل اسبانيا والرفضيين من الكاثوليك (١٥٨٨ - ١٥٩٨) »

بعد اذ اصاب حزب الكاثوليك ما اصابهم من الفشل في

بروتستاني على اريكة فرنسا سيكون ثمرة الحرب الدينية التي غرقها
في الدماء .

على ان البروتستان نالوا في هولنده فوزا اكبر من فوزهم في
فرنسا وذلك ان الثائرين الهولنديين بعد ان حاربو محاربة الارصان
مدة طويلة ولم يحلوا منها بطائل نزلوا الى البر في سنة ١٥٧٢
وأخذوا مركز بريال فثارت معهم هولنده وزيلنده وكان المدد
يأتيهم من البروتستان في المانيا وانكلترا وفرنسا فدافعوا عن انفسهم
دفاع الابطال تحت قيادة غيلوم دي ناسو برنس دورانج صهر
كوليني . واذ لم يفاح فيليب معهم بالعنف أخذهم باللين واستبدل
عامله عليهم الدوق دلب بعامل ارأف منه فهدأوا حينما غير ان الجيش
الاسباني اعوزته الميرة فاخذ يفتك باهل المدائن الكبيرة
فنشأ عن ذلك تحالف غاند (١٥٧٦) الذي اشتركت فيه جميع
ولايات هولنده لمقاومة الاسبانيين غير ان الهولنديين لم يلبثوا ان
انقسموا الى فريقين الوالونيين (اهل بلجكا) والباتافيين (اهل
هولنده) نفسها فاعترف الاولون في سنة ١٥٧٩ بفيليب ماسكا عليهم
وانكره الآخرون والنوا جمهورية واقاموا البرنس دورانج حاكما
عاما عليهم . وبعد ذلك بسنتين انضمت لاهاي الى الولايات
الباتافية المتحدة . وكان فيليب الثاني قد وعد ايا يقتل البرنس دورانج
بمال كثير فقتل في سنة ١٥٨٤ ولكن الهولنديين دافعوا عن

في انفاذه طعن رجل من ماجوري آل جيز دوق كوايني بخنجر
نخر جريحاً فأقنع زعماء الكاثوليك الملك ان يرسل اليه من يقتله
فتعلم ووقعت في ذلك اليوم المذبحة الشهيرة بمذبحة سان برتلموس
ونكل فيها الكاثوليك بالبروتستان تنكيلاً قبيحاً ثم أرسل البابا
وفيايب الثاني يهتئان الملك أحسن تهنئة بعد ذلك على جنايته الهائلة
وظن ان البروتستان لا تقوم لهم قائمة في فرنسا بعد ذلك

﴿ فصل ﴾

﴿ في نجاح البروتستان (١٥٧٣ - ١٥٨٧) ﴾

غير ان الامور وقعت على العكس مما ظن فان البروتستان
نهضوا بعد ذبح اخوانهم أشد وأقوى مما كانوا وحملوا السلاح الى
ان منجوا حرية المذهب في معاهدة روشيل . ولما خلف هنري
الثالث كارلوس التاسع في سنة ١٥٧٤ وجد نفسه ازاء ثلاثة احزاب
كبيرة: السياسيين تحت رئاسة فرانسوا دالنبون أصغر اخوة الملك
والكالفينيين تحت رئاسة هنري البيارني ملك نافاريا والكاثوليك
المتعصين تحت رئاسة هنري دي جيز . وكان مقصد هذا الحزب
الاخير الايقاع بالملك والبروتستان معا . وفي سنة ١٥٨٤ توفي هنري
دالنبون فأصبح هنري البيارني ولي عهد فرنسا وأيد حقه هذا
بانتصاره المبين في موقعة كوتراس (١٥٨٧) . فتوهم البابا ان صعود

فتحهم لقبرس فانتصر عليهم أخوه في موقعة قرشيته (١٥٧١) ولكن لم يجن من ذلك ثمرة.

﴿ فصل ﴾

﴿ في المؤامرات الكاثوليكية بانكاترا وفي فرنسا ﴾

كان الكونت بوثويل قد قتل دارنلي زوج ماري ستيوارت ملكة اسكتلنده (١٥٦٧) ثم أرادت هي ان تتزوج به فثارت عليها الامة باجمعها فقرت ولجأت الى الیصابات ملكة انكاترا فاعتقلمها بدون وجه حق (١٥٦٨) فأخذ الكاثوليك يتآمرون على الیصابات بايعاز فيليب الثاني ودسائسه ولا يفلحون . وفي سنة ١٥٦٩ أصدر البابا حرما لا ىصابات فاجتمع كثيرون من اللوردية وانشأوا لهم راية عليها رسم المسيح مجروحا خمسة جروح يسيل منها الدم وثاروا ثلاث مرار كانت الثالثة منها في سنة ١٥٧٢ برئاسة دوق نورفولك الذي وعدته ماري ستيوارت انها تتزوج به فاماتته الیصابات شققا وفي هذا الوقت نفسه حدثت في فرنسا مذبحه يوم عيد القديس برتلماوس وذلك ان دوق كولينني زعيم البروتستان كان قد تقرب من الملك كارلوس التاسع وعرض عليه ان يحول الحرب الالهية الدينية الى حرب خارجية فيفتح هولنده ويكسب فرنسا مجدا في الخارج وراحة في الداخل فرضي الملك بهذا الرأي وقبيل الشروع

﴿ فصل ﴾

﴿ في تفرق قوى اسبانيا واتصار لبياته (١٥٧١) ﴾

كان فيليب الثاني قد اضطر بسبب حروبه ورفضته ان يفرق قوى اسبانيا كل مفرق. فكان جانب كبير من ماله ورجاله مستخدماً لاختراع مغاربة الاندلس الذين ثاروا عليه بايعاز انكرا وقاوموه بمساعدتها الى سنة ١٥٧١ وجانب آخر مستخدماً في البحر المتوسط لمقاومة الاتراك الذين فتحوا قبرس (١٥٧٠) وفي هولنده لمقاومة ثأريها الذين كانوا يسطون على المراكب الاسبانية ليمنعوها من ايصال الميرة والزاد الى الحصون وفي نابولي وميلانو وساحل افريقيا ومكسيك ويرو .

وفي سنة ١٥٥٨ عاد فيليب لمحاربة الاندلس ففقد اسطولا وجيشاً كاملين امام تلمسان وفي السنة التالية فقد امام طرابلس اسطولا آخر عليه ١٥ الف عسكري .

وبعد ذلك بربع سنين حطمت عاصفة اسطوله في نابولي وفي سنة ١٥٦٥ سطا سليمان على مالطه بعد اخذه قبرس فاضطر فيليب ان يرسل قسماً كبيراً من قوته الى البحر المتوسط ليحميه من الاتراك . وكان فيليب ايضاً قد جهز عمارة مؤلفة من ٣٠٠ سفينة عليها ٨٠ الف عسكري تحت قيادة أخيه دون جوان دوتريش لمقاتلة الاتراك بعد

بينه انتشاراً عظيماً واخذ ينهب الكنائس ويسقط الصور والتماثيل ويحرق المنابر فلم يشترك النبلاء معه في هذه المعصية ولذلك انطقت نيرانها سريعاً ثم أرسل فيليب الدوق دلب الى هولنده للتكامل بالثأرين فانشأ محكمة الدم التي قضت باعدام ١٨ الف نفس شنقاً وبنزع املك ٣٠ الفاً فوق الع رعب في القلوب ونزع مئة الف من السكان عن بلادهم ووضعت على الباقيين فيها ضريبة من أثقل الضرائب حملاً .

على ان هذه الحوادث رن لها صدى في فرنسا ونشأت منها حربان اهليتان جديدتان اولاهما (١٥٦٧) انتهت بموقعة سان ديس والثانية (١٥٦٨) بموقعة جارانك التي قتل فيها كوندو وموقعة مونكور التي قهر فيها كويني زعيم الحزب البروتستاني وبق الفوز لكاثوليك اما اسبانيا فكان الرعب سائداً فيها وفي جميع أملاكها لشدة المراقبة وكثرة ما سفك من الدماء من أجل المعتقد وفي سنة ١٥٦٨ بلغت القسوة الوحشية من فيليب الثاني الى أنه حمل امرأته وابنه على الاتحار واثار عليه المغاربة في الالب الاسبانية وأسس محكمة التفتيس في مستعمراته . ولم يخسر الكاثوليك خسارة تذكر في هذه المدة الا بسقوط الملائكة ماري ستيوارت (١٥٦٨) وتغلب البروتستان عليهم في اسكتلنده .

فاكتشفها دي جيز و اراق دماء القائمين بها (١٥٦٠) ثم حدثت
 مذبحه فاسي (١٥٦٢) فكانت فاتحة هذه الحرب التي لم تنته الا
 في سنة ١٥٨٩ . ولما علم فيليب الثاني ان السيف خرج من قرابه
 أرسل نجدة كبيرة لاعانة الكاثوليك في فرنسا وأرسل بروتستان
 المانيا ٧٠٠٠ جندي لمساعدة كونده زعيم البروتستان فيها وكانت
 الیصابات ايضاً تمده بالمال والنجدات ثم انكسر جيش هذا الامير
 في دراى وقتل الدوق دي جيز امام اورليان ففاز فريق المسلمين على
 هذين الحزبين الرفضيين واصدرت كاترين دي ميديسيس منشور
 امبواز (١٥٦٣) فمنحت به حرية المذاهب .

﴿ فصل ﴾

﴿ في فوز الكاثوليك في هولنده وفرنسا (١٥٦٤ - ١٥٦٨) ﴾

﴿ وذكر محكمة الدم (١٥٦٧) ﴾

كان الاسبانيون قد كثر عددهم في هولنده واتوا بالمظالم
 والاستبداد الى تلك البلاد المعودة على الدستور والحرية فكان اهلها
 من شرفاء وعامة في حالة كدر وانتظار فلما صدر الامر بمضمون
 ما تقرر في مجمع تريدينته تحالف الشرفاء فيما بينهم (١٤٦٦) على ان
 يتعاونوا حتى يرفع عنهم مالم يطب لهم من قرارات المجمع . وأما
 الشعب فانه هب هبة واحدة لان البروتستانية كانت قد انتشرت

عندما وقع ملكا فرنسا واسبانيا على معاهدة كاتو كامبريزيس (١٥٥٩) تعاهدا على ان يقاتلا البدعة البروتستانية الى ان يحوها من اوربا . غير ان هنري الثاني قبض الى ربه وخلفه ابنه فرنسيس في حكم سنة ونصف سنة (١٥٥٩ - ١٥٦٠) ثم خلفه ابنه الثاني كارلوس التاسع فتوفي قبل ان يدرك الرابعة والعشرين من عمره (١٥٧٤) ثم خلفه ابنه الثالث (١٥٧٤ - ١٥٨١) فبلغ سن الرجال ولكنه كان احمق خاملاً قاصر العقل فالذي لم يستطع ان يقوم به هؤلاء الابناء قامت به امهم كاترينه دي ميديسيس وذلك انها استعانت بال جيز اعمام ملكة ايكوسا وماري ستيوارت وجمعت الكاثوليك الى حزب واحد ضد حزب البروتستانت

﴿ فصل ﴾

﴿ في الحرب الاولى (١٥٦٢ - ١٥٦٣) ﴾

كان اعلان الحرب منذ رجوع الملكين الى عاصمتيهما بعد معاهدة كامبريزيس فان كلا منهما أصدر لملكه منشوراً يندرفيه البروتستانت بالموت ان اصرروا على بدعتهم . فاجاب برلمان انكترا على ذلك بان جعل الملكة اليصابات رئيسة الكنيسة الانكليكانية والني الرهبنيات وايد البرتستانية من بحر ارلنده الى اقصى البلطيك . وحدثت اليصابات بايعازها مؤامرة امبواز البروتستانية في فرنسا

في مكان فقير منهم الى ايطاليا وعقد معهم مصالحة باسو التي منحهم
بموجبها حرية المذهب (١٥٥١) ثم انصرف لمحاربة فرنسا فلم
يستطع ان يسترجع متس وكان قد تعب من الحروب وزهد في الدنيا
فمنح ابنه فيليب الثاني اسبانيا وايطاليا وهولنده (١٥٥٦) ومنح
أخاه فردينند الامبراطوية الالمانية. ومن ذلك العهد انقسم آل النمسا
الى فرعين واعتزل شراكان في دير (١٥٥٦)

﴿ فصل ﴾

﴿ في استمرار الحرب بين آل فرنسا وآل النمسا (١٥٥٨ - ١٥٥٩) ﴾

لما تولى البابوية بولس الرابع كان الاسبانيون محتلين نابولي
وميلانو فاراد طردهم منهما فاستعان بفرنسا فارسلت جيشاً الى
هولنده وأخرالى ايطاليا ارادة ان تحصر ملك فيليب الثاني في
اسبانيا. وكان الدوق دي كيز قد فتح ميلانو وزحف على نابولي
اذ ورد اليه أمر بالرجوع الى فرنسا للمقاومة الاسبانيين فعاد وحاصر
مدينة كاله فجأة في منتصف الشتاء ودخلها عنوة في ثمانية أيام (١٥٥٨)
وكان الاسبانيون قد وصلوا الى سان كاتين وانتصروا على الفرنسيين
فيها قبل رجوع دي كيز ثم كسروا المارشال دي ترم بعد فتح كاله
فعقد هنري الثاني معهم معاهدة كاتو كامبريزيس ورد بمقتضاها الى
دوق سافوا أملاكه عدا بعض المدن ورد كورسكا الى جنوا

عمارة بباروس وفتح نيقا وانتصر قائده دوق انجيان انتصاراً مبيناً
 في سريزول (١٥٤٤) ولكن شرل كان دخل من الشمال الى
 شاتوتيارى على ١٥ ميلا من باريس وكان ملك انكاترا حليفه يفتح
 بولونيا الا ان المجاعة والامراض اضعفت جيش الامبراطور فكف
 عن القتال وعتد معاهدة كرسبي (١٥٤٤) على تساهل منه ومن
 فرنسيس الاول . وبعد ذلك اعطى ملك فرنسا ملك انكاترمليونى
 دينار فانجلى عن بولونيا بموجب معاهدة آردر (١٥٤٦) وفي السنة
 التالية توفي فرنسيس الاول

❖ فصل ❖

❖ (في اعتزال شرل كان (١٥٥٦)) ❖

فظن شرل كان ان الجو خال له لوفاة عدوه الالذ واشتغال
 سليمان بحروب اسيا غير انه لم يلبث ان قامت في وجهه مشكلة
 جديدة وهي ثورة البروتستان عليه حين تكرر عددهم في المانيا
 فكسره في موقعة موهلبرج (١٥٤٧) بسبب خيانة موريس دي
 ساكس ونشر منشور اوجسبرج الذي لم يرض الكاثوليك ولا
 البروتستان فانتهز ملك فرنسا هنري الثاني هذه الفرصة واعلان انه
 حامي بروتستان المانيا ودخل اللورين ففتح اسقفيات متس وتول
 وفردين (١٥٥١) وكان البروتستان من جهتهم قد باغتوا الامبراطور

بورغونيا ولكن تعهد بموجبها ان يتخلى عن حلفائه في ايطاليا وعن
حقوقه بنابولي وان يعترف بسفورزا ادوقا لميلانو (١٥٢٩)

﴿ فصل ﴾

﴿ في مخالقات فرنسيس الاول وانتصارات سليمان ﴾

وعاد فرنسيس الاول يستعد للانتقام لخالف البروتستان
في المانيا وفي اسوج وذيهرك وحالف كذلك السلطان سليمان الاول .
وكان سليمان على ما علمناه بطلا باسلاً نصيراً للاداب والصنائع
والعدل وهو واضع القانون العثماني ولذلك لقب بالفتح والقانوني
والجواد .

وبينما كان هذا السلطان في عودته الى النمسا يحاصر سنيريا
اتته سفارة من فرنسيس الاول بطلب مخالفته وكان ينوي الزحف
على المانيا غير انه علم ان اسطولا اسبانياً وصل الى الدردنيل
فرجع لوقاية عاصمته (١٥٣٢) .

وكان فريدريك باربروس امير بحر الاساطيل العثمانية كما رأينا
ذلك وفي سنة ١٥٤٠ ثار أهل مركز غاند على الامبراطور فاذن
له فرنسيس الاول بامرار جنوده من فرنسا لاختضاع الثأرين على
ان يرجع اليه ميلانو فوعده بذلك ثم اخلف وقتل رسولين كان
فرنسيس الاول منفيهما الى سليمان الاول فضم ملك فرنسا عمارته الى

الموقعة واسر (١٥٢٥) فاضطر للتخلص من اسره ان يوقع على معاهدة مدريد (١٥٢٦) التي تنازل بمقتضاها لكارلوس عن بورغونيا و نابولي وميلانو وجنوا و فلاندر و اوارتو و اوردا ملاك دوق بوربون له و وعد بان يتزوج بشقيقة الامبراطور مملكة البرتغال و لما رجع الى مملكته استصدر قراراً من نواب بورغونيا بانه لا يجوز التصرف بولاية من ولايات فرنسا فتشتم من اجل ذلك الملكان و تداعيا الى البراز ثم اديرت رحى الحرب ثانية.

وكان البابا و ملك انكلترا قد انفكا عن محالفة شرلكان ذلك خوفاً على استقلال ايطاليا و هذا لان الامبراطور لم يفه ما وعد به فنزلت اول نوازل الحرب الثانية على ايطاليا و ذلك ان بوربون دخلها بجيش من اللوتيريين و حاصر رومه فقتل وراء اسوارها و لكن جيشه دخلها عنوة و استباحها قتلاً و نهباً و تدميراً (١٥٢٧). و كان لوترك قد فتح ميلانو ثانية و تقدم الى نابولي غير ان العمارة الجنوبية غدرت به فاضاعت ثمرة الحملة و توفي لوترك مصاباً بالظاعون و اجلى الفرنسيون ثانية عن ايطاليا. و عند ذلك ظهر فيها شرلكان فآكره دوقية فراري و ميلانو و ماتو على الانتماء اليه و مقاطعتي سافوا و مونفرات على ترك محالفة فرنسا و البابا اكليندوس السابع على تويجه ماسكال ايطاليا و امبراطوراً (١٥٢٩) و عند ذلك وقع ملك فرنسا على معاهدة كامبراي التي لم يدخل فيها التنازل عن

من حيث ونجح شر لكان على عدم ارجاعه له مقاطعة نافاربا الفرنسية
 طبقاً للمعاهدة في معاهدة نويون فلما لم يجبه ارسل ٦٠٠٠ مقاتل فاحتلوا تلك
 المقاطعة بقيادة الدوق دي بويون ثم هاجموا الكسمبورج . ولكن
 الفرنسيين انكسروا في قشتالة وكاد عساكر الامبرطور يأخذون
 بلدة مازيار لولم يدخلها بايار ويحميها منهم (١٥٢١) وكذلك انكسر
 لوترك القائد الفرنسي في موقعة بيكوك (١٥٢١) لان جنوده
 السويسريين خذلوه وانجلى عن ميلانو فجراً ذلك أهل البندقية وجنوا
 على خلع النير الفرنسي . وفي هذه السنة نفسها رقى شر لكان
 الى كرسي البابويه اديان السادس الذي كان استاذوه واصبح صنيعته

﴿ فصل ﴾

﴿ في موقعة بافي (١٥٢٥) ومعاهدي مدريد (١٥٢٦) وكامبراي (١٥٢٩) ﴾

ولم تلبث فرنسا ان اصبحت مهددة الجوانب لان الكونيتابل
 دي بوربون خانها انتقاماً من الملك الذي اساء معاملته وحارب
 مع عساكر شر لكان فانتصر على بونيفه في بياغراسو التي قتل
 فيها بايار (١٥٢٤) ودخل بروفسا غير ان ثورة أهلها الجاته الى
 الخروج منها فتبعهم الجيش الفرنسي وفي مقدمته الملك والتقوا
 بهم في بافي وكانت مدافع فرنسيس الاول تمزق الاعداء تمزيقاً غير
 انه اخذته هزة نزع فهجم بخياله عليهم امام نيران مدافعه وخسر

ميلانو فاجتاز الاب والتقى في مارينيان بثلاثين الف سويسري دحرمهم
 ففقدوا معه صاحبا دائما ولم يحاربوا الفرنسيين بعد ذلك الى زمن
 الثورة وسببت هذه الموقعة بموقعة الابطال (١٥١٥). وعلى اثرها
 اسرع البابا فعقد الصلح مع الفاتح الجديد في سنة ١٥١٦ فاتفقا على
 ان تلغى الانتخابات الاكليريكية ويعين الملك مباشرة الاساقفة
 ويعطي البابا ايراد سنة من كل كرسي اسقفي يخلو.

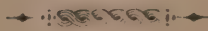
﴿ فصل ﴾

﴿ في عظمة شرلكان ﴾

في سنة ١٥١٦ توفي فرديناند الكاثوليكي نخلته كارلوس
 دوتريش الذي سمي بعد ذلك بشرلكان وأصبح صاحب اسبانيا
 والنمسا وهولنده وفرانش كونته ونابولي وصقاليا وامريكا. وكانت
 هذه الدولة الناشئة مما يوجب تهيب الدول وحذر فرنسا غير ان
 فرنسيس الاول لم يكثر لها الكثرة انقسامها وتشتتها وعقد مع
 شرلكان معاهدة نويون (١٥١٦) فسهل له وضع تلك التيجان على
 رأسه بدون معارضة. غير ان صداقة المالكين لم تستمر الا ثلاث
 سنين الى ان توفي الامبراطور مكسيميان فتناظرا في السمي
 لخلافته ثم فاز شرلكان واقب بالامبراطور وحالف انكلترا والبابا
 استعدادا لمحاربة خصمه. وكان فرنسيس الاول هو البادى بالمعاداة

استعان البابا بالفرنسيين على اجلاء الاسبان عن المواضع التي كانوا محتليها من ايطاليا فبقي النصر للاسبان واضطر البابا ان يقلع عن نية الاستقلال بايطاليا ثم كان من نتيجة ما قر عليه المجمع ان المجمع تكون خاضعة للبابا وأنه هو صاحب السطة المطلقة في ادارة الاكايروس وتقليب نظاماته وصاحب الرأي النافذ في تفسير القوانين الدينية وأنه لا يقبل الخطأ في مسائل الايمان .

وأشهر البابوات الذين ملكوا رومه بعده هذا المجمع غريغوريوس الثامن صاحب التقويم السنوي المعروف باسمه ثم سكست كنت (١٥٨٥ - ١٥٩٠) وهو الذي اصلح شؤون المالية وانقذ مملكته من قطاع الطرق ووسع رومه وبالغ في تحليتها وابنتى مكتبة الفاتيكان وازاد اليها مطبعة انشر الكتب الدينية



الباب السابع والخمسون

﴿ في حروب اخرى جرت بايطاليا وذكر فرنسيس الاول ﴾

﴿ وشرباكان وسليمان الاول القانوني ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في فرنسيس الاول وانتصاره ببارينيان (١٥١٥) ﴾

عند ما خلف فرنسيس الاول لويس الثاني عشر قصد افتتاح

المذهب الارثوذكسى في ايطاليا وجمعية أخرق لمراقبة الكتب
وتنقيحها قبل تمثيلها بالطبع فازالوا بذلك حربة الضمير وقتلوا الاداب
والصنائع الجميلة . ثم اصلحوا الرهبنة الموجودة وأسسوا رهبنة
أخرى جديدة منها رهبنة اليسوعيين التي وجدت في سنة ١٥٤٠
وكان نظامها من اقوى وأحكم النظم السياسية التي وضعت الى
ذلك العهد . وانتشر رجال هذه الرهبنة بين الناس يعظون وينشئون
المدارس ليستولوا على عقول الاحداث ويصبغوا افكارهم بالصبغة
التي يريدونها . ولما توفي اغناطيوس لويولا مؤسس هذه الرهبنة
(١٥٥٦) كان أعضاؤها النما ومدارسها مئة وكان جماعة من رجالها
قد انبثوا في اسبانيا وايطاليا والنمسا وبافاريا وفرنسا وجماعة آخرون في
البرازيل والهند واليابان والحبشة .

﴿ فصل ﴾

﴿ في الجمع الترنتي او التريديتي (١٥٤٥ — ١٥٦٣) ﴾

هذا الجمع الكهنسي عقده البابا بولس الثالث في سنة ١٤٥٤ في
مدينة ترنتا ارادة ان يقران التعاليم الكاثوليكية لا تعديل ولا
تسامح فيها . ثم طرأ من الحوادث ما أوجب انتقال هذا الجمع
الى مدينة بولونيا (١٥٤٦) ولكنه أعيد الى ترنتا سنة ١٥٥١ فبقى
سنة وتفرق مدة عشر سنين قبل النزاع من أعماله . وفي أثناء تفرقه

ثم خلفه ادوارد السادس فانتصر للاكاثوليكية (١٥٤٧) وايدها وحين
توفي (١٥٥٣) اجلس وارويك على العرش حنة غراي لتعضد
البروتستانية ولكنهما تملك عشرة ايام حتى قتلت بدسيسة من ماري
ابنة هنري الثامن وخلفها هذه الاميرة فتزوجت بفيليب الثاني
ملك اسبانيا وصالحت الكرسى المقدس وامانت كثيرين من
البروتستان ولذلك لقت بسفائة الدماء. وقد حمها زوجها على محاربة
فرنسا فققدت مدينة كاله واستمرت حزية عليها الى وفاتها (١٥٥٨)
نخلفها اليصابات وفي سنة ١٥٦٢ جعلت الكنيسة الانكليكانية على
ماهي عليه الى الآن في انكلترا

﴿ الباب السادس والخمسون ﴾

﴿ في نهضة المذهب الكاثوليكي ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في الاصلاحات التي جرت في البلاط البابوي والكنيسة ﴾

(وذكر اليسوعيين)

ان هذه الصدمة التي لقيتها الكنيسة افقدتها نصف ساطنتها
فتنبه البابوات من غفلتهم وشرعوا في اصلاح داخليتهم واقاموا
محكمة تفتيشية سفاكة دماء (١٥٤٢) لمعاينة كل من يجيد عن

الى ١٧ ولاية متحالفة تحت حكم الامبراطور شرلمان كان فاقام فيها تفتيشاً شديداً على اهل المذهب الجديد وقتل منهم ٣٠ الف فاعدت الى الكاثوليكية الى ان دخلها مذهب كلفينوس بطريق الازاس من سويسرا فاعتنقته .

أما فرنسا فلم يدخلها المذهب اللوثيري بل الكلفيني وقل انتشاره فيها . وكان ملكها فرنسيس الاول يؤيد البروتستان في المانيا ويضطهدهم في مملكته وكذلك هنري الثاني فانه اصدر أمراً باعدام كل مخالف للمذهب الكاثوليكي

اما اسكتلنده فساد فيها المذهب الكلفيني ايضاً وكان قد شمل جميع اطرافها حين توفي الملك جاك الخامس وعهدت ازمته في ادارة شؤون المملكة الى الكردينال بيتون فمنع المذهب الكاثوليكي منعاً باتاً وقتل من أجل ذلك (١٥٤٦)

اما دخول الاصلاح الى انكلترا فكان على يد ملكها هنري الثامن وذلك انه تعشق امرأة تدعى حنه بولين فأحب ان يقترب بها والتمس من البابا اكليماندوس السابع حلّ زواجه بأمرائه كاترينا داراغون فلم يجبه الى ما أراد فاستصدر قراراً بالطلاق من برلمانة فخرمه البابا فجعل نفسه رئيس الكنيسة الانكليكانية (١٥٣٤) والنبي الرهبنة وأخذ أموال الاديرة (١٥٣٩) وصادر ٧٢ الف أمر بالاعدام لمخالي مذهبهم ونشر التوراة بالانكليزية ايطالها الشعب .

﴿ فصل ﴾

﴿ في الاصلاح في سويسرا وذكر زوينكل (١٥١٧) وكلفينوس (١٥٣٦) ﴾
 انتشر الاصلاح في سويسرا على اثر انتشاره في المانيا وكان
 الاستاذ زوينكل قد صرح منذ سنة ١٥١٧. بانه لا مرجع في
 الايمان الا الى الانجيل . وعرف مذهبهم بالانجيلي وامتد في جميع
 سويسرا عدا لوسرن واوري وشويتز واترلاند . وفي سنة ١٥٣١
 انتشبت حرب بين الانجيليين والكاثوليك قتل فيها زوينكل وفاز
 خصومه ومع ذلك تقرر ان كل مركز يلبث حافظاً لمذهبه غير ان
 مدينة جنيفا كانت حائقة على اسقفها لسوء سيرته وكان متولياً
 أحكامها الدنيوية والدينية فتحولت الى المذهب الجديد فخارتها من
 أجل ذلك مقاطعة سافوا فاستعانت جنيفا بمركز برن على عدوتها
 ونجت بذلك من فتكها (١٥٣٦) وعلى اثر هذه الحرب اتى كلفينوس
 جنيفا وهو فرنسوي الاصل ولد في نويون وذهب الى تحريم كل ما لم
 ينص عليه الانجيل نصاً مبيناً وحصل في المدينة على ساطة مطلقة
 فكان يحكم بالقتل على من يرتكب هفوة . وبهذه السياسة الشديدة
 جعل جنيفا عاصمة المذهب الاصلاحى .

﴿ فصل ﴾

﴿ في الاصلاح في هولنده وفرنسا واسكتلنده وانكترا ﴾
 عند ما اتصل مذهب لوثير من المانيا بهولنده كانت مقسومة

نشروا في اوجسبرج قانون ايمانهم الذي بقي بعد ذلك الرابطة بين اتباع لوثير (١٥٣٠) .

ولم يتفرغ شران كان لمعاندة هذه الشيعة لاشتغاله بمحاربة سليمان الاول وفرنسيس الاول فلما عقد معاهدة كرسبي وتوفي ملك فرنسا حمل على الامراء اللوثيريين وكسرهم في موهابرج (١٥٤٧) وظن ان المانيا كلها ركت على قدميه بعد هذا الانتصار غير ان امراءها حالفوا ملك فرنسا هنري الثاني (١٥٥١) واوشك موريس دي سكس ان يقبض على الامبراطور نفسه في موقعة اينسبروك (١٥٥١) فعقد معهم الصلح في اوجسبرج ومنح الاصلاحيين الحرية المذهبية التامة (١٥٥٥) .

﴿ فصل ﴾

﴿ في الاصلاح اللوثيري في الممالك السكندنافية ﴾

عندما انقذ غوستاف فاذا بلاد اسوج من السيادة الدنيركية واستقل بها قرّب المصالحين فيها واحسن اليهم لمتخدم عونا له على اسقاط سطوة الاكليروس وللتوصل الى الملك وأما الدنيرك فقد استخدمتهم لتسويد الشرفاء على الاكليروس فلما استفحل أمرهم الفوا مجلس النواب وجعلوا الملوك تحت وصايتهم والشعب تحت نيرهم مدة عشرين سنة .

والناس وأن لا تقوم لكل عمل تعلمه الكنيسة وهو لا ينطبق على ما جاء في الكتاب وان كلا يفسر الآيات على ما يلبه الله .

فاصدر البابا حرماً على صاحب البدعة فاحرق لوثير أمر البابا جهاراً وكان مشدوداً أزره بفريدريك دوق سكس الملقب بالحكيم . ورأى الامبراطور شر لكان ان ينصر للكاثوليك ليستميلهم اليه فدعا لوثير ليحاكم امام مجلس ورمس فاقى غير خائف وكان مخفوفاً بجمهور ممن انصاره فلم يستطع أحد ان يلحق به أذى ثم رجع وأخناه دوق سكس في قصر وارتبورج حماية له فكان لوثير يكتب الرسائل تترى من ذلك المأمر وينشرها في جميع المانيا . فغضت شوكة وكبر حزبه وكان على مذهبه بعض الامراء كمنتخب سكس وحاكم قصر هس ودوقية مكلفبرج وزل وبوميرانيا لانه قال بضرورة خضوع الكنيسة للحكام .

وحدث ان بعض اتباع لوثير في سواب وتورنجيا نارواوركبوا منكرات كثيرة طالين المساواة بين الناس في كل شي فانكروهم لوثير وقال بوجوب محاربتهم فاهلكوا الوفا (١٥٢٥) . ودخل البلاد الخوف من تجدد مثل هذه الفظائع فاعتقد مجلس النواب في مدينة سبيرا البافارية واصدروا أمراً بمنع نشر تعاليم الشيعة الجديدة (١٥٢٩) فاحتج أهل هذه الشيعة على هذا الامر ومن أجل ذلك دعوا بالبروتستان أو المحتجين . وفي السنة التالية

العظمة والثروة وأصبح البابا كالمملك والاساقفة كالامراء بالغنى
والجيوش فنادى الكثيرون بضرورة الاصلاح والاقلاع عن
هذه الحالة وكان الاصلاح لا بد حاصلًا

﴿ فصل ﴾

﴿ في لوثير (١٥١٧) ﴾

هو ابن معدن سكسوني من اسابن كان من رهبنة القديس
اغسطينوس وترقى بعلمه حتى أصبح الاستاذ الاكبر في كلية
ويتنبرج . واتفق انه زار رومه فاستغرب ما وجد فيها من سوء حالة
الكنيسة وخصوصاً من بيع البابا للغفرانات توسلاً بذلك لاتمام بناء
كنيسة القديس بطرس . فراجع أصل التعاليم المتعلقة بالغفرانات فوجد
عمل البابا مخالفاً لها فعزم على مقاومته في ذلك ولما رجع نشر على
أبواب كنيسة ويتنبرج ٧٥ اقتراحاً في ما يختص بالغفرانات فرد عليه
الراهب تنزل الدومينيكاني وكان سمسار المبيع الغفرانات في المانيا
بمئة وعشرة اقتراحات مناقضة لاقتراحاته وبذلك كان ابتداء الحرب .
وظن البابا ان المسئلة ليست الا مناقشة رهبان فبعث رسولا من
قبله لتأديب لوثير وكفه عن نشر ارائه فاحتج على الرسول ثم على
البابا ثم على الجامع الكنسية وعلم ان التقاليد لاصحة لها ولا ينبغي
اتباعها وان الكتاب المقدس هو كل الدين وان لا وسيط بين الله

دي فنشي وتيسيان . وتلت فرنسا تلوا ايطاليا في هذا الباب فشيدت
عدداً كبيراً من القصور والمصروح منها اللوفر والتويليري وفونتينبلو
وبلوا وشامبور وقام فيها النحاتون المشاهير بكان جو جردن وجرمان
بيلون . أما المانيا فوجد فيها مصوران هما دورر وهولبن . وما يحمل
ذكره ان فن الرسم بالحنر اخترع في ذلك الزمان وكانت تتقل به
صور اجمل المصنوعات واكمل الابنية الى كل مكان كما كانت الطباعة
تشر التآين . ومن مشاهير ذلك العهد ايضاً باليسترينا مبدع
الموسيقى الكبرى .

﴿ فصل ﴾

﴿ في بعثة العلوم ﴾

اما العلوم فلم تخط خطوة كبيرة وانما امتاز بين المشتغلين بها بعض
المهندسين في ايطاليا وكوبرنيك الشير في بولونيا وهو الذي
اكتشف حقيقة انظام الشمسي سنة ١٥٠٧

﴿ الباب الخامس والخمسون ﴾

﴿ في الثورة المذهبية أو الاصلاح ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في الاكايروس خلال القرن السادس عشر ﴾

كانت لالكنيسة قد تحوات من حاتمها النظرية الاولى الى حالة

ينشرون للناس أعز الكتب القديمة بالثمن الزهيد فأقبلوا عليها
أقبالاً عظيماً.

﴿ فصل ﴾

﴿ في بعثة الاداب ﴾

وعند أول ظهور هذا الاختراع الجليل تناولته ايطاليا فاقامت
المطابع في رومه والبندقية وميلانو قبل سنة ١٤٧٠ وكذلك المكاتب
والمدارس الكامية وغيرها وأخذ أهل المعارف يترجمون الكتب
القديمة ويصنفون الجديدة. وكان البابا جول الثاني يدني منه
العلماء وأهل الننون والكتاب كادنايه القواد والسياسيين وهو
الذي أعلى برعايته شأن رافائيل وميكالنج الشهيرين بالتصوير وهندسة
البناء وتزويقه. وفي ذلك العهد كانت المربة الاولى بكثرة عدد الادباء
وأهل العلم لايطاليا ثم فرنسا ثم لالمانيا.

﴿ فصل ﴾

﴿ في بعثة الصنائع ﴾

وكانت القدم الاولى في الصنائع لايطاليا أيضاً فقد وجد فيها
برامانت باني كنيسة القديس بطرس وميكالنج واضع قبة الشهيرة
ووجد فيها النحاتون الذين صاروا بمنقوشاتهم الاقدمين والمصورون
الذين لم يماثلهم احد قبلهم ولا بعدهم كـيـكـالنج ورافائيل وايونار

من أحوال صنائعها وزراعتها اضعاف ما فعلوا الى ذلك العهد واذا
 اضعفنا الى ما تقدم انشاء البريد في فرنسا والهوليسات والترع في
 البندنية والمصارف الماوية التي اسسها اللومبارديون وشركة الهانس
 ومحلات التأمين التي وجدت في برشلونه وفلورنسا ثم في بروج
 وجدنا ان كل ذلك كان اساس البعثة الاقتصادية العظيمة التي
 نقلت الدنيا من الحال الاولى التي علمنا اننا الى الحال التي هي
 عليها الآن .



﴿ الباب الرابع والخمسون ﴾

﴿ في بئمة الاداب والفنون والصنائع ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في اكتشاف المطبعة ﴾

عندما خرجت الناس من القرون المتوسطة المظلمة اشتدت
 رغبتهم في المباحث العلمية والاداب والمطالعات وكانوا مع ذلك لا
 يعثرون على كتاب قديم الا كانوا يظنوا خيراً مبيناً لشدة غلاء
 الكتب وعزلة وجودها فلما اخترع غوتنبرج المطبعة ذات الحروف
 المتحركة في سنة ١٤٥٤ وظاهر اول كتاب مطبوع وهو التوراة انتشرت
 هذه الصناعة باعظم سرعة ورخصت الكتب وأخذ الطباعون

الرجاء الصالح وكانوا اول رجال طافوا حول الارض. وبعد ذلك اكتشف
 الماغواو بيزاري بلاد بيرو وشيلي فاضيفت الى املاك اسبانيا وأسس
 آخرون مدينة بوينوس ايرس على مصب البلاتا وفي سنة ١٥٣٤
 اكتشف كارتة بلاد كندا الفرنسية على ان المستعمرات البرتغالية لم
 تلبث ان نزعت من يد البرتغال سريعاً لأنها لم تقم فيها الا مصارف
 تجارية بخلاف المستعمرات الاسبانية التي قصدها العدد الكثير من
 الاسبانيين لاستخراج الذهب من مناجمها فانما كانت اثبت الكثرة
 مستعمريها وكانت منتسبة الى حكومتين كبيرتين حكومة المكسيك
 وحكومة ليما. ولا يزال الجيل الاسباني هو السائد في المكسيك
 وأمريكا الجنوبية الى هذا اليوم كما لا يزال الجيل البرتغالي سائداً
 في البرازيل.

﴿ فصل ﴾

﴿ في النتائج ﴾

نتج من هذا الاكتشافات انها فتحت أبوابا للمكاسب الطائلة
 من القسم الشرقي الذي كان مجهولاً ومن القارة الجديدة وحوادث
 الثروة من دول البحر المتوسط كإيطاليا الى دول المحيط الاطلسي
 كاسبانيا والبرتغال أولاً ثم هولندا وانكتر بعدهما وأوجدت المقادير
 الكبيرة من الاموال بين أيدي أهل اوربا فأصلحوا من أراضيها وحسنوا

كولومبس الشير الجنوبي الاصل . وكان قد لاح لهذا الرجل العظيم ان الهند لا بد ان تكون ممتدة كثيراً الى الشمال لتوازن القارة الأوروبية ومن أجل ذلك اعتقد انه اذا البحر في المحيط الاطلنطي مغرباً وصل الى أقصى شاطئ الهند. غير ان مجلس الشيوخ في جنوا وملك البرتغال وملك اسبانيا لم يجيبوا الى ما طلبه من السنان للاكتشاف استخفافاً «بأوهامه» وبعد اللتيا والتي منحتة الماركة اليصابات ثلاثة مراكب صغيرة فظل في البحر شهرين وفي ١١ اكتوبر من سنة ١٤٩٢ نزل في غوانباني وهي احدى جزائر لوكاي ودعاها سان سلفادور . وفي رحلته الثالثة أدرك العالم الجديد وم يظن لذلك (١٤٩٨) وفي رحلته الرابعة اكتشف شواطئ كولومبيا . معتقداً انها الهند ولذلك سماها الهند الغربية وبقى لها هذا الاسم الى ان دعيت أمريكا باسم أميرغو فسبوتشي الذي لا فضل له الا انه اتى مراسيمه ودخل البر قبل كولمبوس .

ومن ذلك الوقت توالى الاكتشافات ففي سنة ١٥١٣ قطع بالبو برزخ بناما وابصر المحيط الكبير وفي سنة ١٥١٨ وجد غريجالفا المكسيك ثم افتتحها فرناند كورتس (١٥١٩ - ١٥٢١) وفي سنة ١٥٢٠ وجد ماجلان المذرق المائي الذي سمي باسمه بين امريكا الجنوبية والارض النارية واجتاز المحيط الباسيفيكي وتوفي اثناء رحلته ثم عاد رفاقه الى اسبانيا مارين من جزائر المولوك ورأس

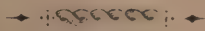
الملاح الشهير البوكر ك فانه باستيلائه على سو كوتورا وأرموز اقتل على البنادقة وغيرهم طريق التجارة الهندية ثم فتح جاوا (١٥١٠) وجعلها عاصمة الهند البرتغالية وحالف ملكي سيام وياغو وامتلك جزائر مولوك ثم بينما هو يستعد لمحاربة مصر وشبه جزيرة العرب عزله الملك (١٥١٥) ومنح منصبه لجان كاستر وفتح كباي ثم اكتشف اليابان سنة ١٥٤٢ وأسس مصرفا ازاء كانتون في جزيرة سانسيام . وفي الجملة كانت المراكز التي احتلها البرتغاليون بعد جاوا موزامبيق وسوفالا وماليند على شاطئ افريقيا ومسيقط وارموز على خليج العجم وديو على شاطئ مالابار ونيغاباتام على شاطئ كورومانديل ومدينة ملقه في شبه الجزيرة المعروفة بهذا الاسم وجزائر مولوك التي احتلوا منها ترنات وتيمور ثم الكونغو وغيرها على الساحل الغربي من افريقيا وهذه كانت قليلة الفائدة في اول الامر الى ان دارت فيها سوق النخاسة . ثم البرازيل . وبقية البرتغاليون زمانا طويلا لا يرسون لاستعمارها الا المحكوم عليهم أو اليهود البعدين .

﴿ فصل ﴾

﴿ في خريف متوف كولمبوس (١٤٩٢) وملككة الاسبانول الاستبارية ﴾

اكتشفت أمريكا في سنة ١٤٩٢ ومكشفتها خريستوف

ونورمنديا وجعل التحقيق الجنائي باللغة الفرنسية لا اللاتينية
وحظر السطو الذي كان مباحاً لرجال الحرب وانجح التجارة
والصناعة بحيث لقب بأبي الشعب



﴿ الباب الثالث والخمسون ﴾

﴿ في البعثة الاقتصادية ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في اكتشاف رأس الرجاء الصالح (١٤٩٧) ﴾

كان النورمنديون اول من ركبوا البحر وساروا فيه للاكتشاف
ثم تبعهم البرتغاليون وسبقوهم وفي سنة ١٤٧٢ اجتازوا الخط
الاستوائي وفي سنة ١٤٨٦ عرف بارتلمي دياز رأس الانواء الذي
سماه الملك يوحنا الثاني برأس الرجاء الصالح تـفـاـؤـلا واجتازه
فلسكو دي غاما سنة ١٤٩٧ ووصل منه الى كاليكوت على ساحل
مالابار وقد أسس الفارس كابرال أول مركز اوربي في كاليكوت
بالهند وكان في طريقه قد قدقته العاصمة الى بعض شواطئ البرازيل

﴿ فصل ﴾

﴿ في مملكة البرتغاليين الاستعمارية ﴾

اعظم الفضل في تأسيس هذه المملكة وتشييدها يرجع الى

مجعاً آخر في لاتران حرم به ملك فرنسا وحزب عليه جميع الدول الكاثوليكية حتى أهل سويسرا الذين كانوا مغدورين بنعمه

﴿ فصل ﴾

﴿ في دخول المتحالفين فرنسا (١٥١٣) وذكر الهدنة (١٥١٤) ﴾

ففي أول الامر فازت فرنسا على يد قائدها غاستون دي فوفاناه ارجع السويسريين الى جبالهم وأخذ بريسيا من البنادقة ورافينا من المتحالفين (١٥١٢) الا أنه قتل في موقعة ونصب مكانه لاباليس فردّه الاعداء الى الالب ودخل مكسيميليان سفورزا بن لودوفيك ليومر الى ميلانو عنوة ثم سطا الاعداء على فرنسا من ثلاثة جوانب وانتصروا على الفرنسيين وتقدم السويسريون الى ديجون فردوا عنها بالرشوة وكان ملك فرنسا حليف واحد هو ملك اسكتلنده جاك الرابع فقتل في احدى المواقع فلما رأى لويس انبيال المصائب عليه عمده هدنة وانكر ما قرره مجمع بيزا وتعهد بتأدية ١٠٠٠٠٠ ربال سنويا لملك انكلترا الى عشر سنين (١٥١٤). فنتج من ثم ان فرنسا بعد ما سفكته من الدماء وفقدته من الرجال مدة خمس عشرة سنة رجعت الى مثل ما كانت عليه في آخر عهد كارلوس الثامن . وتوفي لويس في اول شهر يناير سنة ١٥١٥ . وكانت ادارته الداخلية افضل من سياسته فانه أسس برلماني بروفانسا

وكان شر لكان ملك هولنده وولي عهد النمسا واسبانيا فلما استزاد ملك نابولي طلب ان يتزوج بابنة لويس ويأخذ بورغونيا وبريتانيا مهراً لها فعقد الملك لذلك جمعية النواب فقررت ان المقاطعتين المشار اليهما لا تسليخان عن أملاك فرنسا وأشارت عليه برفض طلب شر لكان وتزويج ابنته لولي عهده فرنسوا دوق انجوليم .

﴿ فصل ﴾

﴿ في عصاة كبراي (١٥٠٨) والعصاة المقدسة (١٥١١) ﴾

وكان البابا جول الثاني قد خلف اسكندر السادس وعزم على اجلاء الاجانب عن ايطاليا واذلال البندقية وجعل الكرسي المقدس أعظم دولة ايطالية فأول ما فعله ان حمل لويس الثاني عشر وفرديناند الكاثوليكي والامبراطور مكسيميليان على عقد عاثة كبراي سنة ١٥٠٨ وفي نفس كل منهم شيء يأخذه أو يسترده من البندقية فنزل لويس الثاني عشر البنادقة وانتصر عليهم بقرب اغاندر واغنى بذلك حليفه عن الاشتراك معه عن القتال وأخذ ما شاء واعطاها ما طلباه فلم يكن من البابا بعد ذلك الا ان حول مخالفة كبراي على الفرنسيين انفسهم وأخذ يحاربهم بنفسه ليخرجهم من ايطاليا فعقد لويس مجمعا في بيزا استصدر منه قرارا بخلع البابا فعقد البابا

بارمته خوفا من ان تزوج بامير اجنبي يستولي على مقاطعة بريتانيا
التي كانت لها

ثم أخذ يطالب بما كان لسالفه من الحق بملك نابولي وبما ورثه عن
جدته سليمة آل فيسكونتي من الحق بامارة ميلانو . ولبلوغ أمنيته
هذه أغرى أهل البندقية وفلورنسا وقيصر بورجيا بالمواعيد ثم أرسل
قائداً له ايطالي الاصل يدعى تريفولس ففتح ميلانو وفر أميرها
ليومر من وجهه الى تيرول (١٤٩٩) ثم عاد فقاتله تريفولس
بقرب نوفاره وغلبه أيضاً (١٥٠٠) فسلمه بجنوده للفرنسيين فإرسلوه
الى فرنسا واعتقل في قصر لوش .

ثم اتفق لويس الثاني عشر مع الفلورنتيين فساعدهم على اخماد
ثورة بيزا وأعان قيصر بورجيا ابن البابا اسكندر السادس على نيل
امارة رومانيا واقتسم نابولي بينه وبين فرديناند الكاثوليكي (١٥٠٠)
فاعطاه بويل وكالابر وأخذ الباقي مع لقب ملك نابولي . اما ملكها
السابق فاستسلم للويس فاسكنه على ضفة نهر اللوار وأجرى له راتباً
(١٥٠١) . ولم يلبث ان وقع النزاع بين الاسبانيين والفرنسيين
فانتشبت على أثره حرب دارت دائرتها على الفرنسيين فأنجلوا
ثانية عن تلك الممارة (١٥٠٤) ففزع لويس الثاني عشر ان يحتفظ
بميلانو واضطر من أجل ذلك ان يوقع على معاهدة بلوا (١٥٠٤)
التي تنازل فيها عن حقوقه بنابولي لشاركان على ان تترك له ميلانو .

الكاثوليكي وفرانش كوته وشاروله وار توالمسكسيميليان ثوها منه
انه بذلك يوطد الامن على تخوم فرنسا

ثم اجتاز الالب ودخل بلا قتال الى تورينو ثم الى ميلانو
وكان مغتصبها لودوفيك ليموري يحتاج الى مساعدته لمقاومة اهل
نابولي ثم الى فلورنسا ثم الى رومه ثم الى نابولي وكان ملكها
فرديناند الثاني قد خانه جنوده وتركوه (١٤٩٥) ففتوح في تلك
العاصمة ملكا على نابولي وامبراطورا للشرق وملكا للقدس . وبينما
كان مستغرقا في الملاهي والمسرات تأمر عليه زعماء البندقية
ولودوفيك لمور والبابا اسكندر السادس ومكسيميليان وفرديناند
الكاثوليكي وهنري السابع . وكان اربعون الف مقاتل ينظرونه على سفح
جبال الابنين فلما بلغه هذا النبأ ترك في الجنوب احدى عشرة الف مقاتل
وسار مسرعا الى الشمال فدحر اعداءه في فورنو (١٤٩٥) واجتاز الالب
راجعا غير انه فقد ثمره هذه الحملة الجميلة .

ولما نجت ايطاليا من الفرنسيين عادت الى خصوماتها
الداخلية .

﴿ فصل ﴾

﴿ في لويس الثاني عشر (١٤٩٨) وذكر فتح ميلانو ونابولي ﴾

خلف هذا الملك كارلوس الثامن (١٤٩٨) وهو ابن عمه وتزوج

— ❧ الباب الثاني والخمسون ❧ —

{ في حروب ايطاليا و ذكر كارلوس الثامن و تويس الثاني عشر }

❧ فصل ❧

{ في حملة كارلوس الثامن على ايطاليا (١٤٩٤) }

ثبت لدى القارئ من مطالعة ما سبق بيانه ان الملك اغتصبوا جميع السطة التي كانت موزعة بين الشرفاء على اختلاف درجاتهم فكان من نتائج هذا الانقلاب ان الحروب التي كانت تجري بين مقاطعة ومقاطعة وولاية وأخرى أصبحت تجري بين دولة ودولة . وأول امة كانت على استعداد وأهبة للحرب فرنسا فهي لذلك كانت أول عازمة على السطو على غيرها والخروج من تخومها . ولقد قال لويس الحادي عشر عندما عرض عليه أهل جنوا ان يكون صاحب الامر عليهم « انهم يهبونني بلادهم وانا هبهم للشيطان » وكانت في هذا الامتناع حكمة بالغة . وكذلك ابي هذا الملك لمثل هذه الحكمة ان يطالب بما أورثه آل انجو من الحق بمملكة نابولي . اما ابنه كارلوس الثامن فقد استرد هذا الحق المتروك ومن أجل ان يتفرغ للفتوح حيث كان يظن انه يزحف من نابولي على الاستانة ومن الاستانة على القدس ركب غلظاً فاحشاً فترك سردينيا وروسيليون انفرديناند

قینارچه مع الروس (١٧٧٤) ومن شروطها استقلال بلاد القريم
وان تمنح روسيا عدة بقاع وتنجلي عن الجزائر والامكنة الاخرى
التي احتلتها ويكون نهر آف الفاصل بين الدولتين وتكون روسيا
حامية النصارى الارثوذكس في الممالك العثمانية .

وفي سنة ١٧٧٥ هجم الاجرام على العراق العربي فرددتهم الجنود
العثمانية على أعقابهم وفي نحو سنة ١٧٨٢ استولت روسيا على القريم
ثم اقتسمت بولونيا وحالفت النمسا فشهز السلطان الحرب (١٧٨٧)
عليها وعلى حليفها وكانت أول المواقع التي جرت موقعة اوزي البحرية
انتصر فيها الروس ثم تلتها موقعة جزيرة ييلان انتصر فيها اسطول العثمانيين
ثم موقعة بوغاز مهاديه ظهرت فيها جيوش الدولة على النمساويين .

وفي سنة ١٧٨٩ قام السلطان سليم الثالث واستأنف الحرب
فدارت الدائرة على أساطيله في موقعتين حربيتين وكذلك
دحرت جنوده مع كون النمسا صاحلت الدولة وخرجت من القتال
واستولت الروس على قلعة اسمعيل وعند ذلك توسطت انكلترا
وبروسيا وهولنده واكرهت روسيا على عقد مصالحة ياش وكان
من مقتضاها ان ترد للدولة العثمانية كل الاماكن التي فتحها ما
خلا اوزي وما بين نهري بوغ ودونياستر وان تستولي على القريم
وشبه جزيرة طمان وبلاد قوبان وبسارابيا وان يجعل الدنيابر حداً
فاصلا بين السلطنتين (١٧٩٢)

وتجارية في البحر الاسود وبحر آزوف وبأن ترد للدولة ما فتحته
من بلادها.

ثم تمتعت الدولة في عهد هذا السلطان المجيد بالراحة والسلام
مدة تسع سنين كانت ايامها مسعودة ودقائقها مباركة .

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان عثمان الثالث ١٧٥٤ - ١٧٥٧ ﴾

والسلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧ - ١٧٧٤)

تقضى عهد السلطان عثمان في سكينته وسلام وأما عهد السلطان
مصطفى فقد تقضى في محاربة الامبراطورة كاترينا صاحبة روسيا
ودارت دائرة اكثر المواقع في هذه الحرب على العثمانيين وافقدتهم
بلاد القريم حيناً لا نتقاض الاهالي عليهم ثم استردوها برضى من
الاهالي . وكان السلطان مصطفى ذا جد ودهاء وبسالة الا انه وجد
الدولة شديدة الضعف والخور والحاجة الى المال بعد حروبها الماضية
فلم يستطع فعل اكثر مما فعل .

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان عبد الحميد الاول ١٧٧٤ - ١٧٨٩ ﴾

بعد جلوس هذا السلطان على الاريكة العثمانية أرسل جيشاً
لاتمام محاربة روسيا فاصابه الفشل واشتد جزع الامة فعقد صلح

من مقتضاها ان تترك بلاد طمشوار وبلغراد وقسم من بلاد الصرب للنمسا وموره وجميع جزائر الارخبيل للعثمانيين وتبقى للبنادقة قلاعهم ببلاد الالبان .

وكانت قد وقعت فتنة في بلاد العجم لعهد الشاه حسين الصفوي فانقض عليه الايرانيون وأسروه وتنازع بعده الشاه واشرف الافغاني والشاه طهماسب الساساني سرير الدولة الايرانية فانفذ السلطان جيشاً قفح جانباً من بلاد ايران وفتح الروس جانباً آخر ثم انفرد طهماسب بملك ايران بعد وفاة منازعه فاسترد عنوة بعض الولايات التي فتحها الدولة العلية (١٧٣٠) وعلى أثر هذه الحادثة نار الانكشارية في الاستانة نخلعوا السلطان عن الملك وأجلسوا ابن أخيه

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان محمود الاول (١٧٢٠ - ١٧٥٤) ﴾

كان محباً للسلم ناشراً للمعارف. اتم حرب العجم بما أعاد الحدود القديمة بين الدولتين (١٧٣٦) ثم حارب روسيا والنمسا فانتهز على جيوشها وعقد معها معاهدة بلغراد (١٧٣٩) التي ردت للدولة العلية جهات اورسوه والافلاق النمسوية وقضت على امبراطورة روسيا بهدم قلعة آزوف وبعدم تسبير صراكب حربية

على جيوشها في أول الامر ثم دارت الدائرة عليه في موقعة زنتا كما دارت على عامله خان القريم الذي غلبه بطرس الاكبر وانتزع منه ثغر آزاق أو أزوف على البحر الاسود . وانتهت الحرب بين الدولة العلية والنمسا وروسيا وبولونيا والبنادقة بمعاهدة كارلوفتس (١٦٩٩) وبعد ذلك باربع سنين قامت فتنة أريد بها خلع السلطان فتنازل عن الملك لأخيه

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣ - ١٧٣٠) ﴾

شهر الحرب على الروس انتصاراً لكارلوس الثاني عشر ملك اسوج واحدق جيشه بجيش الروس ومالكهم بطرس الاكبر في موقعة بروت وكاد يأخذهم جميعاً أسرى لو لم يفرج عنهم الصدر الاعظم لرشوة أخذها ومع ذلك فقد عقد مع روسيا معاهدة ادرنه وانتزع منها بمقتضاها جميع ما كان لها من الاملاك على البحر الاسود (١٧١٣)

وبعد ذلك استرد السلطان شبه جزيرة الموره من البنادقة وفتح سائر ثغور كريد فنزلت الجزيرة كلها على حكمه ولما كان استرجاع الموره مناقض المعاهدة كارلوفتس استجار البنادقة بالنمسا ف وقعت حرب بينها وبين الدولة العلية انتهت بمعاهدة بساروفتس (١٧١٨) وكان

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان سليمان الثاني (١٦٨٨ - ١٦٩١) ﴾

اخذ الفتنة الداخلية على ضخامتها ثم استرد من النمساويين ما كانوا قد فتحوه في خلاها من بلاد نيش وودين وسمندر وبلغراد وقذفهم الى الضفة الاخرى من الطونة وهزم جيش النمسا من بلاد الاردل وانتصر عامله خان القريم على الروس الذين حاولوا فتح بلادهم.

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان احمد الثاني (١٦٩١ - ١٦٩٥) ﴾

استأنف محاربة النمسا فكان جيشه منتصراً تارة ومنكسراً طوراً ثم استعان بخان القريم فاعانه على طرد النمساويين من الاردل. وحاول البنادقة استرجاع كريد فطردوا منها مدحورين وغنمت الدولة منهم ثغر قرابوسه غير انهم استمجدوا باساطيل للبابا ولاهالي مالطه واحتلوا جزيرة ساقز.

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان مصطفى الثاني (١٦٩٥ - ١٧٠٣) ﴾

كان ذا عزم ماض وحزم في الامور. استرد جزيرة ساقز بعد نصره باهرة على البنادقة ثم قاد بنفسه الجنود لمحاربة النمسا فظهر

وفتح جهرين ثم صالحته روسيا على ان تبقى الحالة كما كانت قبل
المعاهدة (١٦٨١)

وفي سنة ١٦٨٣ استأنف السلطان محاربة النمسا اجابة للمتمس
أعيان المجر الذين كانوا ثائرين على تلك الدولة وفي مقدمتهم الكونت
توكلي وذلك لانها بعد حرب الثلاثين سنة ضمت بلادهم اليها
وانزلتهم على حكمها مرغمين واستبدت بهم استبداداً . فسارت
الجيش العثمانية تقصد النمسا وأعانها أمير الاردل والكونت توكلي
فتغلبت على النمساويين ثم تقدم الصدر الاعظم قره مصطفى باشا الى
ويانه وحاصرها (١٦٨٣) حتى كاد يفتحها غير ان ملك بولونيا يوحنا
سويسكي وجماعة من منتخي المانيا اتوا بجيوشهم لمدافة العثمانيين
عن أسوار تلك المدينة التي كانت مفتاح الغرب اجابة لاستصراخ
البابا فاجلوا الصدر الاعظم بعد ان كسروا جيشه وغنموا عدته ثم
تبعوا خطاه الى ان فتحوا قلعة استرغون . وفي سنة ١٦٨٦ عقد
تحالف سمي بالقدس بين النمسا والبندقية وبولونيا ورهينة مالطه
وروسيا والقوزاق وتوسكانه لمحاربة الدولة العثمانية فقاومت اعداءها
بما استطاعت ثم انجحت هذه الحرب عن فقد السلطنة لملكه
الاردل (١٩٨٨)

وفي سنة ١٦٨٨ كره السلطان البقاء في منصبه السامي فاعتزله
على اثر فتنة شديدة قامت بها الجيوش ويقال انه خلع .

في شؤون السلطنة فثارت بسبب ذلك فتن أنضت الى خاعة ثم قتله

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان محمد الرابع ١٦٤٩ - ١٦٨٧ ﴾

أتم هذا السلطان فتح جزيرة كريد بعد مواقع بحرية كثيرة اضطرتة الى تجديد اسطوله مراراً واكن البنادقة استبقوا منها لهم ثغور سودا وكرابوسه واسينالونقه (١٦٦٩) وحارب النمسا لتداخلها في أمر نصب ملك للاردل ففتح نوهنسل وانصر على جيوش جرارة لهذه الدولة وحلفائها من فرنسويين وغيرهم واستولى على نوينراد وبعد وقائع أخرى هائلة طابت النمسا الصلح (١٦٦٩) فاجيبت اليه . وبعد ذلك حارب السلطان ملك بولونيا انتصاراً لطائفة القوزاق المعروفة بصاري قامش التي دخلت في حماية الدولة ففتح ولاية بودوليا ثم قبل الصلح على ان يستبقى الولاية المذكورة ويحمل اليه ملك بولونيا الجزية ويعطي القوزاق المذكورين ولاية او قرين التي كانت سبب هذه الحرب . وفي سنة ١٦٨١ حاربت فرنسا قرصان ولايات الغرب فهددها السلطان بقطع العلائق وطرد الفرنسيين من مملكته فانكرت ما أناة رئيس أسطولها . ثم انقلب زعيم قبائل صاري قامش على الدولة واستسلم لروسيا ومنحها مدينة جهرين قاعدة بلاده فخاربه السلطان وحلفاءه من روس وتتار

النمسا فافسد الانكشارية عليه نتائج الحرب فاوعدهم فهاجوا وخلعوه
ثم قتل معتقلا وخلفه السلطان مصطفى .

وفي خلال هذه الفتن تمكن الاعجم من استرجاع الولايات
التي وقع النزاع طويلا عليها بينهم وبين الدولة ثم فتحوا بغداد (١٦٢٤)
ولما علم اباظه باشا والي ارضروم ما حل بالسلطان عثمان نهض مطالبا
بثاره وانضم اليه الالوف واتسع الحرق فتنازل السلطان مصطفى
(١٦٢٤) وبويع السلطان مراد الرابع

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان مراد الرابع (١٦١٠ - ١٦٤٠) ﴾

كان باسلا مقدا ما على حداثة سنة وقد قمع ثورة اباظه باشا
وأعاد له ولايته بعد ان خضع ثم حارب الاعجم وكسرهم وفتح
مدينة روان وبعد ذلك حاصر بغداد حصارا طويلا ففتحها وفتح
ثورات كثيرة حدثت في عهده التصير وصالح الاعجم فرد لهم روان
واستبقى بغداد وتوفاه الله شابا وكان من اعظم السلاطين

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان ابرهيم (١٦٤٠ - ١٦٤٨) ﴾

أهم ماجرى في عهده فتح بعض المواني بجزيرة كريد (١٦٤٥)
وظهور أساطيله على أساطيل البنادقه . وكان كلفا بالنساء فتداخلن

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان أحمد الاول ١٦٠٣ - ١٦١٧ ﴾

هو واضع القانون الاول لوراثة السلطنة تولى حديث السن وكان باسلا نجيباً وقد أتم حرب النمسا اذ فتح قلعة استرغون التي كان الاعداء قد استردوها ثم نزلت امارات الاردل والافلاق وبغدان على حكمه دفعا للزيد من الدمار الذي لحق بها فقاحتها النمسا في عقد الصلح قم في قرية سينافوروك (١٦٠٦) واستزادت به الدولة بلادا .

ثم أرسل السلطان جيشاً لمحاربة العجم فدارت الدائرة عليه فعقد صلح بين الفريقين على ان ترد الدولة العلية للشاه عباس ثلاث ولايات وتأخذ منه جزية سنوية (١٦١٧) ثم نقض الشاه ما تمهد به فاستؤنفت الحرب وقام بها السلطان عثمان الثاني وهو خلف السلطان مصطفى الاول الذي لم يدم له الامر الا ثلاثة أشهر وبضعة أيام

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان عثمان الثاني (١٦١٨ - ١٦٢٢) ﴾

حارب الاعجام فدحرهم في أول مرة واسترد منهم الولايات التي كانوا قد انتزعوها من الدولة ثم أعان ملك الاردل على محاربة

السلطان ان يشغل الانكشارية بمحاربة النمسا ليعاقبها على أخذها
بنصرة الاقوام التي انتقضت عليها .

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان محمد الثالث (١٥٩٥ - ١٦٠٣) ﴾

بعد جلوسه على السرير تقدم ميخائيل أمير الافلاق وفتح
قلعتي بخارست (بكرش) وترغوشته ثم هزم أحد جيوشه جيشاً
للعثمانيين وقد خرج عليه من مكن واستولى النمسيون على قلعة
استرغون فعظمت هذه الخطوب على السلطان فخرج بنفسه الى دار
الحرب فوقعت موقعة هائلة بين جنوده وبين جنود ملك النمسا
وملك الاردل في مكان يدعى كرسنس ولما كادت تدور الدائرة على
العثمانيين ويؤخذ السلطان أمكنهم الاعداء من انفسهم بهورهم في
اللاحاق بهم فانضمت أشتات الجنود العثمانية وانقلت من الادبار الى
الاقبال وكانت قد حصرتهم بينها فاعمت فيهم السيف والنار حتى
أوشكت ان تيدهم (١٥٩٦) . وفي سنة ١٦٠٠ فتح العثمانيون قلعة
كانيشا الحصينة بالنمسا ونكأوا بجنود أمير الافلاق تنكيلا وفي
سنة ١٦٠٤ نقض الشاه عباس عهده مع الدولة العلية واسترد الولايات
التي اعترف لها بها وفي خلال ذلك توفي السلطان

والحسين من عمره وكان باسلا صالحا وكان أفضل رجاله الصدر
الاعظم صوقلي باشا صاحب اليد البيضاء في حل ما تعقد من أمور
الدولة ورفع منارها بين الدول العظمى

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥) ﴾

هو ابن السلطان سليم الثاني . بعد توليه بسنتين أمر عامله على
الجزائر باعانة أمير فاس على عمه الثائر عليه والبرتغاليين الذين أتوا
لنصرة عمه فظهر عليهم في موقعة وادي السبيل وانتهى صاحب
مراكش الى الدولة العلية اعترافا بفضلها . وفي سنة ١٥٧٥ انتخب
ايمان باتوري أمير ترنسلفانيا ملكا على بولونيا فاصبحت هذه الدولة
تحت ظل السطانة العثمانية .

وفي سنة ١٥٧٩ وقعت فتنة في بلاد العجم فارسل السلطان اليها
جيشا ليفتحها وقامت الحرب على ساق وقدم ثم انجحت عن معاهدة
ترك بمقتضاها الشاه عباس للدولة العلية اذربيجان وشروان
ولورستان وتبريز (١٥٨٠)

وحدث ان قام جيش الانكشارية بفتنة فشق ملك بولونيا
عصا الطاعة على الدولة وحارب المجر والافلاق جيوشها وردد امير
الافلاق الى ماوراء الطونه واستولى على مدينة نيكوبولي فرأى

لفرنسا وقبل باضافة مواد ذات شأن اليها . وفي سنة ١٥٧٠ فتح جزيرة قبرس باسطول كان متقدمه علي باشا مؤذن . وفيها أيضاً وقعت موقعة ميناء لينتو الذي يسميه الاتراك اينه بنختي وكانت فيها اساطيل اسبانيا والبااوصقاية والبندقية و نابولي ومالطه وفرنسا بقيادة دون جوان الاسباني فلقبها الاسطول العثماني وأبلى بلاء حسناً غير أنه دارت عليه الدائرة لسؤ تدبير رئيسه فكان عدد الذين قتلوا من العثمانيين عشرين الفاً بين جنود وضباط ومن الاعداء ثمانية الآف .

ولما كان هذا الانكسار اول ما أصاب الدولة العلية في البحر كبر عليها فوسعت دار الصناعة بالاستانة وابتنت اسطولا ضخما في وقت وجيز وبذلك تسنى لها في سنة ان تبت مراكبها الجديدة في البحر المتوسط وتستعيد نافارين من البنادقة . وفي سنة ١٥٧٣ غزت سواحل ايطاليا ودمرت كثيراً من حصون بلاد البنادقة فصالحوا الدولة على الجزية يؤدونها وغرامة حربية جسيمة نقدوها اياها على أثر أمضاء المعاهدة .

وفي سنة ١٥٧٤ عصى حاكم البغدان فحورب وضرب عنقه وفيها رأى السلطان تمردا من أصحاب تونس لتعويلهم على الاسبانيول فارسلا الاسطول لفتح بلادهم فدخلت في سلك الولايات العثمانية دخول الجزائر وطرابلس الغرب . وتوفي هذا السلطان في الثانية

السلطان سليم يدعوهُ الى سكندوار وكان يومئذ على امارة كوتاهيه فلما وصله الخبر قدم مسرعاً الى دار الخلافة على حين غفلة من أعمالها وجلس على سرير الملك وبعد ان تمت له البيعة واطمان الناس قصد سكندوار

وكان سليمان سلطاناً رفيع القدر حازماً موصوفاً بالحكمة والاقدام سنّ قوانين جديدة نظم بها السلطنة فقوى شأنها وسياستها فلهدا لقب بالقانوني وقسم الدولة الى ايالات جعل في كل ايالة منها فرقة من الجنود للمحافظة عليها وضبط العسكرية ووضع منوالاً جديداً ليراد الدولة وخرجها فتحسنت أحوالها حتى بلغت درجة لم تنلها وكان محباً للعمارة والمباني جدد المساجد وشيد المدارس والقلاع . وكان بالاجماع اجلّ سلاطين آل عثمان .

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان سليم الثاني ١٥٦٦ - ١٥٧٤ ﴾

قام بالامر بعد ابيه السلطان سليمان وفي سنة ١٥٦٧ عقد معاهدة مع النمسا ضدونها استمرار هذه الدولة على تأدية الجزية واعترافها أمراء ترنسلفانيا والافلاق للدولة العلية بالسيادة وبقاء الروابط القديمة على حالها . وفي السنة المذكورة أخضع السلطان بلاد اليمن واخرج منها البرتغال وفي سنة ١٥٦٩ جدد معاهدة الامتيازات القنصلية

وفي سنة ١٥٥٤ استنجد فرانسيس ثالثة بالسلطان فامده
 باسطول أخذ جملة قلاع من يد الاسبانيول وسلمها للفرنساوين منها
 مسيتي وريوثم حاصر قلعة فالبه من ايطاليا وفي أثناء الحصار حدث
 بين العساكر الفرنسية والعساكر العثمانية اختلاف فعاد الاسطول
 العثماني الى الاستانة (١٥٥٦)

وفي سنة ١٥٦٠ اجرت الاساطيل العثمانية لمقاتلة اساطيل
 الدول التي اتحدت عليها وجاءت الى جزيرة جربة لفتح طرابلس
 الغرب ففازت عليها فوزاً عظيماً وأسرت وغنمت كثيراً.

وفي شتاء سنة ١٥٦٥ أرسلت الاساطيل العثمانية لفتح مالطه
 فاخفقت سعيًا. وكان مكسيميليان الثاني ملك المانيا قد خلف
 فردينند الاول على تخت امبراطورية المغرب فضم بلاد المغرب
 الى الامبراطورية كايه وعند ذلك استنجد استفان زابولي بالدولة
 العثمانية فإرساله السلطان ثمانين الف مقاتل فاستولوا على قلعة
 سكندوار بعد حصارها وكانت من أمنع الحصون وفي تلك المدة
 كان قد أعتري السلطان الضعف والهزال لتقدمه في السن حتى أنه
 أوصى بالسلطنة من بعده لابنه سليم وكانت وفاته بداء النقرس وله
 من العمر ٧٦ سنة فاخفى الوزير الاعظم وفاته اسفاقاً على الجيوش
 ان يفشلوا وأمر رئيس الاطباء بتخنيط جثته وبعد تمام الفتح اخذت
 العساكر في ترويم القاعة وأصلاحها وبعث الوزير المذكور الى

وقبل هذه الوقائع بنحو خمس سنين كان طهها سب أخو شاه العجم قد استجار بالسلطان على أخيه وكان السلطان يتمنى مسوغاً لقتال العجم فجهز الجيش وخرج قاصداً تلك البلاد وما زال سائراً منصوراً حتى وصل الى مدينة تبريز وعند عودته استرد مدينة وان التي كان الاعجام قد استولوا عليها ولما كان اهل الكرج يظهرون الخصومة للدولة العثمانية أخضع بلادهم وأدخاها ضمن الاملاك العثمانية وبعد خروج العثمانيين من بلاد العجم تقدم ملكهم بشن الغارة على جهات موش وعاد لجواز وأخلاق وغيرها فجرد السلطان لذلك جيشاً كثيراً وافتتح عدة مدائن وحصون ونهبت جنوده وخربت كل ما صادفته من قصور الملك ومنزلاته بالبلاد التي استولت عليها ثم فتح مدينة تبريز ونهبها بعد ان قتل عدداً وافراً من العجم ثم أغار على مدينة مراغة فأحرق وقتل وانتصر بجوارها على جيوش العجم انتصاراً مبيناً فطلب الشاه الصلح فأجابه السلطان الى ذلك وعقد مع العجم مشاركة أباح فيها للعجم الحج لبيت الله الحرام ومزاولة مذهبهم بلا تعرض وكانت هذه أول معاهدة عقدت بين الدولة والعجم وفي سنة ١٥٥٣ استنجد فرئيس الاول ثانية بالسلطان فارس الى اسطولا فخارب الاسطولان الاسبانيول وانتصرا على كثير من سفنهم بحا عدة قلاع ومدن ساحلية أضيفت الى أملاك فرنسا

بعد ان تحاربا مراراً وكانت الاساطيل البرتغالية تسلطت على ثغور
 بكرات واستولت على فرضة ديو وما جاورها من البلاد ومات في
 الحرب بهادر شاه وخلفه الملك محمود في مملكة هادن البرتغاليين
 فأخرج سليمان الخادم الجيوش الى البر بعد ان اتحد مع الملك محمود
 وأخذ يقاتل البرتغاليين حتى استولى منهم على قلعتي كوله وكات وقتل
 منهم اكثر من الف محارب ثم شرع يحاصر فرضة ديو براً وبحراً
 وتمكن بعد زمن من الاستيلاء على قلاعها الامامية الا ان مقاومة محافظها
 البرتغالي المدعو انطوان وما أظهر من البسالة والاقدام في المدافعة
 عن القلاع الداخلية اراه ان الاستيلاء عليها لا يمكن بسهولة لاسيما
 وأنه لما رأى ان ذخيرة العساكر قاربت الفراغ طلب من الملك محمود
 امداده بالذخيرة فلم يلتفت اليه فعاد الى السويس وبعد عودة
 الاساطيل والجيوش الى عدن حضر أمير بلاد الشحر وقدم
 خضوعه للسلطنة فدخلت تلك الجهات ضمن الاملاك العثمانية
 وأخضع سليمان الخادم سواحل اليمن

وفي سنة ١٥٥١ انتقض المدنيون على الحاكم العثماني وساعدهم
 البرتغال بجاءت الاساطيل العثمانية المصرية وحاربت البرتغال في مياه
 هرمز فتغلبت على اساطيلهم التي كانت تفوقها عدداً واسكن الزوابع
 ثارت بشدة فاضطرت العثمانيين للرجوع الى مصر بعد ان اضعفت
 شوكة البرتغال في تلك الجهات

بواسطة السفن التجارية العثمانية وغيرها من سفن الدول المتحابة
كانت أعمال البرتغاليين التي ذكرناها سبباً لتعطيل المنافع والتجارة
العثمانية فأصدر السلطان الاوامر المشددة الى وزيره سليمان باشا الخادم
والي مصر بتجهيز الاساطيل اللازمة في البحر الاحمر لارسال حملة
لمحاربة البرتغال بمجتمعات الهند وتأمين طرق التجارة وأرسل لذلك
من الاستانة سليمان رئيس وكان أشهر رجال عصره معرفة بالملاحة
والبحرية لمساعدة سليمان باشا في هذه المأمورية فتمكن الاثنان بما
بذلاه من النشاط من تجهيز وتشيد حملة ستمائة سفينة في فرضة
السويس (١٥٣٧)

وفي خلال ذلك قام همايون شاه ملك الهند يقصد محمولوك
الطوائف الذين بأطراف بلاده ولما هدد بهادر شاه ملك كجرات
أرسل هذا بنيراً الى السلطان سليمان يطالب بنجدة فكانت هذه
المسئلة وسيلة أخرى أقنع أسطول من السويس مؤلف من ثمانين
سفينة فيه عشرون الف جندي ولما وصلت هذه السفن الى عدن
استدعى سليمان باشا أميرها المدعو عامر بن داود فقبض عليه ووصله
بعد ان كان وعده بالامان وبذلك استولى على امارة عدن بالاحرب
وأبقى فيها بعض الجنود ونصب عليها بهرام بك أحد أمراء الجنود
العثمانية محافظاً ثم أقنع منها قاصداً سواحل الهند فوصلها بعد أيام
ولما أرسى على ساحل كجرات بلغه أن بهادر شاه صالح خصمه

يدفعوا ثمانمائة الف بندي فقبل السلطان منهم ذلك وأمضيت الشروط المذكورة .

وقبل وفاة جان زابولي ملك المجر كان قد جعل ولده ستيفان ولي عهده الا أن فردينند ملك بوهميا طاب من الماكة ايزابيله تسليم المملكة اليه حسب المعاهدة التي اتفق عليها مع زوجها فلم تقبل وأرسلت رسولا إلى السلطان سليمان تلتبس منه المساعدة والامداد فأرسل لها جيشاً فدخل الجيش بودين وضم السلطان دولة المجر للملك العثمانية واقطع ستفان ووالدته أقليما من بلاد الاردل

وفي سنة ١٥٤٣ استعان فرنسيس الاول ملك فرنسا بالسلطة العثمانية على شراكات فأرسل له السلطان دونما مشكاة من مائة سفينة حربية تحت قيادة خير الدين باشا لمساعدة العمارة الفرنسية التي كانت تحت قيادة دوق انجيان وكانت مركبة من أربعين سفينة حربية في محاربات نيس وسواحل اسبانيا فتجرت جملة حضون وبينما كانت الدولة العثمانية مشغلة بالمحاربات البحرية والبرية المستمرة مع البنادقة واسبانيا والدول المتفقة معها في البحر الابيض المتوسط كان البرتغاليون يمدون فتوحاتهم بسواحل الهند ذاهبين اليها من طريق رأس رجاء الخير بجنوبي افريقية وبعد ان كانت التجارة الهندية والصينية تنقل من هاته البلاد الى ثغر السويس ومنه الى الاسكندرية ومنها الى أوروبا في البحر المتوسط الابيض

تغلب عليها وفي اليوم التالي صباحا دارت الدونما العثمانية خلف جزيرة أياما ورو و قابلت سفن العدو ثمانية بمينا اينجر فهاجمتها وكسرتها و ابدى خير الدين باشا من المهارة في حرب البحر مالا يزال عجباً للمؤرخين

ولما ارتدت باقي الاساطيل المتحدة بالخفية أراد قوادها أن لا يرجعوا الى بلادهم الا باكتساب نصر يحط عنهم بعض مالصق بهم من ادران العار فخرجوا على قلعة نوه في ساحل ولاية هرسك وحاصروها براً وبحراً فسلمت عنوة ثم استردها العثمانيون

وفي سنة ١٥٤١ اتفقت حكومتا ايتاليا واسبانيا بايعاز شارل الخامس وأرساتا دونما مركبة من مائة سفينة حربية ونحو مائة سفينة نقلية وجيشاً برياً كبيراً لفتح بلاد الجزائر في شمال افريقية فلقى الجيش المذكور مقاومة عظيمة من باي الجزائر وثار على العمارة المذكورة زوينة عظيمة تلاعبت أمواجهاً براكبها حتى أغرقت منها نيماً على ١٥٠ سفينة و القت بعضها على البر . ولما وصل خبر قدوم خير الدين باشا بالدونما العثمانية الى الجزائر هرب العدو ولما كانت انتصارات العثمانيين قد أضرت كثيراً بالبنادقة وحطت من شأنهم وعطلت متاجرهم أرسلوا الى الاستانه سفراء لطلب الصلح تحت شروط منها أن يتركوا جميع الجزائر التي استولت عليها الدولة ونيكشة وناپولى والبلاد التي لهم في مورة ودالماسيا وان

الاثناء حضرت عمارة عثمانية أخرى مركبة من تسعين سفينة
 و حضرت أيضاً أساطيل أخرى مركبة من عشرين سفينة
 فصارت العمارة السلطانية بذلك قوية جداً ثم خرج خير الدين من
 اشكتوز ولما قرب من جزيرة اشكوبولوزا التحق بأساطيله نحو
 السبعين من زوارق قرصان الارخبيل ثم التي مراسيه بشفر الجزيرة
 المذكورة فقدمت أهاليها الطاعة وأستأمنوا فأمهم وضرب عليهم
 جزية سنوية وأقر عليهم حكاهم الذين اتخبوهم ثم أبقى هنالك بعض
 السفن الف منها أسطولاً مخصوصاً للحفاظة على جزائر الارخبيل
 ثم أقطع وفتح جزائر انديرة واستنديل وميقونوز وشيره و طرد
 منها البنادقة وضمها الى التبعية العثمانية ثم قصد جزيرة كريد الا انه
 لما رأى متانة مدن خايه ورسومه وقنديه وعلم ان فتحها يقتضي زمناً
 طويلاً اكتفى بشن الغارة عليها

وفي غرة جمادى الاولى من سنة ٩٤٥ هـ (١٥٣٨ م) اقبلت
 اساطيل الاعداء تحت قيادة اندريا دوريا تجاه پردهوزه و اقلت
 مراسيها على أربعة أميال من عمارة العثمانيين وكانت مركبة من ٥٢
 سفينة للامبراطور شارالكان و ٧٠ سفينة للبنادقة و ٣٠ سفينة للبابا
 و ١٠ سفن لقرصان مالطه و ٨٠ سفينة لاسبانيا وبعض سفن أخرى
 للحكومات الأخرى البحرية أما الدونما العثمانية فكانت مركبة
 من ١٤٠ سفينة ما بين صغيرة وكبيرة فقط. لكن خير الدين باشا

عليه عمارات الدول المتحدة المذكورة ولما دارت رحى الحرب بين الفريقين لم ينظر العثمانيون لقاتهم بل نظروا لشأنهم ومع ذلك تحطمت أكثر سفنهم وقتل منهم عدد عظيم وكانت خسائر المتحدين عظيمة أيضاً وجرح قائدهم اندريادوريا ولما بلغ هذا الخبر السلطان أمر في الحال باعلان الحرب على تلك الدول

وبعد أن استعدت الدولة خرج خير الدين باشا بالعمارة العثمانية وكانت تؤلف من ٤٠ سفينة قاصداً مياه الارخبيل للانتقام من البنادقة الذين اعتدوا على الاسطول الآف ذكره وقد تمكن من الاستيلاء على عدة جزائر ثم رتب ادارة تلك الجزائر ونصب عليها حكاماً من أهلها وخصص على كل جزيرة قدراً من المال تدفعه سنوياً وعاد الى استانبول لتمضية فصل الشتاء بمينائها

ولما أتى فصل الربيع خرج بما معه من السفن المستعدة وصدرت أوامر السلطان بأن يضاف الى عمارته أربعون سفينة أخرى لتقويتها وان يجعل فيها العدد الكافي من أمراء البحر المجريين الماهرين وان يجعل فيها ثلاثة الاف من اليكجورية وأقلعت الى بحر سفيد (١٥٣٨) ولما وصلت الى جزائر اشكتوز تلاقت مع سفن قرصان الاعداء وشتمت شملهم بعد ان أسرت منهم ٣٨٠٠ أسير ضمتهم الى عملة السفن العثمانية وفي تلك

فقدم خير الدين باشا تونس ثم سار بالاساطيل الى سواحل الجزائر
ثم عاد الى الاستانة (١٥٣٦) بعد ان ترك بمدينة بجاية فرقة
من أساطيله مؤلفة من خمس عشرة سفينة . وبلغ ظابط هذه
الفرقة وصول شارل الخامس باساطيله واساطيل من اتحد معه
من دول اوروبا الى تونس فأغرق تلك السفائن بمصب نهر أدوس
الواقع بجوار بجاية بناء على ما أوصاه به خير الدين باشا وشيد عند
مصب النهر المذكور استحکامات قوية وبعد عودة خير الدين باشا
أخرج تلك السفائن وضم اليها ما كان موجوداً منها بمدينة الجزائر
وغيرها من سفن قرصان الجزائر وبذلك صار لديه دونما مؤلفة
من ٣٢ سفينة ثم ألق بها حتى وصل الى جزيرة مينورقة وقبض
في ثغورها على خمس سفائن كانت آتية من حرب تونس ثم أخرج
جنوده الى تلك الجزيرة ففتحت وغنمت ثم عاد الى الاستانة وجهر
له السلطان عمارة مركبة من ٢٨٠ سفينة وجعل ما بها من الجنود
تحت قيادة سردار لطفي باشا وقصدت الوية من ثغور البانيا ثم
سافر السلطان براجيوش أخرى والتقى مع الاساطيل بالوية وهناك
أمر بشن الغارات في فرقة من الاساطيل على سواحل وثور ايطاليا
وكانت حكومتا اسبانيا واطاليا قد جمعتا عمارتهما الجسيمة وسيرتاها
الى جزيرة كورفو تحت قيادة الاميرال الشهير اندربا دوريا فالتقت
هذه الاساطيل الاسطول العثماني الذي كان ذاهباً الى الوية فحملت

العلية فأبت فتقدم فردينند وحاصر قلعة بودين ثانيا فامر السلطان بالاستعدادات الحربية ثم أرسل جيشاً مركباً من ٢٠٠ ألف مقاتل لمحاربة المجر وأرسل أسطولاً ضمهما ثم سافر السلطان حتى وصل بلاد النمسا ظفراً فطلبت النمسا الصلح فاجيب طلبها ثم عاد السلطان بالغنائم والاسرى

وفي عصر هذا السلطان الشهير كان ظهور عائلة بارباروس بسواحل الجزائر وتونس وطرابلس الغرب وكان وجودها واسطة أخرى لاعلاء اسم البحرية العثمانية واشتهار شأنها

وفي خلال سنة ١٥٣٤ توسل أهالي تونس بالسلطان سليمان القانوني ليخلصهم من مظالم ماواك بنى حفص أصحاب تونس في ذلك الوقت فأصدر أمره لخير الدين باشا باربروس بالتوجه بالعمارة الى تلك الديار وكانت الحكومة الاسبانية قد انتهزت فرصة اشتغال السلطان بحرب العجم وأرسلت عمارتها مع جيش عظيم يبلغ عشرين ألف مقاتل (١٥٣٥) لتعزيد المولى حسن الذي كان قد التجأ اليها طالباً مساعده تهارجوه حاكماً على بلاد تونس كما كان وقد تمكنت الحكومة الاسبانية من اعادته الى سلطنته واستولت على قلعة حلق الوادي بعد حروب طويلة كان امبراطور اسبانيا شارل الخامس يقود التجريدة فيها بنفسه ثم عادت عمارة الاسبانية بعد ان تركت قوة من الجند في قلعة حلق الوادي .

ولما وصلت الجنود العثمانية ومعها السلطان الغازي الى صحراء
 مهاج قابها جان زابولي ومن معه من فرسان المجر الذين انضموا
 اليه وساروا تحت رايته ثم تقدم السلطان وضرب الحصار على بودين
 فسلمت عساكر أوستريا بشرط حفظ ارواحهم الا انه وقت
 خروجهم من المدينة تطاول بعضهم على بعض الجنود العثمانية
 فاتخذ العثمانيون ذلك نقضاً للعهد المعطى وانقضوا عليهم فقتلوه عن
 آخرهم ثم اجلس السلطان جان زابولي على تخت المجر بالقوة
 واشترط عليه دفع جزية سنوية مقررة وصارت بذلك بلاد المجر
 من أملاك الدولة وأبقى السلطان ٣٠٠٠ جندي للحفاضة على
 تلك المدينة

ولم يكتف السلطان باسترداد بودين وأعاد جان زابولي على
 نختها بل تقدم لمحاصرة مدينة ويانة فلما بلغها لم يكن بتلك المدينة
 للنمساويين سوى ٢٠ الف جندي معهم ٧٢ مدفعاً أما جيش العثمانيين
 فكان يتألف من ١٢٠ الف مقاتل معهم ٤٠٠ مدفعاً ثم حصل بين العثمانيين
 والنمساويين نحو عشر وقائع كان النصر فيها جميعاً للعثمانيين ولما
 رأى السلطان ان العدو كف عن القتال وان فصل الشتاء قد أقبل
 وانه لم يجلب معه مدافع الحصار العظيمة عاد الى استانبول وصالح
 دولة النمسا على ان تمتنع عن التداخل في أحوال المجر (١٤٣٠)
 وفي السنة التالية جاء مندوبون من قبل النمسا لمحالة الدولة

ملك المجر على حدود الدولة بالروملي فلما عاد السلطان وبلغه هذا الخبر
عزم على محاربة المجر فأرسل جيشاً مركباً من ٣٠٠ ألف مقاتل
تحت قيادة الصدر الأعظم إبراهيم باشا (٥٩٢٢ - ١٥٢٦ م) وأسطولا
مركباً من ٨٠٠ سفينة بالذخائر والعدد الى نهر الطونة ثم خرج
السلطان بنفسه حتى وصل الى جهة سرم بعد ان عبر نهر صاوه على
جسر ودخل الصدر بجيشه بلاد المجر فقابل جيشاً مؤلفاً من ١٥٠
الف مقاتل يقوده لويس الثاني ملك المجر بنفسه في صحراء مهاج
وانتشب بينهما القتال وفي أثناءه وصل السلطان الغازي مع جموعه
فأخذ قيادة الجيش بنفسه فانهزم المجريون مع من انضم اليهم من
جيوش الكرواسيين مساعديهم وبعد قليل استولى السلطان على مدينة
بودين (بوده) تحت مملكة المجر وبلاد أخرى بلا حرب .

ولما مات لويس الثاني نصب السلطان على مملكة المجر ملكاً آخر
يدعى جان زابولي الا أن فردينند ملك النمسا لما كان يرى ان
مملكة المجر تؤل اليه بحق الوراثة ولا سيما وان أخاه شارل كان
امبراطور المانيا كان المتفرد بالنفوذ في ذلك العصر لدى ممالك اوروبأبي
المجر قبول جان زابولي المذكور ودعو فردينند ملك النمسا ليكون
ملكاً عليهم فاستعد فردينند عند ذلك ثم سار يقود جيشاً عظيماً واستولى
على مدينة بودين ففر جان زابولي وطالب مساعدة السلطان وحمائمه
فأمر في الحال بسوق العساكر على مملكة أوستريا وجهز جيشاً عظيماً

السلطان بجيش جرار من مدينة ادرنة وغزا بلاد كرواسيا
 أو الحزوات وسار حتى التي بنفسه الحصار على باغراد وبعد أن
 حاصرها نحو شهرين ونصف شهر وخرب أسوارها بالانغام استولى
 عليها عنوة (١٥٢١) وقد كانت هذه المدينة أقوى حصن
 للمجر مانع لتقدم العثمانيين الى ما وراء نهر الدانوب وقد ألحقت
 بسنجقية سمندرة وصارت فيما بعد تابعة لولاية بوسنة ثم عاد السلطان
 الى دار الخلافة غانماظافرا. وفي السنة التالية أمضيت بين الدولة العثمانية
 وجمهورية البنادة معاهدة تجارية تؤيد المعاهدات السابقة على يد
 سفيرها المدعو مار كومون وزيد عليها أن قنصل الجمهورية أي وكيلها
 باستانبول يغير كل ثلاث سنوات وأن يكون له الحق في نظر أمر
 تركت رعيته وأن يرسل من طرفه ترجمانا لحضور المرافعة التي تقام
 ضد رعايا حكومته أمام المحاكم العثمانية وأن يكون المبالغ الذي
 تدفعه الى الدولة نظير احتلالها جزيرتي قبرس وزنطة عشرة آلاف
 دوكا عن الاولى وخمسمائة عن الثانية ولهذا المعاهدة أهمية عظيمة
 لانها أس الامتيازات الاجنبية ببلاد الدولة العثمانية وفي السنة المذكورة
 عزم السلطان على فتح رودس فقاومه فرسانها المشاهير بالبسالة
 أشد المقاومة ثم ساموا على أن يبرحوا الجزيرة بأسلحتهم واموالهم
 (١٥٢٢ م) وانتقلوا الى جزيرة مالطه

ولما كان السلطان مشتغلا بفتح رودس اعتدى لويس الثاني

وقد ترك السلطان في مصر والياً يتولى الاحكام وثلاثة وجات
متناظرة يؤلف من كبراء ضباطها وموظفيها ديوان للوالي . وكان
يود بعد ذلك الاجهاز على الصفويين فصرف وزرائه نظره عنهم
وفي سنة ١٥٢٠ ادركه أجله وهو ذاهب لفتح أدرنه .

﴿ فصل ﴾

﴿ في السلطان سليمان القانوني ١٥٢٠ - ١٥٦٦ ﴾

أول ما شرع فيه هذا السلطان الحكيم سنّ القوانين ووضع
النظامات الكافلة تمكين بنيان الدولة وتقوية اساطيل البحر
الاسود والبحر الابيض المتوسط واصلاح شؤون الجيوش
البرية

ولما علم والي الشام جانبرد الغزالي بموت السلطان سليم ظن أن ذلك
فرصة مناسبة لتحقيق أمانة فأثار فتنة واستولى على قلعة دمشق وغيرها
فعين السلطان الوزير فرهاد باشا بجيش وحاربه حتى تمكن من
ردعه ثم قبض عليه وقتله ثم أمر السلطان فرهاد باشا بالذهاب الى
الحدود الشرقية لمقابلة جيوش الشاه اسمعيل وصدّهم عن شن الغارات
وفي تلك الاثناء أرسل السلطان مأموراً مخصوصاً لمقابلة ملك
المجر لتسوية بعض المسائل الموقوفة بين المملكتين ولاخباره
بارتقاء السلطان على كرسي السلطنة فقتله ملك المجر فخرج

الملك الاشرف قانصوه الغوري فسأل السلطان ان ترضية بان تستمر
الخطبة باسم قانصوه في تلك البلاد فرد عليه بارسال رأس علاء الدين
ذي القدرية اليه فاخذ الاشرف يمشد الجيوش ايحارب السلطان
سليماً واستعان بالشاه اسمعيل فامده بالمال والعدد والرجال . أما
السلطان سليم فارسل اسطولا ضخماً الى الاسكندرية وسار بجيش
كبير براً قاصداً بلاد الشام فالتقى جيشه بجيش قانصوه في صحراء
حلب فدحره ودخل السلطان حلب منصوراً ثم سار منها الى دمشق
قالقدس فغزه ثم كاتب طومان بك بالتسليم فابي فلقى جنوده في
الخانقاه بمكان يدعى الريدانية وهزمهم شرهزيمة وتبعهم الى مصر
العتيقة ثم استأسر طومان بك وأمر بصابه وانقضت بموته دولة
الجزا كسة أو المماليك البرجية بعد ان ملكوا مصر قرناً
وعشرات من السنين

وفي خلال اقامة السلطان سليم في مصر جاء ابن ابي البركات
شريف مكة المكرمة وقدم له بيده مفاتيح الحرمين طامعاً مختاراً
وصارت الخطبة تتلى في المساجد أيام الجمع باسم السلطان بعنوان
خادم الحرمين الشريفين وكذلك قدم له الطاعة باربروس خير الدين
رئيس بلاد البربر . ولما عاد السلطان الى النسطنطينية استصحب
آخر الخلفاء العباسيين بمصر وهو المتوكل على الله فتمنازل له عن
الخلافة الاسلامية فانضمت من ذلك الحين الى السلطنة العثمانية

هو السلطان احمد . ذلك لانه اكبر سناً ولان والده اتخبه قبل تنازله عن السلطنة بموافقة كبراء الدولة . فلما خشي السلطان سليم ان يستحل امره عمد الى الحيلة فقتل جميع اخوته واقاربه الذين اذن لهم بالاقامة في بروسه فخاف احمد ولجأ الى مرحمة أخيه فلم يبق عليه وغدر به . وكان لاحمد ولدان أحدهما الامير مراد فرّ الى بلاد العجم الى الشاه اسمعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية . والثاني الامير علاء الدين فزع الى الملك الاشراف قانصوه الغوري ملك مصر فحمياهما . وكان الشاه اسمعيل الصفوي يث الثن في داخل الدولة وعلى أطرافها خصوصاً فسار اليه السلطان سليم (٩٢٠ هـ) في ١٤٠ الف مقاتل ولما وصل طراخان تمّ الجنود بالعصيان فخرج اليهم وقال يرجع من شاء وانا اتقدم وحدي فانقادوا وبعد ذلك تلاقى الجيشان في صحراء جالديران فتغلب الثمانيون وقتل من الثريقين كثيرين وافل نجم الشاه اسمعيل وتقدم السلطان سليم الى تبريز فدخلها ظافراً ثم عاد الى الاستانة العلية ومعه غنائم لا تقوم باثمان وعلى أثر عودته استفتح بلاد مرعش وقتل أمراءها أبناء ذي القدرية وضمها الى الدولة ومن سنة ٩٢١ الى سنة ٩٢٣ هـ أخضع بلاد كردستان وانتصر على جيش الاكراد والجنود التي أمدهم بها الشاه اسمعيل وفي العودة استولى فريق من رجاله على خربوط وفريق آخر على ديار بكر .

ولما ضمّ السلطان سليم بلاد ذي القدرية ساء موقع ذلك من

اليه أمير بلاد ذي القدرية وحراربا الجيوش العثمانية وأشدت الخطب
حتى كاد يكون فتنة بين الامتين الزكية والعربية فتوسط في الصلح
حاكم تونس المولى عثمان الحفصي حتى وفق بين الفريقين
وفي سنة ١٤٨٨ جهز السلطان أسطولا لاناواة البنادقة وكانوا
قد أغاروا على بعض المواني العثمانية في خلال الحوادث المار ذكرها
فانتصر العثمانيون عليهم وفتحوا ميناء لينتس ثم قلعتي مدون
وكورون ثم كسروا أسطولا للبنادقة والأسبانيين فعمدوا مع الدولة
صلحا وقد اغزى السلطان بايزيد الانكشارية بوسنه وكرواسيا
ومولدا فيا المعروفة ببلاد البغدان على الضفة اليسرى من الطونه
بجانب صقع الافلاك . غير ان هذه الحروب الصغيرة لم تكف
الانكشارية فازالوا بالسلطان حتى خلعه وولوا سليما رابع ابناؤه
لما كانوا يرونه عنده من الحماسة والبسالة وذهب السلطان المخلوع
الى ديمتوفه ليقتضي فيها بقية أيامه فبعث اليه ابنه من أماته مسموما
الى (١٥١٢) والسلطان بايزيد الثاني أول من وزع الهبات على
الانكشارية ووضبتهم عند توليه الملك فأحدث بذلك عادة ساءت
. فبعتها على خلفه .

﴿ فصل ﴾

(في السلطان سليم الاول ١٥١٢ - ١٥٢٠) (٩١٨ - ٩٢٦)
تولى في السادسة والاربعين من العمر وله منازع في السير

المغارم والضرائب والمظالم ما لا يطيقون . وفي عهده أخذ
الأتراك أوترنته والبنادنة غاليولي وبوليكاسترو ولم يترك ساكنا
ولذلك كله كان بنيصاً على الشعب حتى أنه عند ما فتح كارلوس
الثامن هذه المملكة لم يقاومه أحد فيها .

❖ الباب الواحد والخمسون ❖

{ في الدولة العلية من سنة ١٤٨١ الى سنة ١٧٩٢ }

{ فصل } ❖

{ في السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١ - ١٥١٢) }

خلف هذا السلطان أباه محمداً الثاني وكان أديباً محباً للسلم لم
يحارب احياناً الا لقمع ثورة أو دفع عدو أو سد مطمع للانكشارية
وقد ثار عليه أخوه الامير جم فوفق في أول أمره واستقل بجانب
من السلطنة وجعل عاصمته بروسه ثم دارت الدائرة عليه فلجأ الى
مصر ثم استأنف الكرة مستعيناً بقاسم بك أمير قرمان فدحر ثاوية
وفرّ من وجه أخيه الى رودس فنعه فرسانها من الخروج منها
اجابة لطاب السلطان ثم أرسلوه الى بلاط البابا فبقي فيه وجعله
المسيحيون فزاعة لآخيه الى ان مات .

واستمر قاسم بك القرماني في تشغيبه على الدولة الى ان انضم

وكان لوران هذا أشهر امراء مديسيس فانه اكرم العلماء والادباء
 وارباب الصنائع وشيد الابنية الجميلة وفي سنة ١٤٩٠ اشرف على
 الافلاس لكثرة ما أنفقه من المال فوفت الجمهورية ديونه وأفلست
 لاجله . وخلفه بطرس الثاني فقام في عهده حزب عظيم من الشعب
 يطلب الحرية الدستورية وكان زعيم هذا الحزب يدعو الى تطهير
 أخلاق الاكليروس والرجوع الى النظم القديمة وكان يقول
 « يا ايطاليا. يا رومه. توبي الى الله فان الاجانب سيهبطون عليك
 ويفترسونك كالاسود الضارية » ولكن من كان يستطيع دفع
 مصيبة الحروب ودخول الاجانب للبلاد في حين كان البابوات
 عاراً على الكرسي والكنيسة . منهم سكستوس الرابع الذي
 اشترك في مؤامرة بازي ليجلس ابن أخيه جيروم ريارو على تخت
 امارة ومنهم اسكندر السادس بورجيا (١٤٩٢) الذي انتخب
 بطريقة غير شرعية وركب في حكمه أنواع المحارم والفاحشة والمظالم
 والخيانات وسفك الدماء وقتل الابرياء بالسهم والخنجر . وتوفي عن
 ابن له يدعى قيصر بورجيا وصل الى درجة الكردينال وكان
 جامعاً لردائل أبيه . اما نابولي فقد حكم فيها الفونس الملقب بالعزيز
 النفس الى سنة ١٤٥٨ ثم خلفه فردينند فظلم وأستبد فثار عليه
 بارونيته فجاملهم وانغرامهم بالمواعيد ثم دعاهم الى مأدبة فذبجهم . وكان
 نصيب الشعب من معاملته كمنصيب الشرفاء فانه كان يحماهم من

وكانت البندقية ذات العجولة الاولى في شمال ايطاليا . وكانت
أقرب الى الملكية منها الى الجمهورية اذ كان يحكمها منذ سنة
١٤٥٤ ثلاثة مفتشين يراقب بعضهم البعض ويحاكون الناس بناء
على وشايات الواشين وبلاغات الجواسيس .

ولما سلبها الاتراك ما كان لها من الاملاك في الشرق رضيت
بحمل الجزية اليهم لتعيش بسلام وتسلم تجارتها وافتتحت أربع
ولايات جديدة لتستعيض بها عما فقدته فهالت عظمة ثروتها
واتساع املاكها الامراء المجاورين لها فتحالفوا عليها فكسرتهم
وخرقت تحريم البابا لها بسبب موادعتها الاتراك .

وكانت فلورنسا تحت حكم آل مديسيس الذين خلعوا آل البيزي
عن الامارة وتولوها . وأولهم كوم دي مديسيس . كان تاجراً
صاحب ثروة جسيمة وأكثر أهل المدينة مدينون له . فلما حكم في
فلورنسا بقي الى سنة ١٤٦٤ لم يتخذ لقباً وانفق من ماله ٣٢ مليوناً
على تشييد القصور والمكاتب والمستشفيات وتميز التجارة
والصناعة والفنون فدعي بابي الوطن . غير ان الشرفاء لم يلبثوا ان
ثاروا على خلفه جوليان بدعوى انه استبد بالبلاد (١٤٧٨) فقتلوه
في الكنيسة وأما تودويه . الا ان أخاه لوران دي مديسيس فر من
يد معتقله وقبض على أزمة الحكم فانقم من أعدائه انتقاماً شديداً
وشنق أحد الاساقفة وهو في ملابس الصلاة على إحدى نوافذ قصر

حمق وجهل في حروب ايطاليا وأهم ما جرى في عهده انه زوج ابنة
فيليب الجميل دوق النمسا بمنه الملقبة بالمجنونة ابنة اليسانبات وفرديناند
فكان مهرها ملك اسبانيا وناپولي وامريكا .

وتوفي مكسيميليان (١٥١٩) في أثناء حصول الفتن الاولى
الناشئة عن الاصلاح المذهبي .

﴿ فصل ﴾

﴿ في ايطاليا في نحو سنة ١٤٥٣ ﴾

« وذكر قيام الامارات مكان الجمهوريات فيها »

بمد ان تحولت اكثر جمهوريات ايطاليا الى امارات وقعت في
أيدي ظلمة مستبدين فكان في ميلانو فرانسوا سنورزا الذي خلف
آل فيسكونتي سنة ١٤٥٠ ثم خلفه ابنه نقتله الكبراء (١٤٧٦)
خلفه حفيده يوحنا غاليس القاصر وأقيم عليه وصياً عمه لودوفيك
ليمور فطمع في الامارة لنفسه واستعان بالفرنسيين على ذلك
فانتشبت بسببه حروب ايطاليا التي جاءت وبلا عليها وكانت جنوا
تابعة لدوق ميلانو وذلك ان أهلها عندما ساءوا من كثرة التحزب
والشقاق فيما بينهم عرضوا على لويس الحادي عشر ان يكون صاحب
الامر عليهم فأبى وأتبعهم للدوقية المشار اليها . على انهم كانوا من
أغنى سكان اوروبا وكان لهم وكلاء وعملاء في جميع مراكز العالم
التجارية .

ولكن السلطة الامبراطورية كانت قد اصبحت وهماً من الاوهام
 ولم يكن الامبراطور فريديريك الثالث ممن يرجى أو يخشى منهم
 الخروج من مثل هذه الحالة فاقام في السرير ثلاثاً وخمسين سنة
 لم يقم فيها بعمل يذكر سوى أنه حارب المجر حرباً عادت عليه
 بالفشل وزوج ابنة مكسيميليان بماري دي بورغونيا ابنة كارلوس
 الجسور ووارثة هولنده فلما خافه ابنه هذا (١٤٩٣) رأى ان
 يعيد الامن العام الى المانيا فاستصدر من النواب امراً يحظر على
 الامراء ان يتحاربوا ومن خالف عوقب بالاسقاط من امارته وقسم
 البلاد الى عشر دوائر ونصب في كل دائرة حاكماً عسكرياً لحفظ
 الامن . فاجتمع المنتخبون السبعة (١٥٠٢) وعقدوا فيا بينهم تحالفاً
 على ان يجتمعوا في كل سنة للنظر فيما يؤيد استقلالهم ويدفع عنهم
 مطامع الامبراطور . وفي هذه الاثناء اتحدت بعض المدن والفت
 شركة الهانس العظيمة ولكن لغاية تجارية محضة فكبر شأنها
 واتسع نطاق أعمالها حتى شمل جميع المدن القائمة على ضفاف الرين
 وفي سواحل المانيا و اكثر مدائن هولنده وفرنسا وانكلترا وروسيا
 ولم يكن مكسيميليان في خارج بلاده عمل يذكر سوى أنه
 استزاد على هولنده التي أخذها مهراً من امراته مقاطعتي ارتوا
 وفرانش كونته بمقتضى معاهدة سانليس (١٤٩٣) التي عقدها معه
 كارلوس الثامن ملك فرنسا ليتفرغ لمحاربة ايطاليا ثم انه تداخل عن

﴿ فصل ﴾

﴿ في نجاح الملكية بالبرتغال ﴾

حدث في البرتغال مثل الانقلاب الذي حدث في أسبانيا
فان ملكها يوحنا الثاني (١٤٨١) النفي كثيراً من امتيازات
الشرفاء وأمات دوق براغانس شقيقاً (١٤٨٣) وقتل بيده دوق
فيزو ثم ترك لابنه عمينويل الملقب بالسعيد (١٤٩٥) ساطاناً مطلقاً
على البلاد والعباد . وحكم هذا الملك عشرين سنة لم يعقد في خلالها
مجلس النواب مرة واحدة . وفي عهده اكتشف رأس الرجاء
الصالح وطريق الهند . وفي الجملة فقد سادت الملكية المطابقة في
جميع اوروبا الغربية وكان ذلك انذاراً بحروب أقامتها مطامع الملوك
بعد ذلك على اوروبا الوسطى لاستمرارها على ما كانت عليه من
الانقسام والضعف

﴿ الباب الخمسون ﴾

﴿ في ألمانيا وإيطاليا من سنة ١٤٥٣ الى سنة ١٤٩٤ ﴾

(وذكروا فريدريك الثالث (١٤٤٠) ومكسيميليان (١٤٩٣))

﴿ فصل ﴾

﴿ في تزوج مكسيميليان من ماري دي بورغونيا ﴾

(عرفنا فيما سبق ان تاج ألمانيا وقع لآل هابسبرج ثالثة (١٤٣٨))

عظيمنتين حسية ومعنوية. وزاد على ذلك أنه جعل نفسه رئيساً
لثلاث رهبنة قوية وحامياً لجمعية الالهة المقدس التي أعانتها على
فتح غرناطة وكانت قد تألفت منذ سنة ١٢٦٠ لاضفاف شوكة
الشرفاء . وفي سنة واحدة دمر فردين ستة واربعين من حصون
غاليسيا ومقاطعاتها وأرسل مندوبين الى جميع الولايات لسماع شكايات
الشعوب وارهاب الكبراء فتم له بذلك الاستبداد المطلق.

وعند وفاة اليبابات (١٥٠٤) اصبح فردينند وكيا على
قشتاله وكان صاحب اراغون وصقليا ونابولي ونافارياروروسيليون
وامريكا التي اكتشفها له خريستوف كولومبوس سنة ١٤٩٣ وقد
اضاف ولي عهده كارلوس الكبير بلاد النمسا وهولنده وفرانش
كوتته الى هذه الاملاك الواسعة حين ورثها في سنة ١٥١٦

وعند جلوس هذا الملك على السرير تألفت عصاة من
الشعب سميت بالعصاة المقدسة فطلبت مطالب كثيرة لاصلاح
حال العامة وفي جملتها الفناء لما أعني منه الشرفاء من العوائد والضرائب
فغضب الشرفاء لهذا الطلب ولم ينضوا الى العصاة لمقاومة نفوذ
الملكية بل تألبوا حول الملك وكسروا شوكة العصاة وقتلوا زعيمها
شنتقاً (١٥٢١) فنتج من ذلك ان الملك فاز على الشعب كفوزه
على الشرفاء من قبل ولم يبق في البلاد حائل يحول دون ارادة له

تأسيس الوحدة الوطنية وتعزيز الملكية واعظم ما فعلاه انهما
فتحاً غرناطة (١٤٩٢) وأذنا لسكانها وكانوا ينيون على ٢٠٠٠٠٠
نفس بالاقامة في البلاد محتفظين بشرائعهم وأملاكهم ودينهم .

﴿ فصل ﴾

﴿ في محكمة التفتيش ﴾

وعلى أثر هذا الفتح وجد في أسبانيا اختلاط عجيب من
المسلمين واليهود والمسيحيين فرأى الملك والملیكة ان يوحدوا دين
هؤلاء الأقوام فأسبانيا المحكمة الفظيمة الملقبة بالقدسة وشاه
الجوايسس أو « التفتيش » في أطراف البلاد فبعث المفتشون
الى التعذيب في أشبيلية وحدها من يناير الى نوفمبر سنة ١٤٨١
مئتين و٩٨ مسيحياً مستجداً آثموا بأنهم يدينون دين اليهود سراً
وأصاب مثل ذلك الفين في بلاد قانس وأشبيلية .

وفي سنة ١٤٩٩ استصدر المفتشون أمراً بنفي اليهود وسلبوا
المغاربة الجرية الديانة التي منحوها بمقتضى معاهدة غرناطة . واشتهر
عن رئيس المفتشين انه أمر وخده باحراق ثمانية الآف وثمانين
مئة نفس بالنار وكفى بهذا دليلاً على شدة المنكرات التي ارتكبت
وكان الملك رئيس هذه المحكمة الشنعاء واليه تأول أملاك
المحكوم عليهم وأموالهم . فهو بهذا الوسيلة أصبح صاحب صولتين

وكان في الزمن الذي وضأنا اليه من تاريخهم يوحننا الثاني
ملك اراغون قد قتل ابنه كارلوس بالسهم (١٤٦١) لمازعته له في
ملك نافاربا فثار عليه الكاتاليون ولم يعودوا الى طاعته الا بعد
احدى عشرة سنة (١٤٧٢) . وكذلك كان هنري السادس
ملك قشتاله قد اثار قومه باستسلامه لرجل ذئبي من مقربيه
يدعى برتران فأعلنوا خلعه في سهل افيلا (١٤٦٥) وأقاموا مكانه
اخاه دون الفونس فتوفي سنة ١٤٦٧ فأعادوا هنري السادس على ان
يولي عهده لشقيقته اليعصابات لابنته (١٤٦٨) وكانت اليعصابات
مع كثرة خاطبيها قد اختارت فردينند ولي عهد اراغون وتزوجت
به سرا (١٤٦٩) وعمدت معه اتفاقاً على أنها تستقل عنه في إدارة
شؤون قشتاله . ولما توفي الملك هنري جلست على عرشه وتغلبت
على ملك البورتغال الذي نازعها الملك (١٤٧٦)

وبعد ذلك بثلاث سنين استوى زوجها فردينند على سرير
اراغون .

﴿ فصل ﴾

﴿ في فتح مملكة غرناطة (١٤٩٢) ﴾

ومن هذا العهد وجدت اسبانيا وجوداً حقيقياً وصرف
فردينند همه ودهاهم واليعصابات ذكاهما وحكمتها الى

اليها تارة بطريق القرض الاكراهي واخرى بنفي جماعة من
الموسرين ومصادرة ثروتهم . وهو الذي حظر على الشرفاء استخدام
عدد كبير من الاجراء والحشم لئلا يمنع بذلك أسباب الفتن والثورات
وحظر عليهم بيع الاراضي « الشريفة » وتقسيمها . ومن مآثره انه
رقى التجارة والصناعة بما عمد من المعاهدات وزاد عدد السفن وبذل
كثيراً من المال للاسفار الاكتشافية . وقد زوج ابنته مرغريته
بملك اسكنانده جاك السادس تمهيداً لضم هذه المملكة الى انكلترا .
ومن هذا الاقتران نشأت حقوق آل ستيوارت بتاج انكلترا الذي
تزوجوا به سنة ١٦٠٣ . ثم انه زوج ابنه الاكبر وبمده ابنته الثاني
بكاترينه داراغون ابنة فردينند ملك اسبانيا



❖ الباب التاسع والاربعون ❖

❖ في نجاح الملكية باسبانيا ❖

❖ فصل ❖

« في تزوج فردينند الاراغوني من اليسانبات القشتالية (١٤٦٩) »

رأينا فيما تقدم من تاريخ اسبانيا انكفاف ملوكها المسيحيين عن
محاربة المغاربة واشتغالهم بالمسائل الاوروبية التي خرجوا منها
مستضعفين .

﴿ فصل ﴾

﴿ في ريكاردوس الثالث (١٤٨٣) ﴾

وترك أدوارد أولادا قصرًا فاحتبسهم أخوه دوق غلوسستر
في برج لندره ثم أماتهم واغتصب السيرير فوقع من جرّاء ذلك الجزع
في قلوب اليوركين فثار بوكنجرام على الملك ودعا لامتطاء السيرير
هنري تيدور الغالي كونت ريشموند وآخر سايل من الامومة لآل
لانكاستر فنزل في بلاد الغال وتقلب في بوسورث على ريكاردوس
الثالث الذي قتل في اثناء المعركة (١٤٨٥)

﴿ فصل ﴾

﴿ في هنري السابع (١٤٨٥) ﴾

وخلفه على الملك هنري السابع فالف بين الوردتين اذ تزوج
بوارثة آل يورك ابنة أدوارد الرابع وهو رأس آل تودور الذين
توارثوا الملك مئة وست سنين الى ان خلفهم آل ستيوارت.
وفي عهد هذا الملك وعلى يده تم الاستبداد الملكي بالسلطة
في انكرا فانه عند ما ولي كان قد قتل نحو ثمانين اميراً من ذوي
النسب الى الاسرة المالكة وادخل خمس اراضي المملوكة في املاك
التاج. وقد حذر هنري السابع كل الحذر من جمع مجلس النواب فلم
يدعه الا في النادر وكان للاستغناء عنه يستورد الاموال التي يحتاج

به ملكاً وبسعي ادوارد الرابع. وكان اللانكاستريون قد انتصروا ثانية في سنت البان غير انهم لم يلبثوا ان انكسروا في السنة نفسها (١٤٦١) فلجأت مرغرته الى فرنسا فانجدها لويس الحادي عشر بالني عسكري على ان ترد له كاله اذا فازت غير انها غلبت أيضاً في موقعة اكسهام (١٤٦٣) فعادت الى فرنسا وبقي زوجها هنري السادس أسيراً في برج لندره سبع سنين بعد ان اعتقل فيه وأخرج منه مرتين .

على ان ادوارد الرابع أغضب ببعض أعماله وارويك فحمل عليه وكسره في نوتنجهام (١٤٧٠) واعاد هنري السادس قهر ادوارد الى هولنده . ولكن هنري اساء التصرف وجار جوراً ثقيلاً على الناس فاغضبهم ثم لم يدر الا وقد عاد ادوارد بجيش صغير اعانه على جمعه كارلوس الجسور فتغلب على وارويك وقتله بقرب بارنت (١٤٧١) وكسر جيش مرغرته في فيوكسبري فاسرها وذبج البرنس دي غال وكان هنري السادس قدمات فخلاً العرش له من كل منازع وساد حزبه على حزب اللانكاستريين الذين ضعفوا الكثرة من قتلوا ونهبوا منهم ولم يفعل ادوارد بعد هذه الحرب شيئاً يذكر سوى انه حمل على فرنسا حملة انتهت بمقد معاهدة بيكيني (١٤٧٥) وفي سنة ١٨٧٤ حاكم أخاه دوق كلارنس واماته ثم توفي على أثر انهما كه في الشهوات وكانت وفاته سنة ١٤٨٣

الف مقاتل من كونية كشت فذهب بهم لندره عدة أيام ولكنه لم
يأبث ان أخذ أيضاً وقتل { ١٤٥٩ }

واتفق ان أصابت الملك نوبة شديدة من مرض به فاحتال
دوق يورك وتقلد منصب الحافظ للملك (١٤٥٤) فلما شفي هذا
أراد عزله فحمل عليه السلاح واستعان بأكابر الشرفاء منهم وارويك
الشهير باسم « صانع الموك » وكان لعظم ثروته يستطيع ان يعول
في أملاكه ثلاثين الف مقاتل فانتصر ريكاردوس ديورك على الملك
في موقعة سنت البان (١٤٥٥) وأبهره وتقلد ثانية منصب الحافظ
ثم دحر جنود الملك في موقعة أخرى بنورثمبتون (١٤٦٠)
وتلقب بولي العهد الشرعي للمملكة . فاحتجت من عمرته على هذا
القران الذاهب بحقوق ابنها ومنجت الاسكتلنديين حصن برويك
فانجدوها بالرجال فقاتلت بهم ريكاردوس ديورك في معركة واكفدل
فقتل ثم عرض رأسه على الاسوار وجعل عليه تاج من ورق (١٤٦٠)
وعلى أثر هذه الحادثة قتل أصغر أبنائه ومن ذلك الوقت أخذ كل
متصراً من الحزبين يقتل الأسرى ويستبيح المغلوبين سبياً وموتاً .

﴿ فضل ﴾

﴿ في إدوارد الرابع (١٤٦٠) ﴾

فانتقم لريكاردوس ابنه الاكبر بان حمل أهل لندره على المناداة

الباب الثامن والاربعون

(في اتساع سلطة الملوك بانكائرا)

وذكر حرب الوردتين

فصل

(في هنري الرابع (١٤٢٢) وريكاردوس ديورك (١٤٥٤))

كان هنري الرابع من آل لانكاستر سلالة الامير الثالث من
 ابناء ادوارد الثالث وقد اغتصب الملك اغتصاباً مع ان الاحقية به
 من حيث النسب لآل يورك . ومن أجل ذلك وقعت حرب بين
 الاسرتين دعيت بحرب الوردتين نسبة الى الوردة البيضاء التي كانت
 رمز آل يورك والوردة الحمراء التي كانت علامة آل لانكاستر ولما
 انقضى أجل هذا الملك خلفه هنري الخامس الذي شرف ذكره
 بفتوحاته في فرنسا ثم خلفه هنري السادس وفي عهده انجلي الانكليز
 عنها فحق الانكليز عليه من أجل ذلك ولا سيما عند ما عقد هدنة
 سنة ١٤٤٤ وتزوج بمرغريته داجو . فظن دوق يورك ان
 تلك فرصة ينهزها لخلعه واخذ يدس له الدسائس فنها انه حمل
 مجلس النواب على اتهام الوزير سوفوك المقرب الى الملك ببعض
 الجرائم فقرر تجرأ فسير في أمره مراكباً وقبض عليه بحارته وقتلوه .
 ومنها انه حمل احد الايرلنديين وهو جوهن كاد على حشد ستين

حنه دي بوجو واحسنت السياة بما عندها من الحزم والدهاء. وفي
 مدقوصايتها ثار الكبراء ارضاروها ان تعقد جمعية النواب ضنا منهم
 ان هذه الجمعية تعيد اليهم ما فقدوه وتضعف السلاطة الملكية نخب
 ظنهم لان النواب فرروا اصلاح بعض الخلل الواقع واعلموا ان
 الملك راشد وخولوا أخته مساعده على ادارة الشؤون. فتواطأ دوق
 اورليان ودوق بريتانيا والارشيدوق مكسيبيليان على اسقاط الملك
 فدحرتهم جنود حنة (١٤٨٨) واسرت دوق أورليان. ثم وقع
 نزاع على تركة دوق بريتانيا فزوجت حنة كارلوس من وارثة هذه
 التركة تمهيدا لاضافتها الى أملاك التاج (١٤٩١) غير ان نكد الطالع
 أراد ان يخطر لهذا الملك خاطر الغزوات البعيدة فخرج من وصاية
 أخته وعقد ثلاث محالقات أفقد بها فرنسا ثلاثة من تخومها
 ليستتب بذلك الامن في داخلها ويتمكن هو من الجري وراء وهم
 عظيم الخطر خامر ففكره الضعيف.



ضم الولايات الاقطاعية الكبرى الى أملاك التاج فخارب لذلك بمض الشرفاء وحاكم وقتل الآخريين . غير انه لم يصبه الا قسم من تركة كارلوس الجسور لان وارثة بورغونيا تزوجت خوفا منه بالارشيدوق مكسيه ييليان فخاربه لويس وأخذ منه بورغونيا وبيكارديا وارتوا وفرانش كونه (١٤٨٢) وكان قبيل ذلك قد ورث أملاك آل انجو وبلغت جملة ما استولى عليه نحو ١٤ ولاية وعملا

﴿ فصل ﴾

﴿ في ادارة لويس الحادي عشر ﴾

هو الذي جعل القضاة غير قابلين للعزل وسير البريد وأحدث برلمات غرينوبل وبوردو وديجون وامن الطرق وضاعف عدد الاسواق العامة وشيد أول المعامل الحيرية وايد صناعة تعدين المعادن وفكر في توحيد الموازين والمكاييل بفرنسا وقرب العلماء وأسس كاييتي كين وبزانسون وأدخل الطباعة في البلاد وفي الجملة كان في الحقيقة مالكا

﴿ فصل ﴾

﴿ في كارلوس الثامن (١٤٨٣) ﴾

ولما قبض الى ربه خلفه كارلوس الثامن في الثالثة عشرة من عمره وكان ضعيف الجسم والعقل فتولت الوصاية عليه أخته البكر

أخاه غويانه عوضاً عن شمبانيا ثم عقد اجتماعاً آخر للنواب في تور واستصدر منهم قراراً بفسخ معاهدة بيرونه وكان قد أعد مئة ألف مقاتل وعداداً كبيراً من المدافع لمقابلة كارلوس بها (١٤٧١). ولكن أخا الملك دوق غويانه توفي في السنة التالية ففقد به الجسور أشد أعوانه ولذلك اتهم الملك علناً بأنه سم أخاه وأقام الحرب عليه غير أنه انكسر أمام مدينة بوفاي وارتد على أعقابها فوقع على هدنة سنليس . ثم صرف همه لفتح المانيا واللورين وسويسرا لجمعها مملكة واحدة فانتصر في المواقع الأولى ثم دارت عليه الدائرة أمام مدينة نوس في بروسيا الزينية . وفي تلك الاثناء كان ملك انكتر اقد أنزل جنوده على شواطئ فرنسا واذ لم يجد ما وعدده به كارلوس من النجديات عقد مع لويس الحادي عشر معاهدة بكيني ورجع الى جزيرته بمال كثير أخذ رشوة (١٤٧٥) . اما كارلوس فعقد هدنة ثانية مع لويس ايتم في اثانها متصده الكبير غير ان السويسريين غلبوه أمام غرانسوم (١٤٧٦) فرجع الى اللورين وكانت قد ثارت عليه فقتل تحت أسوار نالسي (١٤٧٧)

﴿ فصل ﴾

﴿ في انضمام الولايات الاقطاعية الكبرى الى أملاك التاج ﴾

لما تخلص الملك من هذا العدو اللدود الشديد أخذ يهيئ في

﴿ فصل ﴾

﴿ في ماتي بيرونه (١٤٦٨) ﴾

ولما رجع المتحالفون الى منازلهم أخذوا لوييس يفكر في استرجاع
 مامنهم وعلى الخصوص نور منديا ثم لم يلبث ان استولى على هذه
 المقاطعة ولم يعارضه كبار الشرفاء لانه شغل كارلوس الجسور بحروب
 داخلية في دوقية بورغونيا ورشا الآخريين بعضهم بالمال وبعضهم
 بالمناصب .

وكان أخو الملك من نصراء كارلوس فاستصدر لوييس قراراً
 من النواب في مدينة تور (١٤٦٨) بان أخا الملك يكفيه اثنا عشر
 ألف دينار دخلا سنويا وبهذه الوسيلة حرم أخاه ولايته فرب
 كارلوس لمعارضه هذا القرار ودعا الشرفاء ثانية الى الثورة
 واستنجد بملك انكلترا . اما لوييس فالتقى بجيش لدوق بريتانيا
 فنكسب به ثم علم باستعداد ملك انكلترا للهجوم على فرنسا فذهب
 الى بيرونه لمصالحة كارلوس فاعتقله الجسور في برجها ولم يخرج
 منه الا وقد منح أخاه (أي أخا الملك) ولاية شمبانيا وواعد
 كارلوس بان يسير معه لمحاصرة مدينة اياج التي كانت قد ثارت
 عليه عملاً بإيعاز لوييس نفسه .

وكانت هذه المهادنة آخر غايات لوييس فإنه بعد ذلك اقطع

فصل

في لويس الحادي عشر (١٤٦١ - ١٤٨٣) وذكرك عصابة الخير العام (١٤٥٦)
 كان كارلوس السابع عند ما انقذ البلاد من احتلال الانكليز
 قد انقذها ايضاً من سطوة بعض الشرفاء المفسدين المارقين ونفى
 ولي عهده لدخوله في مؤامرات اريد بها اسقاطه فلجأ الى دوق
 بورغونيا وأقام عنده الى ان خلف أباه في سنة ١٤٦١

وظن الشرفاء ان أحسن أيامهم تعود في عهد هذا الملك
 وسرعان ما أخلف ظنهم فانه منذ تولى عزل أكثر أرباب
 المناصب التي وضعهم أبوه فيها ورفع الضريبة الدائمة من مليون و٨٠٠
 الف دينار الى ثلاثة ملايين وحظر على كلية باريس ان تتدخل في
 شؤون الملك والمدينة ووضع برلمانا لمدينة بوردو ومنحه اختصاصات
 كثيرة انزعها من برلاني باريس وتولوز واسترجع بعض المقاطعات
 بالشراء وغيره من الطرائق واغضب الاكليروس والشرفاء بشدته
 فتآمر عليه نحو ٥٠٠ من الاعيان تحت رئاسة كارلوس الملقب
 بالجبور وسموا جمعيتهم بعصابة الخير العام نراى ان الامر جال
 ولم يكن على ما يجب من البسالة لمقاومة القوة بالقوة فاستعمل الدهاء
 وبه سلم . وأول ما فعله انه دفع عن باريس هجمة أحد النبلاء ثم
 عقد معاهدتي كونفلان وسامور (١٤٦٥) وبموجبهما أعطى
 المعتصمين كل ما سألوه .

﴿ القسم الرابع ﴾

« في تاريخ الاعصار الحديثة »

﴿ الباب الرابع والاربعون ﴾

« (في اتساع سلطة الملوك بفرنسا (١٤٥٣ - ١٤٩٤) »

﴿ تمهيد ﴾

ان اهم اقسام التاريخ الحديث (١٤٥٣ - ١٧٨٩) هي الآتية :
انضمام السطة بعد انشعابها وانحصارها في الملوك والحكومات عتيب
تفرعها اجزاء شبيهة بالمستقلة على الاقطاعات الكبيرة والمراكز القائمة بذاتها
الانقلاب السياسي الذي نشأت عنه حروب ايطاليا والناظره
المستمرة بين فرنسا والنمسا

بعثة الفنون والصنائع والعلوم والآداب
الانقلاب الاقتصادي الناجم عن اكتشاف العالم الجديد ومر
الهند وهو الذي انتقلت الثروة معه الى اهل الحرف والمتاجر.
الانقلاب الديني الحادث له اصلاح لوثير والحروب التي
اثارتها الرفضية .

الانقلاب الفلسفي الناشئ عن تعاليم باكون وديكارت وعلماء
القرن الثامن عشر مما تولدت منه الثورة السياسية العظمى في أوائل
هذه الازمان .

وأسس الدولة العلية وان اورخان فتح نيوسيديا ونيقا وغالبولي
 ومراداً الأول احدث جيش الانكشارية فجعلهم كالرهبان المجندين
 واستولى على ادرنه تمهيداً لفتح القسطنطينية وانتصر على السرب
 والبوسنه والالبان وقتل في موقعة قوصوه (١٣٨٩) وان بايزيد
 الأول اخضع مقدونيا والبلغار وضرب الجزية على الافلاخ ونكل
 بتجريدة صابية في موقعة نيكوبوليس (١٣٩٦) ثم نازل تيمورلنك
 فدارت الدائرة على بايزيد في معركة عين صيره واسر (١٤٠٢)
 وان مراداً الثاني حاصر القسطنطينية فردّ عنها مغلوبا وحارب
 اسكندر بك في البانيا فتولاه الفشل ثم ظهر على اعدائه في موقعة
 وارنه فقتل فيها فلاديسلاس ملك المجر (١٤٤٤) وان محمد الثاني لما
 رأى الجبر والهون والاقوام المجاورة لهم يحولون دون نفوذ الترك
 الى اوربا عزم على فتح القسطنطينية ليسقط هذا الحاجز بينه وبين
 الغرب فحاصرها ودخلها عنوة وأزال بزوالها آخر أثر حي للسلطنة
 الرومانية سنة ١٤٥٣ وبهذه الحادثة العظيمة كان ختام القرون المتوسطة
 وافتتاح الزمن الذي اصطلح المؤرخون على تسميته بالاعصار
 الحديثة .



(٨٦٢) . ومن ذلك الحين أخذوا يتقدمون قليلا قليلا الى ان اجتازوا الديار قاصدين القسطنطينية طالبا للخدمة والمكاسب فيها وفي طريقهم أخذوا كيف وفي القرن الحادي عشر أصبحت غرندوقية كيف دولة مخشياً بأسها ثم في القرن الثاني عشر انتقلت السيادة منها الى غرندوقية والديمير وفي القرن الذي تلاه اغار مغول جانكيزخان على روسيا وقتلوا في موقعة واحدة ستة من امراءها (١٢٢٣) . وفي سنة ١٢٣٧ فتح باتو مدينة موسكو وتقدم الى نوفوغورود وكانت غرندوقية كيف قد زالت وغرندوقية والديمير تؤدي الجزية . ولما استتم المغول فتح روسيا اغاروا على بولونيا وسيلازيا ومورافيا والمجر فقهروا الجيوش ودمروا البلاد ثم اجتازوا الدانوب ووقع رعبهم في قلب اوروبا كلها غير انهم لم يلبثوا ان وقفوا امام جبال بوهيميا والنمسا وبقيت روسيا تحت نيرهم مدة قرنين

﴿ فصل ﴾

﴿ في فتح الاتراك للقسطنطينية (١٤٥٣) ﴾

رأينا فيما سبق ان الاتراك في خلال المدة التي اوردنا حواشيها قد هبطوا من جبل الذهب وأغاروا على الهند والفرس وسوريا وآسيا الصغرى وان السلطان عثمان زعيم احدى قبائلهم الصغيرة فتح بورصه (١٣٢٥)

سيادة المانيا الى ان ظهر منها رجل يدعى بولسلاس الاول الملقب
 بالشجاع { ٩٢٩ } فاخرج بلاده من كنف السيادة الالمانية ولقب
 نفسه ملكا عليها ثم جاء بعده بولسلاس الثالث (١١٠٢ - ١١٣٨)
 فاخضع البوميرانين وعقيب وفاته انفصلت سيلازيا عن المملكة
 ودعي الهيكليون لمحاربة البروسيين الوثنيين وتنصيرهم على ما رأيناه
 قبل ان نشأوا بين نهري النيستول والنيامن دولة جديدة لم تلبث ان
 اصبحت عدوة لبولونيا وسلبتها بوميرالي ودانتزك (١٣٤٣) فلما
 جلس كازيمير الكبير على سرير بولونيا اعاضها عما فقدته بافتتاحه
 لها روسيا الحمراء ووالهينيا وبادوليا الى نهر الدنيابر . وفي سنة ١٣٨٦
 اتخبت جاجلون غرندون لنيوانيا ملكا على بولونيا فجعلها ذات
 الصولة العظمى في اوربا الشرقية واستولى { ١٤١٠ } على كثير من
 البلاد التي كانت للهيكليين الى ان حصر هؤلاء الكهنة المحاربين
 في بروسيا الشرقية بموجب معاهدة تورن سنة ١٤٦٦

﴿ فصل ﴾

(في المغول ببلاد الروس)

ولم تكن روسيا في ذلك الوقت شيئاً ذا بال فقد رأينا ان
 قرصانا من النورثمان ذهبوا الى مدينة نوفوغورود الحصينة بقيادة
 زعيمهم رودريك وتجنّدوا لخدمتها في أول الامر ثم سادوا عليها

جرار. وأما أسوج فلم يكبر شأنها إلا في عهد آل فوانج الذين
شيدوا ستوكهولم قاعدة لها (١٢٥٤) وأما نروج فاقامت في
اضطراب وفتن الى ان اصبحت ملكيتها وراثية سنة ١٢٦٣ بعد
ان كانت انتخابية .

وفي سنة ١٤٩٧ عقد بين هذه الممالك الثلاث في عهد مرغريته
بنت ملك الدنمارك اتحاد كملار وتقرر فيه ان تتحد جميعاً على الدوام
تحت ملك واحد وان تكون مع ذلك كل منها ذات استقلال ذاتي
اساسه احتفاظها بدستورها ونظامها القضائي ومجس شيوخها ولكن
هذا الارتباط الجليل الفوائد لم يلبث ان انفك فانه ضعف بعد وفاة
الملكة المعروفة بسميراميس الشمالية (١٤١٢) بسبب عصيان أهل
سلسفيج وهوولستين ثم خرج منه الاسوجيون سنة ١٤٤٨ وأقاموا
ملكاً عليهم .

﴿ فصل ﴾

﴿ في بولونيا ﴾

ان الاقطار السلافية بين الباطيق والبحر الاسود لا يعرف
شيء مذکور من تاريخها قبل القرن التاسع . وغاية ما هو معلوم ان
جماعة البولونيين القاطنين على ضفاف نهر الفيستول قام منهم رجل
يدعى بياست دوقا عليهم وكان رأس سلالة توارثت منصبه تحت

المانيا فريدريك من فرع ستيريا وهو آخر امبراطور الماني توج في رومه (١٤٥٢) وكان هذا المنصب في ذلك الوقت اسما مجردا ليس لصاحبه دخل ولا جنود ولا سلطة قضائية ولا سطوة لدى مجلس النواب . وكان أعضاء هذا المجلس ثلاث فرق وهي فرقة المنتخبين للامبراطور وفرقة الامراء وفرقة المندوبين عن المدن . وكان الحكم الحقيقي لهذا المجلس غير انه كان بذاته كالعدم لانقسام المملكه الى اربعمائه ولاية وعمالة .

وكانت النمسا لذلك العهد حصن اوربا الدافع عنها غارات المساميين وفي حكم سيجيسمند انضمت الى المانيا ثم انفصلت عنها في حكم واديسلاس الذي استظهر العثمانيون عليه في وارنه (١٤٤٤)

﴿ فصل ﴾

﴿ في اتحاد كلار (١٣٩٧) ﴾

كانت في سكندينايفيا ثلاث ممالك . الدينيرك واسوبج ونروج ومنها خرج النورثمان الوثنيون وتزهر أهلها في القرنين العاشر والحادي عشر . اما الدينيرك فعظمت صولتها في عهد كانوت الكبير الذي ملك عايبها وعلى انكاتراثم في عهد أخويه كانوت السادس ووالديمير المنتصر (١١٨٢ - ١٢٤١) اللذين فتحا هولستين ونوردالنجهيه . وكانت لوالديمير اموال كثيرة وبحرية عظيمة وجيش

﴿ فصل ﴾

﴿ في الخطاط الامبراطورة ﴾

وتتالي بعد رودلف امبراطورة كان الشرفاء ينتخبونهم من
 الفقراء الذين لا يخشى بأسهم فكانوا لا حول ولا طول لهم وكان
 بعضهم يتاجر تحت رايته وبعضهم خاع العذار ودنس العرش فعزل
 سنة ١٤٠٠ وكان اسمه ونسلاسه وخلفه سچيسمند وفي عهده
 عقد مجمع كونستانس لاصلاح الكنيسة وقتل البدعة التي نشأت
 من انتخاب بابوين في وقت معاً أحدهما في افينيون والآخر في رومه.
 وعلى أثره قامت حرب الهوسيين. والهوسيون اتباع لاسناذ شهير
 يدعى حنا هوس كان مدرساً في كاية براغ فقال بوجوب اصلاح
 درجات الكهنوت رندد في الاعتراف ان يكون من رجل لاخر
 وقبح عبادة الصور الخ فاحرق سنة ١٤١٥ معاقبة له على بدعته
 فقام قائد متعصب له يدعى يوحنا زيسكا وجند اتباعاً له كثيرين
 وأضرم نار الفتنة في بوهيميا فاستمر القوم فيها خمس عشرة سنة
 يذبح بعضهم بعضاً من أجل المذاهب. واذ توفي سچيسمند (١٤٣٨)
 عاد آل هبسبرج الى تولي الملك فاستقر لهم الى سنة ١٨٠٦ ولكن
 في بوهيميا والنمسا اما المانيا فانفصت في سنة ١٤٣٩ على أثر مقتل
 الامبراطور البيرت الثاني في حرب مع الاتراك. وقام على عرش

رودولف دي هبسبرج امبراطورا . آثره الشرفاء على سواء لفقره
وضعه فترك ايطاليا وانقطع لاصلاح شؤون المانيا فقهر ملك
بوهيميا (١٢٧٨) في واكفد لانه أبى الاعتراف له بالسيادة
واستعاد بعض ما أخلاه الاعيان من الاملاك ومنع الحروب
الخصوصية بين الشرفاء واستحلف أهل الولايات الكثيرة التحرك
بلزوم السكينة والسلام وأعطى ابنه البيرت ورودولف ولاية دوقيات
النمسا وستيريا وكارنثيا وكارنيولا

﴿ فصل ﴾

﴿ في السويسريين (١٣١٥) ﴾

وكان لآل هبسبرج أملاك في سويسرا فظلم عمالهم عليها
الاهالي فاتحدت عمالات شيويتز واوري واتروالدين في سنة ١٣٠٧
لتضع حداً لتلك المظالم فذهب البيرت لمعاقتها فقتل في الطريق
ثم ذهب ليوبولد دوق النمسا لمثل ذلك فغلبه السويسريون في موقعة
مورغارتن (١٣١٥) ومن ذلك اليوم عظمت شهرتهم العسكرية .
ثم انضمت الى العمالات العاصية لوسرن وزوربخ وغلاريس
وزوج ورن (١٣٣٢ - ١٣٥٣)

وانتصر السويسريون بعد ذلك في معركةتي ١٢٨٦ و ١٣٨٨
فأيدوا بهما استقلالهم وحريتهم .

— ❦ الباب السادس والاربعون ❦ —

(في المانيا والدول السكنديناوية والسلافية والتركية)

« من سنة ١٢٥٠ الى سنة ١٤٥٣ »

❦ فصل ❦

(في الفترة الكبرى وذكر آل هبسبورج (١٢٧٣))

كانت امبراطورية المانيا قد اذنت صواتها في ايطاليا ولم تستخدم شيئاً من قوتها لتأييد النظام في المانيا فلما توفي فريديريك الثاني لبثت مماكته ثلاثاً وعشرين سنة في حالة فوضى (١٢٥٠ — ١٢٧٣) وابي جميع امرائها ان يلبسوا تاجها الذي كان ياتمسه امراء اجانب . وفي هذه المدة خلع ملوك بولونيا والمجر ودينيرك وسادة بورغونيا طاعة الامبراطورية وجنحت بعض المدائن الى الاستقلال وابتنى جماعة من الاشراف معاقل كانت مأوى للصوف . وتحالف صغار الاشراف ليأمنوا على ارواحهم وأملاكهم وقامت جمعية الاتحاد التجاري (هانس توتونيك سنة ١٤٢١) وكانت أعظم مراكزها في لوبك وكولوني وبرونسويك ودفنسيك وأعظم فروعها في لندرة وبورج وبرجن ونوفوغورود . وكثير تحرر الارقاء في داخلية البلاد وتجهزهم في ضواحي المدائن . وفي سنة ١٢٧٣ انتهت هذه الحالة القوضوية التي سميت بالفترة الكبرى وانتخب

من العجيب ان العلوم والفنون والتجارة تقدمت تقدماً عظيماً
 في إيطاليا مع سوء الحالة التي كانت عليها فقد ظهر فيها جمهور من
 العلماء والادباء والكتّاب والشعراء . وكانت وفاة دانتى أعظم شعرائها
 سنة ١٣٢١ ووفاته بوكاتشيو سنة ١٣٧٥ . وقصدها كثيرون من
 العلماء اليونانيين منهم بيزارك وخربولوراس فأكرمت وفادتهم
 ونشروا تآليفهم فيها . وفي ذلك الوقت شيد البابا نقولا الخامس
 مكتبة الفاتيكان وبنيت كنائس وابراج وقباب وصروح كلها عجيبة
 الصنع في كثير من مدائن إيطاليا .

وكان للبندقية ٣٥٠٠٠ ملاح ومدظم تجارتها مع مصر
 وكانت جنوا ذات تجارة واسعة في أسيا الصغرى وعلى شواطئ
 الدردنيل والبحر الاسود . وكانت ميلانو وفلورنسا وفيرونه مدائن
 صناعية ولمبردية مقاطعة زراعية ذات ترع كثيرة تروي تربتها .
 ومن أهم مبتكرات تلك الايام المصارف أو البنوك لتسهيل نقل
 النقود ودورانها . وفي الجملة لم يكن قطر من أقطار أوربا يداني
 إيطاليا من حيث المعارف والمدنية والثروة الاهلية كما لم تكن بلاد
 في الغرب على مثل ما هي عليه من الانقسام والشقاق .



أمثال اتوندولو . وتولى الحكم في فلورنسا تاجر غني يدعى كوسم
دي مديسيس بعد ان خلع آل البيزي
وفي سنة ١٤٥٣ قام رجل روماني يدعى بوركارو ودعا ايطاليا
الى الحرية والاستقلال فلم يرن لندائه صدى في جوانبها .

﴿ فصل ﴾

﴿ في تبعية نابولي الاراغون ﴾

أما نابولي فكان المطالبون بسريرها كثيرين ولذلك لم تستقر
هنيهة من زلازل الحروب وفي عهد البابا اوربان السادس كانت
الملكة يوحنة صاحبة نابولي وكان البابا غير راض عنها فاستدعى
كارلوس دي دوراس ابن ملك المجر ليخلعها عن سرير نابولي
وصقايها ويجلس مكانها اما هي فقررت ان يخلفها الدوق لويس
من الفرع الثاني من آل انجو فوقعت حرب بين المتناظرين انتصر
فيها كارلوس سنة ١٣٨١ وأمات الملكة خنقاً تحت أفرشة وأصبح
ذا شأن في ايطاليا . ولكنه قتل في بلاد المجر فعادت الفوضى الى
نابولي اكثر من تنازعها من الامراء غير ان الفائر منهم في آخر
الامر كان الفونس الخامس الاراغوني (١٤٤٢) وهو الذي كانت
يوحنة الثانية قد تبنته

﴿ فصل ﴾

﴿ في حالة العلوم والفنون والتجارة ﴾

أهلها وفي سنة ١٣٧٨ عظم فيها شأن رجل يدعى ميشيل لاندو
من أهل الحرف الدينية فجعل الحكومة بين أيدي زملائه
وأمثاله.

وكانت البندقية وجنوا تتنازعان السيادة في التجارة البحرية
وتحاربان (١٢٧٨) فتازت الأولى على الثانية وهدمت عمارتها بحراً
واستعبدت مدائنها براً ولكنهما لم تهدمها من أساساتها كما هدم
الفلورنتيون بيزا.

وفي هذه الأثناء ظهر في لمبرديا رجال مشاهير من زعماء
الأحزاب انتهزوا فرصة الشقاق الواقع وأخذوا يحولون الجمهوريات
إلى إمارات فاستولى أحدهم وهو ماتيو فيسكونتي على ميلانو والآخرون
وهو كاني دي لاسكال على فيرونه والثالث وهو كاستراكاني على
لوك. وفي سنة ١٣٩٦ اشترى جان غالياس فيسكونتي من امبراطور
المانيا لقي دوق ميلانو وكونت بافي والسيادة على ست وعشرين
مدينة لمباردية. وكان في إيطاليا لذلك العهد جماعة من الجنود
المأجورين الذين لا وطنية لهم يقاتلون تحت راية كل ذي ثروة
مطاع يكثر بهم وكان من زعمائهم رجل أصله حراث يدعى
سنورزا اتوندولو استخدمه فيليب ماري فيسكونتي في مآربه
ثم زوجه ابنته وأبامات استولى سنورزا على ميلانو (١٥٤٠) وفي
الوقت نفسه قام بالامر في شمالي إيطاليا أحد المأجورين من

وكانت جنوا تنازع بيزا على كورسيكا وسردينيا فخاربتها وهدمت بحريتها (١٢٨٤) فزحف أهل توسكانا على أملاك بيزا يقسمونها وأما العاصمة فقاومت الحصار أشد المقاومة تحت قيادة رئيسها الشهير اوغولين ثم سامت وهدمت وعلى أثر هذه الحرب سادت فلورنسا على توسكانا ولكنها لم تلبث ان عدت عن مقاتلتها وحوّات سلاحها عنها لتتنازع في داخليتها وكان فيها حزبان الكفزيون والجيبيون يقتلون اقربا شديداً . وكان دانتى الشهير أبو اللغة الايطالية وأمير شعرائها يبكي في منفاه أسفاً للشقاق الفاشي في وطنه وفي سنة ١٣٤٧ قام خطيب من النواب في رومه يدعى ريانزي وحاول اعادة الجمهورية الصالحة اليها وجعل رومه الكافلة لاستقلال ايطاليا فصنف الشعب لمشروعه أولاً ثم قتله ذلك الشعب نفسه بايعاز من معتمد البابا .

﴿ فصل ﴾

﴿ في رجوع البابوية الى رومه (١٣٧٨) وقيام الامارات ﴾

رأى البابا من ثورة ١٣٤٧ دلائل عدم الرضى عن انتقال الكرسي الرسولي من رومه فرجع اليها سنة ١٣٧٨ ولم يستطع مع ما كان عليه من ضعف السطوة ان يعيد السلام الى ايطاليا . وكانت في تلك الاثناء فلورنسا مبتلاة بشقاق مستمر بين

بينما كان هذا النزاع قائماً في الجنوب تخلصت الولايات الشمالية من ربقة صقاييا بعد تخلصها من الربقة الالمانية وأخذت تختبط في داخلتها وتحولات على أثر ذلك لمبرديا الى امارة استبدادية وتوسكانا الى حكومة ديمقراطية والبنديقية الى جمهورية ارستقراطية وهي التي الساطة العليا فيها لاشرفاء ورومانيا الى حكومة امتزجت فيها الانواع الثلاثة المتقدم ذكرها فلم تكن ذات شكل يعرف . وفي سنة ١٢٩٧ حذرت البنديقية الذين يجوز انتخابهم لادارة احكامها في عدد معلوم من البيوتات . وبعد ذلك بمدة وضعت سجلا سمي بالكتاب الذهبي دونت فيه اسماء اعيانها وكان ذلك منشأ ما آلت اليه هيئة حكومتها يوم مسخت بمجلس سمي مجلس العشرة وكان أعضاؤه لا يعينون الا من أهل البيوتات المذكورة في السجل الذهبي .

وفي سنة ١٢٨٢ تأصل الروح الذي تمقراطي في فلورنسا الى حد أنها جعلت الحرف الدنيئة في مصف الزنون الجميلة ومنحت المشتغلين بهذه وتلك حقوقاً متساوية وقررت ان لا يقبل شريف في منصب الا اذا تخلى عن نسبه ولقبه قبل ذلك ثم قسمت سكانها الى عشرين فرقة لكل منها رئيس وجميع رؤسائها رئيس أعلى .

وهذا النظام الجديد اوجب اكثر المدائن كتوسكانا ولوك وبيزا وجنوا وغيرها فاخذته عنها الا أنه لم ينتج فيها الا التنافر والتخاذل

جمهورية كثيرة متناظرة وبقي أخو امبراطور المانيا فريدريك الثاني ماكا على نابولي وكان يدعى منرد وقد قاوم البابا فاستعان عليه بكارلوس دانجو ومنحه ملك نابولي مكانه على ان يعترف بالسيادة للكرسي المقدس ويؤدي له الجزية سنويا ويتنازل له عن مقاطعة بينيفنت . (١٢٦٥) فخارب كارلوس منرد وقتله فجاء حفيد لفريدريك الثاني من المانيا يطالب بارث أبيه فغلب وقتل أيضا وبه انقضت سلالة آل سواب (١٢٦٨) ولما استتب الامر للمتصر استولى على أكثر اقسام ايطاليا خلافا لما وعده وكان يتوهم انه يعيد ساطنة الغرب غير ان الحرب الصابية التونسية (١٢٧٠) التي اشترك فيها ومعارضة البابا له كفتاه عن مقصده موقفا فلما استأنف المسعى لانفاذه حدث مذبة الفرنسيين في صقليا (١٢٨٢) وانضمت هذه الجزيرة الى بطرس الثالث ملك اراغون الذي كان من أنصار المؤامرة التي جرت فيها ثم أحرقت أساطيل كارلوس وأسر ابنه كارلوس الاعرج في معركة بحرية أخرى ثم عقدت معاهدة ١٢٨٨ وبموجبها منحت صقليا لأحد أبناء ملك اراغون . ولكن البابا أعاض آل انجو عن فقد صقليا بمنحه أحدهم في سنة ١٣١٠ تاج المجر .

﴿ فصل ﴾

﴿ في الجمهوريات الايطالية . وذكر الكافيين والجيليين ﴾

اما البرتغال فخرجت من التبعية لقشتاله في عهد يوحنا الاول
 رأس آل آفيس وكان بطلا مقداما تولى الملك في سنة ١٣٨٣ مكان
 آخر سايل من آل بورغونيا الذين انقضوا وانتصر في البوجاروتا
 (١٣٨٥) على القشتاليين فاستقل ببلاده ثم وجه نظره الى افريقيا وفي
 سنة ١٤١٥ فتح مدينة سبته في شمالي مراکش . وخلصه أصغر أبناءه
 فاقام في قرية ساغرس بقرب رأس القديس فنسان واستدعى
 اليها الملاحين ورجال البحر وشيد جمعية علمية ملاحية جغرافية
 ثم أطلق بحريته في المحيط فاكتشفوا بورتوسانتو وهي احدى
 جزائر ماديرا سنة ١٤١٧ وغرسوا فيها السكر وقصب السكر ثم
 منح البابا غفرانا عاما لجميع الذين يسافرون في سبيل الاكتشاف
 من البرتغاليين وأعلن ان كل أرض جديدة تكتشف من جزائر
 كاناري الى الهند تكون ملكا للبرتغال فتضاءل نشاط الملاحين
 وفي سنة ١٤٣٣ اجتازوا رأس بوجادور ثم الرأس الابيض ثم الرأس
 الازرق (١٤٥٠) ثم جزائر أسور . وبعد ذلك بنصف قرن
 اجتاز فاسكو دي غاما رأس الرجاء الصالح .

﴿ فصل ﴾

﴿ في تولية كارلوس دانجو على مملكة نابولي (١٢٦٥) ﴾

عندما انفصلت ايطاليا عن السلطنة الجرمانية انقسمت الى

بعد ذلك الا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر حين تولى
اليصابات وفرديناند الملقب بالكاثوليكي .

أما مملكة اراغون فانها في هذه الاثناء ضمت اليها روسينايون
وسردانيا ومونبلية وتداخات (١٢١٣) في مسألة الاليجوا التي
قتل فيها ملكها بطرس الثاني وقات دخول صقليا في ولايتها بمد
أن ذبح الفرنسيون فيها وفي سنة ١٤١٠ انقضت سلالة ملوك
برشلونة وانتقلت تيجانها الى أمير من كاستيليا توفي عن ولدين
احدهما الفونس الخامس الذي تبنته يوحنة ملكة نابولي وجعلته
ملكاً على جزيرتي صقليا والآخر يوحنا الثاني الذي جرع صهره
السم وضم نافاربا الى الاراغون تحت سلطته ثم خلفه فرديناند
الكاثوليكي الذي تزوج باليصابات سنة ١٤٦٩ فتمت باقترانهما
وحدة اسبانيا وعظمتها .

واقدم وجد النظام الاقطاعي في اسبانيا لذلك العهد كما وجد في
هاثر أوربا ولكنه كان يختلف في قشتاله عما كان عليه في غيرها
من حيث لم يكن بين الاهالي ارقاء ولم يكن بين الشرفاء والعامّة
انفصال تام وتباعد عظيم ولذلك قبل في مجلس نواب قشتاله
مندوبون عن أهل المدائن في سنة ١١٦٩ على ان الحالة الاقطاعية
كانت أشد استحكاما في ارغوان وأكثر انطباقا على ما كان جاريا
في سائر الامصار الغربية

— ❦ الباب الخامس والاربعون ❦ —

﴿ في اسبانيا وايطاليا من سنة ١٢٥٠ الى سنة ١٤٤٣ ﴾

• وذكر اعمال ملوك اسبانيا للحرب الصليبية •

(وخصوصاتهم الداخية)

لما قوي ملوك اسبانيا على المغاربة لم يتابعوا محاربتهم ليرجعوا
الى البحر ويجلوهم عن بلادهم بل أغرام الطمع فالتفتوا الى التداخل
في مسائل اوروبا . فنظر ملك نافاربا الى الشمال وزوج ابنته
لفيليب ليبيل فانضمت نافاربا الى أملاك تاج فرنسا . وأراد الفونس
العاشر ملك قشتاله (١٢٥٢) ان ينتخب امبراطوراً لالمانيا فانفق
مالاً كثيراً بلا جدوى وفي اثناء اشتغاله بهذا المنصب تأمر عليه
جماعة من اعيان مملكته وخصومه وألقوا الملائكة واستنجدوا
بالمغاربة فاستنجد هو بهم أيضاً فقمع الثورة فخلفته الامة واذ كان
ابنه البكر قد توفي اقامت ابنة الثاني دون سانش ملكاً عليها
(١٢٨٢) خلافاً لما كان قد قرر من كون ميراث التاج يقع الى اكبر
ابنائهم ثم الى اكبر ابناء ووارثه وهكذا بالتسلسل واستمرت
قشتاله على ما هي عليه من الاضطراب ولم يظفر بين ملوكها رجل
يذكر الا الفونس الحادي عشر الذي غلب المغاربة في ريوسالادو
وردت بذلك الغارة الثامنة لهم على اسبانيا ولم يرتفع شأن لهذه المملكة

﴿ فصل ﴾

﴿ في الاصلاحات وفي انتصارات كارلوس السابع ﴾

لما جرت هذه الحوادث تذكروا بورغونيا انه فرنسوي فغدر بالانكايز وعقد مع كارلوس معاهدة آراس (١٤٣٥) التي نال بمقتضاها مدائن مقاطعة السوم وكونتيتي او كسير وما كون ما كاً له لا سيادة لاحد عليهما . وفي السنة التالية فتحت باريس ابوابها لكارلوس السابع . وكانت رذائله قد تحوالت الى فضائل فترب اهل الذكاء والدهاء والشجاعة وفي سنة ١٤٤٤ عقد مع الانكايز هدنة ستمتين . واخذ ثورة قام بها الشرفاء عليه تخوفاً من تعاضم سلطته وكانت ولايات اورليان في سنة ١٤٣٩ قد رأت وجوب تأسيس جيش مستديم وقررت لذلك مايونا ومئتي الف دينار فاشتد ساعد كارلوس بهذه القوة الجديدة وطور بها فرنسا من قطاع الطرق وأرسل جانباً منها الى ولي عهده وكان يقاتل السويدن ثم حالهم لا عجا به بما رآه من بسالتهم . وعند ما أتم كارلوس هذه الاصلاحات نوى ان يتخلص من الانكايز بضربة تكون قاضية عليهم فنزلهم في فورميني (١٤٥٠) ودحرهم وطردهم من غويانه فلم يبق لهم الا كاله . وكانت هتان المعركتان نهاية حرب المئة السنة التي نتج منها تأييد السلطة الدستورية في انكلترا والمملكة المطلة في فرنسا .

﴿ فصل ﴾

﴿ في كارلوس السابع (١٤٢٢) وقيام جان دارك (١٤٢٩) ﴾

وتوفي هنري وكارلوس في السنة الواحدة (١٤٢٢) فقام على فرنسا ملكان هنري السادس الانكليزي في باريس وكارلوس دي فالوا السابع في جنوبي نهر اللوار . وكان كارلوس السابع وحاشيته لايفكرون الا في الملاهي فنتج عن ذلك ان انتصر الانكليز على جيوش هذا الملك في موقعين احدهما في سنة ١٤٢٣ والاخرى في سنة ١٤٢٤ ثم طردوا عساكره من بورغونيا ونورمنديا وفي سنة ١٤٢٨ حاصروا أورليان وفتحوها (١٤٢٩) فظهرت عند ذلك جان دارك . وكانت هذه الفتاة من قرية دوسريمي على تخوم اللورين فأتت بلاط كارلوس السابع زاعمة انها مرسله من الله لانقاذ اورليان وتويج الملك واعجب الناس بفضائلها وايمانها وعواطفها الوطنية فتبعها جمهور كبير من الضباط الباسلين فاخذت اورليان من الانكليز في عشرة ايام (١٤٢٩) ثم انتصرت عليهم في باتاي وأسرت قائدهم وذهبت بالملك الى مدينة ريمس فتوج فيها . وعندها أرادت ان تعزل خمات على مداومة القتال فوقت في أيدي الانكليز في أثناء دفاعها عن كومبياني وأحرقوها في مدينة روان بدعوى انها ساحرة (٣٠ مايو ١٤٣١)

ان أحد المنفيين هنري دي لانكاستر دبر مكيدة عظيمة للملك فلم يشعر رينكاردوس الا وهو مخذول من الامة على اختلاف طبقاتها وعزله البرمان « لانه خرق قوانين الامة ولم يراع امتيازاتها » (١٣٩٩) وبعد ذلك بسنة قتل الملك في سجنه

﴿ فصل ﴾

﴿ في هنري الرابع ومعركة آزنكور (١٤١٥) ومعاهدة تروي (١٤٢٠) ﴾

قضى هنري الرابع سني مملكة الاربعة عشرة ليشغل بتأييد التاج لاهل بيته وعندما حضرت مدينه اوصى ابنه باستئناف محاربة فرنسا ليشغل بها بارونيته عن الفتن فلم تكن سنة ١٤١٥ حتى انتصر الانكليز على الفرنسيين انتصاراً مبيئاً فسقطت من أجل ذلك حكومة الأرمانيك ودخل البورغونيون باريس فأسالوا الدماء فيها انهاراً (١٤١٨) ثم شرع الإنكليز ينهبون نورمنديا ويأخذون مدنها واحدة بعد الاخرى . وفي سنة ١٤١٩ استولوا على روان . وفي هذه الاثناء قتل دوق بورغونيا ملك فرنسا وكان يدعى يوحنا الذي لا يخاف فتحول دوق بورغونيا الجديد المسمى قليب الصالح الى الانكليز وحالفهم فأصبحت باريس ومملكها في قبضتهم فعتد هنري الخامس مع فرنسا معاهدة تروي وقضى بها انه يكون هو الذي يخلف ملك فرنسا . ولذلك تزوج ابنته (١٤٢٠)

التوراة الى الانكليزية وبث افكاره في الامة بثا معجلا وهو مع ذلك آمن على نفسه مما أصاب العالم لولا رقبه حيث احرق حيا في كولونيا لابدائه مثل هذه الاراء (١٣٢٢) ثم قام رجل يدعى جوهن بول من اتباع ويكاف وأخذ يعلم الناس « انه لم يكن في الدنيا شريف حين كان آدم يحرث وحواء تغزل » فآثر ذلك في العقول تأثيراً عظيماً وكان تمهيداً لما أحدثه لوثير من الثورة المذهبية في القرن السادس عشر وديكارب من الثورة المعتقدية في القرن السابع عشر ورجال الفلاسنة من الثورة السياسية في القرن الثامن عشر .

﴿ فصل ﴾

﴿ في ريكاردوس الثاني (١٣٨٠) وذكر خالعه (١٣٩٩) ﴾

بعد ان جلس ريكاردوس الثاني ابن الامير الاسود على عرش انكترا بسنة وصل ستون الف نائر الى أبواب لندره (١٣٨١) وطالبوا الغاء الاسترقاق وحرية البيع والشراء في الاسواق الخاصة والعامه وما شا كل ذلك من المطالب العظيمة فنجوا وعوداً شائقة ولما تفرق جمعهم اهلك منهم ١٥٠٠ . وكان لملك اعمام ثلاثة أشهر من اعمام لويس السادس فنولوا رئاسة حزب المعارضة له فقتل احدثهم بدسيسة وأهلك عدداً كبيراً من النبلاء فساد الخوف . غير

حتى أصابه جنون فاخصم دوق بورغونيا عمه ودوق أورليان أخوه
على خلافته الى أن أمات الاول الثاني بدسيسة (١٤٠٧) . وعلى أثر
هذه المنازعة وقعت حرب أهلية بين حزب من الشرفاء سمووا
بالارمنياك انتساباً الى تزعيمهم كونت ارمانياك وحزب من الدوقة
سموا بالبورغونيين انتساباً الى دوق بورغونيا ففاز هذا الفريق
أولاً وذبح كثيرين من الاعيان ثم فاز الارمانياك سنة ١٤١٣ من
حين أعادهم حزب المعتدلين الى باريس وبعد ذلك بسنتين استؤنفت
حرب المئة السنة .

﴿ فصل ﴾

﴿ في حدوث ثورة في انكلترا وذكر ويكف ﴾

بينما كانت فرنسا مشغولة بحربها الالهية كانت انكلترا مبتلاة
بمثل ذلك لان العامة فيها أصبحت لا تطيق اعباء سادتها ولان ذوي
المتاجر أخذوا ينكرون في تأمين أموالهم من الاعيان الذين كانوا
يسلبون كل شيء حتى أموال الكنيسة . وفي سنة ١٣٦٦ طالب
البابا أوربانوس الخامس انكلترا بمناخله عليها من الجزية التي وعده
يوحنا سان تير بتأديتها لاكرسي المقدس فأبى البرلمان ذلك عليه
وانتهز هذه الفرصة راهب يدعى ويكف فجعل يطعن على ترتيب
الكهونات وتعاليم الكنيسة الخارجة عما ورد في الانجيل وترجم

مزايه انه كان محبا للعدل منسظا لاهل الآداب والمعارف وهو
الذي شيد المكتبة المكيية فكان فيها ٩٠٠ مجلد عندما ادركه اجله

سنة ١٣٨٠

الباب الرابع والاربعون

في فرنسا وانكلترا بعد ادوارد الثالث وكارلوس الخامس

وذكر القسم الثاني من حرب المئة السنة

(١٣٨٠ - ١٤٥٣)

فصل

في كارلوس السادس (١٣٨٠) وهبة سكان المدائن

حالات الفتن والاضطرابات الداخلية دون استئناف الحرب
مدة ٣٥ سنة (١٣٨٠ - ١٤١٥) بين فرنسا وانكلترا. وعندما
ملك كارلوس السادس كان قاصرا فذهب عنه في تولي الحكم أعمامه
الاربعة وكانوا يظلمون ويقتسمون دخل المملكة حتى اذا ثقلت
وطأة ما وضعوه من الضرائب الجديدة على العامة ثارت في باريس
وفي مدائن أخرى كثيرة فقاتلها الاوصياء وعاقبوا بعض الثائرين
عموبات هائلة أخذت أنفاس الباقين. ثم رجعوا الى باريس واستدروا
يعودون الملك على عيشته الرخاء والدعة والانهماك في الشهوات

﴿ فصل ﴾

﴿ في كارلوس الخامس (١٣٦٤) ودوكيكين ﴾

نخافه ولي العهد وسمي كارلوس الخامس ولقب بالحكيم
 (١٣٦٤ - ١٣٨٠) فاخرج فرنسا من وهدة الشقاء التي كانت فيها
 اذ أنه بعد ان ترك الاعداء في حالة النار تأكل نفسها وتحصن
 واستعد بحزم وترو حارب ملك نافاريا فقهره في كوشريل (١٣٦٤)
 وكان النضل في هذا الانتصار لضابط بريتاني يدعى دو كيكين
 رقاہ الملك بعد ذلك الى رتبة كونيابل وهي من أعلى رتب المماكة
 ثم أرسله الى بريتانيا ليضمها الى أملاك التاج فلم يوفق فيها بل أسر
 واضطر الملك ان يعترف بيوحنا مونتفور دوقاً عليها .

وفي سنة ١٣٦٩ تكدر الغسقونيون من مظالم الامير الاسود
 فاستغاثوا بكارلوس الخامس فاستصدر حكماً بانزع هذه المقاطعة
 منه وكان ذلك اعلان حرب . وكان ادوارد غير مستعد لها وكارلوس
 على تمام الالهبة ومع ذلك ارسل ادوارد جيشاً انكليزيا جراراً الى كاله
 في سنة ١٣٧٣ فاجتاز فرنسا الى بوردو ولكن لم يسلم منه الا ستة آلاف
 جندي ثم ان الانكليز لم يبق لهم من فتوحاتهم في فرنسا الا بايونه
 وبوردو وكاله عند ماتوفي ادوارد الثالث (١٣٧٧)

وقد وفق كارلوس الخامس هذا التوفيق لدهائه وحكمته ومن

كان غير مناسب فيئس اتيان مارسل لسان نواب العامة لاصرار
ولي العهد على ابائه وذبح اثنين من وزرائه تحت عينيه لارهابه فكان
فعله هذا والجنايات التي ارتكبها الفلاحون حين ثاروا بسبب المجاعة
التي عضتهم بانيابها في اثناء الحرب مما اضعف سطوة حزب العامة
ثم حدث ان مارسل المتقدم ذكره اتفق سرا مع ملك نافاريا على
ان يسلم له باريس فكشفت دسيسته وقتل وبسقوطه سقط حزبه
(١٣٥٨).

﴿ فصل ﴾

﴿ في معاهدة بيتيني - ١٣٦٠ ﴾

وأذ تخلص ولي العهد من مارسل عقد معاهدة مع كارلوس
الردئي ضمن بها ابتعاده وحياده ثم اتفق مع النواب على النفاء
معاهدة وخيمة العواقب كان الملك قد وقع عليها للنجاة من أسره
غير انه وقع على معاهدة أسوأ منها تعرف بمعاهدة بيتيني (١٣٦٠)
وكان من مقتضاها ان يتخلى ادوارد عن المطالبة بتاج فرنسا وفي
مقابلة ذلك يمنح ملكية اربع عشرة مقاطعة ومدينة بفرنسا.
ومن منمات النجوس في عهد الملك يوحنا ان دوقية بورغونيا آلت
الى التاج بانقراض اصحابها (١٣٦١) فاقطعها ابنه الرابع فيليب
الجسور وتوفي سنة ١٣٦٤

سنة ١٣٤٦ وأسر ملك فرنسا في هذه الموقعة .

﴿ فصل ﴾

﴿ في نهضة الشعب ﴾

وأحدث توالي الفشل وأسر الملك والسواد العظيم من النبلاء هرجاءً بين الأمة فحوّلت ادارة الشؤون العامة لنوابها تحت رئاسة ولي العهد كارلوس . وكانوا قبل ذلك قدأبوا أن يأذنوا بفرض ضريبة جديدة وجمع اعانة للحرب حتى يطرد جمهور من كبار عمال المالية ورجال القضاء ويحاكموا على سوء سيرهم . ويؤلف مجلس منتخب من نواب الطبقات الثلاث الشرفاء والسكينة والعامه لادارة حركة الحكومة . ثم ان النواب عقدوا جمعيتهم في سنة ١٣٥٧ فزادت جراتهم فالفوا لجنة اعضاؤها ستة وثلاثون اراقبة كل عمل يجري في الحكومة وحملوا ولي العهد على اصدار ماسمي بلائحة الاصلاح الكبرى التي تعهد فيها بان لا يضرب ضريبة الا باذن النواب وأن يعهد في جباية الضرائب وانفاق دخلها الى المندوبين لذلك من قباهم وأن يهذب القضاء ويمتنع عن التلاعب بالنقود وماشا كل ذلك . ثم ان ولي العهد لم ينفذ تعهده فثار أهل باريس لجمه على اغاذه ولكن أهل المدن الفرنسية الاخرى لم يشتركوا معهم في ذلك لان الوقت الذي اختير لتلك الاصلاحات

ورئيس الحزب الفرنسي في الثانية .

﴿ فصل ﴾

﴿ في يوحنا الصالح (١٣٥٠) ومواقعة بواتيه (١٣٥٦) ﴾

ولما استوى يوحنا الصالح على العرش (١٣٥٠) كانت فرنسا في حالة سيئة ناشئة عن الفشل السابق وفقد كاله ودعوى ملك نافاريا انه ذوحق بتاج فرنسا ورثه من أمه . وجاءت فوق ذلك مطالبة جمعية النواب التي عقدت في سنة ١٣٥٥ باصلاحات جمّة أشبه بما تضمنه التعهد الكبير الانكليزي منها ولكن انفاذاها كان يستحيل في ذلك الوقت بالنظر الى حرج موقف فرنسا امام انكلترا.

وكان في جملة الاصلاحات المطلوبة ما لا يرضي الشرفاء فتآمروا تحت رئاسة ملك نافاريا كارلوس الملقب بالردى فقبض الملك يوحنا على كثيرين منهم كانوا مدعويين الى مأدبة في قصر ابنه كارلوس وقتلهم فانهز الانكليز فرصة هذه الحركة الداخلية وأرسلوا دوق لانكاستر الى نورمنديا والامير المعروف بالاسود الى غويانه فتقدم الاسود الى اللوار فقطع عليه الملك الطريق بخمسين الف مقاتل ولكنه استعمل من الحكمة والدهاء ما جعله يفوز مع قلة رجاله فوزاً تاماً على الفرنسيين وذلك بقرب بواتيه

فيها حادث ذو شأن سوى انكسار الاساطيل الفرنسية في موقعة
بقرب مدينة اكلوس الهولندية { ١٣٤٠ }

وجرت ايضاً منازعة في بريطانيا بين كارلوس دي بلوا زعيم
الحزب الفرنسي وجان دي مونفور صديق الانكليز فدارت
الدائرة على الاول مع أن جاك ارتفلت رئيس الثورة كان قد مات
وبقيت الصولة لانكلترا في بريطانيا وفلمنك

﴿ فصل ﴾

﴿ في موقعة كريسي (١٣٤٦) ﴾

وفي سنة ١٣٤٦ اشتد القتال فدخل ادوارد فرنسا ماراً بشبه
جزيرة كوتانتينا ووصل الى وسط نوره منديا وعزم ان يزحف منها
على باريس غير انه أعوزته الميرة فرجع نحو الشمال ليدنو من فلمنك
وكان فيايب دي فالوا في مقدمة ٦٠٠٠٠ مقاتل فلم يقطع الطريق
عليه لجهله ثم قتله بقرب كريسي فانتصر الانكليز مع قلة عددهم
وقتلوا كثيرين من الفرنسيين واستخدموا المدافع في هذه المعركة
وكان ظهورها في ميادين القتال لأول مرة . ثم تراجع هنري
متقهماً الى مدينة كاله ففتحها بعد حصار استمر سنة (١٣٤٧) وحفظها
الانكليز قرنين كاملين . ومن توفيقات هنري انه فاز فوزاً ثانياً
في اسكتلنده وبريتانيا وسجن رئيس حزب الاستقلال في الاولى

❖ الباب الثالث والاربعون ❖

❖ في القسم الاول من حرب المئة السنة (١٣٠٨ - ١٣٨٠) ❖

❖ فصل ❖

❖ في اسباب هذه الحرب وذكرك فيليب دي فلوا « ١٣٢٨ » ❖

❖ وادوارد الثالث « ١٣٢٧ » ❖

كان ادوارد الثالث على ما قدمناه حفيداً من أمه فيليب اميل يتجاهل القانون السالي ويدعي ان له الحق بالملك على فرنسا . غير انه لما جلس فيليب دي فالوا على عرش تلك البلاد تظاهر بالاقلاع عن دعواه وكظم غيظه الى ان ثار الفلمنك بقيادة خماريدي جاك ارتفتت وخلصوا كونتهم الذي كان صديقاً لفرنسا وجعلوا ادوارد ملكاً شرعياً عليهم .

❖ فصل ❖

❖ في المواقع التي جرت في فلنك وبريتانيا (١) « ١٣٣٧ » ❖

فابتدأت الحرب سنة ١٣٣٧ واستمرت ثماني سنين لم يحدث

(١) هو اسم مقاطعة فرنسية نكتبه بهذا الرسم تمييزاً له عن لفظة بريطانيا التي

هي اسم آخر لانكلترا .

في أعماله . وقد غابه القديس لويس في تايلبرج وفي سانت كما عرفنا ولما انتخب أخوه ريكاردوس دوق كورنوايل امبراطوراً لالمانيا حمل انكثرا من النفقات ما لا يطاق فنتج من كل ذلك ان ضاقت الصدور وحنق الناس عليه

﴿ فصل ﴾

﴿ في اول برلمان انكليزي (١٢٥٨) ﴾

وفي اليوم الحادي عشر من شهر يونيه سنة ١٢٥٨ انعقد الاجتماع الوطني الكبير في اوكسفورد للمرة الاولى وسمي فيها بالبرلمان رسمياً فأقنع البارونية الملك بان يعهد في اصلاح شؤون المملكة الى ٢٤ منهم اثني عشر يعينهم هو واثني عشر ينتخبونهم هم . ثم نشر هؤلاء المندوبون الاربعة والعشرون دستور اوكسفورد ومن مقتضاه ان يثبت الملك التعهد الكبير الاول وان المندوبين يعينون في كل سنة الوزير الاكبر ووزير المالية والقضاة وسائر الموظفين المنوطة بهم شؤون عامة وحكام القصور الخ . وان المخالفة لقراراتهم تكون جريمة من الجرائم الكبرى وان البرلمان يدعى للاجتماع كل ثلاث سنين . فاحتج هنري على هذا الدستور وحكم في الامر القديس لويس بحكم له فأبى البارونية قبول هذا الحكم وثاروا عليه مسلحين تحت قيادة كونت لايسستر سينون دي منفور

جزيرته وجد البارونية ثأرين عليه واضطروا الى التوقيع على ماسمي
 بالتعهد الكبير (١٢١٥) وهو تعهد كان أساس النظام الدستوري
 الانكليزي ضمن به الملك بقاء امتيازات الكنيسة على ما كانت
 عليه ووعد بانه لا يتجاوز ما وضعه هنري الاول من الرسوم على
 الزواج والحماية وغيرها وان لا يفرض ضريبة بدون موافقة المجلس
 العام عليها وان يمنح الحرية الشخصية والاستقلال للقضاة والمحلفين
 بما يكفل للمتهمين العدل في الاحكام. ومن مقتضى هذا التعهد
 أيضاً ان تتألف لجنة من ٢٥ بارونا تناط بها مراقبة تنفيذ الدستور
 الجديد واستخدام جميع الوسائل لحمل الملك على تلافى كل خال.
 ولما انقضى الخطر اراد الملك ان يمزق التعهد وأذن له بذلك
 البابا فاستعان البارونية عليه بابن فيليب اغسطس وكادوا يماكونه
 على بلادهم لو لم يمت يوحنا (١٢١٦) فأثروا عند ذلك استخلائه
 بابنه وكان طفلاً قاصراً على ولي عهد فرنسا مع ما هو عليه من
 السطوة وماله من ضخامة الملك.

﴿ فصل ﴾

﴿ في هذي الثالث (١٢١٦) ﴾

كان هذا الملك بعد خروجه من الوصاية كثير البدوات
 وتقلب الافكار مستبداً بارادته لا يابوي على نظام او دستور

حرم رومه بينما هو مستغرق الوقت في محاربه لابنائه . أما ابنائوه
 فهم هنري كورت مانتل دوق مانه وانجو وريكاردوس قلب الاسد
 دوق اكيثانيا وجوفروا دوق بريتونيا وفي المدة الاخيرة من
 عصيانهم لوالدهم انضم اليهم اخوهم يوحنا سان تير . وتوفي ذلك الملك
 الشقي في أثناء هذه الحرب التي اقامها على بنيه وعلى ملك فرنسا الذي
 كان آخذاً بنصرتهم . وكان في سنة ١١٧١ قد فتح شرقي اراندا
 وجنوبها .

﴿ فصل ﴾

﴿ في ريكاردوس (١١٨٩) ويوحنا سان تير (١١٩٩) ﴾

خلف ريكاردوس أباه وعرفنا ما كان منه في الحرب الصليبية
 وفي عوده منها وحين أدركه أجله خلفه أخوه يوحنا سان تير وكان
 خلوا عن كل فضيلة حتى الشجاعة . وقد فقد تورينو وانجو ومانه
 ونورمنديا وبواتو (١٢٠٣ - ١٢٠٥) لجناية ركبها وعاقبه عليها
 فيليب اغسطس كما رأينا ثم شرع في تجديد منازعات أبيه الكنيسة
 بدون تعطل فخرمه البابا وأذن لاغسطس ان يفتح انكاثرا فتدال
 يوحنا له ووعد به بحمل الجزية اليه واعترف بانه تحت سيادته (١٠١٣)
 ثم أراد الانتقام من فرنسا فحاربها مع الحلفاء الذين استنصر بهم
 عليها فكسروا في موقعة بوفين على ما علمنا وما رجع يوحنا الى

١١٥٤ جلس على أريكة انكلترا في الواحدة والعشرين من عمره
ولما شب أحد ابناه زوجه من وارثة لمقاطعة بريتانيا . فاصبح بذلك
ذا قوة هائلة ولكنه أضاعها في محارباته للكهننة ولابنائه الذين
عصوه .

وكان غليوم الفاتح قد اعفى القسوس من المحاكمة في غير المحاكم
الكنسية فنتجت عن ذلك منكرات كثيرة أراد هنري الثاني
ان يضع لها حداً فعين أحد مقربيه توماس بيكت رئيساً للاساقفة
في كانتوربري . ثم عقد جمعية في كلاندون قررت ان يحاكم أهل
الكهنوت امام المحاكم الالهية كسائر الناس وانه لا يجوز لكاهن
ان يخرج من انكلترا بدون اذن الملك وان الملك يكون صاحب
السلطة على كل ابرشية أو اقطاع كنسي بموت متوليها . وانه
يستغل ايرادهما مدة خلوهما من خلف للمتوفى . فلم يوافق بيكت
على هذا القرار وفر الى فرنسا من وجه الملك ثم أصبح مملك فرنسا
فعاد رئيس اساقفة كانتوربري الى انكلترا مصراً على رأيه فعيّل
صبر هنري وهدده بمسمع من بعض الفرسان فظنوا التهديد ارادة
حقيقية للملك وقتلوا بيكت في داخل الكنيسة (١١٧٠) ولما رأى
هنري ما كان من الكدر العام الذي احدثته هذه الجناية عدل
عن قرار كلاندون وتاب وصلى على قبر « الشهيد » . على أنه
كان ولا رب يأبى ان يتذلل الى هذا الحد لو لم يخف ان يقع عليه

انكرا ثم حارب لويس السمين وقد حاول ان يستخلف ابن روبرت
 غليوم كاتين على دوقية نورمانديا كما سبق الالماع الى ذلك فنسكل
 بجيشه (١٠١٩) ولما انتقل هنري الاول الى الدار الاخرى كان
 الحق بخلافته يأول الى ابنته ماتيلده ارملة الامبراطور هنري الخامس
 وامرأة جوفروا بلا تجنه كونت انجو غير أن آيان دي بلو ابن أخي
 الملك المتوفى اغتصب تحت الملك فخاربه الاميرة مستعينة عليه
 بحلفائها اهل اسكتلنده فاستظهر على جيشهم واسكنه لما اتي
 جيش الاميرة غلب وأسر ومع ذلك وقع الاتفاق بين الفريقين على
 أن آيان يستمر متقلداً زمام الملك ثم يخلفه هنري دانجو ابن الاميرة
 المشار اليها .

﴿ فصل ﴾

﴿ في هنري الثاني — ١١٥٤ ﴾

وكانت أم هنري بلا تجنه قد تنازات له عن نورمانديا ومانه
 سنة ١١٥١ بعد ان ورث من أبيه انجو وتورينو فلما تزوج في السنة
 التالية ايلينورا مطلقه لويس ملك فرنسا ضم املاكها الواسعة
 الى أملاكه وكانت مقاطعات بوايه وبوردو وأجن وليموج عماراً
 لها ومقاطعات اوفرنيا واونيس وسانتونج وانبجوما ومارشه وبريفور
 تحت سيادتها وكل ذلك اخذه هنري مهراً من قرينته وفي سنة

وأمر بفتح الاراضي فتم ذلك من سنة ١٠٨٠ الى سنة ١٠٨٦ التميز به الاملاك بعضها من بعض وكان عدد الذين وزعت عليهم ست مئة بارون يليهم ستون الفأمن النرسان (شفاليه) وفوق الجميع الملك الذي استبقى لنفسه ١٤٦٢ قسراً بتوابعها وجميع المدائن الكبيرة. وكان هؤلاء الملاك المستحدثون من كبار وصغار تابعين مباشرة للملك يقسمون له بين الطاعة والامانة. وسنرى ان هذا التقسيم المحكم والنظام الذي لم يوجد مثله في أوروبا هو الذي قامت به قوة انكلترا.

﴿ فصل ﴾

﴿ في غليوم الثاني (١٠٨٧) وهنري الاول (١١٠٠) واريان (١١٣٥) ﴾

توفي غليوم الفاتح سنة ١٠٨٧ في حملة له على ملك فرنسا فيليب الاول لانه كان قد فتح القسم الفرنسي من مقاطعة فلكسين خلفه ابنه غليوم الثاني على انكلترا وابنه روبرت « ذو الفخذ القصير » على نورمنديا. وقد حاول روبرت ان يتزع من أخيه تاج انكلترا فلم يفلح فسافر للاشتراك في الحرب الصليبية وفي أثناء غيابه مات أخوه غليوم الثاني فجلس أخوه الاصغر هنري الاول على عرشه فلما طالبه روبرت بحقه الذي اختلسه ظهر عليه هنري في موقعة تينشبري { ١١٠٦ } وضم نورمنديا الى

هذا النزاع عنصر ثالث وهو عنصر النورمانديين. وذلك ان الامراء ذوي الاصل السكسوني كانوا قد لجأوا الى نورمنديا بفرنسا بعدما انتزعت منهم سلطتهم وأموالهم فلما جلس ادوارد الملقب بالمعترف على عرش انكلترا استدعى كثيرين من النورمنديين وقربهم اليه ووزع عليهم الابريشيات الكبرى فغار السكسونيون منهم وتوصلوا الى طردهم بصولة زعيمهم غودوين. ولما مات غودوين خلفه ابنه هارلد وسافر الى نورمنديا فاعتقله غليوم الى ان وعده بانه يساعده على ركوب سرير انكلترا بعد ادوارد. غير ان الانتخاب وقع على هارالد (١٠٦٦) فتناسى وعده وذهب الى الشمال لردغارة للترويجيين فاستعد غليوم في هذه الاثناء لفتح انكلترا وأذن له بذلك البابا لانه كان مستاء من عدم تأدية الانسكايز للضريبة المسماة بضريبة القديس بطرس فانتصر على هارلد وقتله في موقعة هاستنس (١٠٦٦) واستولى على البلاد فاستمر السكسونيون يقاومونه مستعينين تارة بأهل غاليا البريطانيين (١٠٦٧) وطورا بالترويجيين (١٠٦٩) الى ان خابت آمالهم فلجأ كثيرون منهم الى الغابات كراهة ان يتحملوا ربة النورمنديين

﴿ فصل ﴾

﴿ في صولة الملوك النورمنديين في انكلترا ﴾

قسم غليوم انكلترا بين رفاقه على اختلاف اقدارهم ومهنتهم

عندما جلس اكلية ندوس الخامس على الكرسي البابوي استصدر منه فيليب حكماً قاضياً بتقييح ذكر البابا بونيفاس المتوفى وحكماً آخر قاضياً بتذويب الرهبان الهيكلين وفي ١٣ أكتوبر من سنة ١٣٠٧ قبض عليهم في جميع أنحاء فرنسا وحوكوا وعذبوا حتى اذا أخذت منهم الاقرارات بالجرائم المنسوبة اليهم عقد الملك جمعية النواب في مدينة تور (١٣٨) فقمضت عليهم بأنهم يستحقون القتل فاحرق منهم ٥٤ في سنة ١٣٠٩ وأهلك رئيسهم جاك موله في سنة ١٣١٤ واستولى على ما كان لهذه الرهبنة من الاملاك الواسعة والاموال الطائلة.

﴿ فصل ﴾

﴿ في ثورة أهل فلاندر ﴾

كان فيليب قد استعمل على أهل هذه المقاطعة رجلاً قاسياً ظالماً فثاروا وفي مقدمتهم جاك دي شاتليون على النبلاء وكسروهم في كورتراي (١٣٠٢) غير ان الملك فيليب انتقم منهم باستظهاره عليهم في موقعة أخرى (١٣٠٤) ولكنه مع ذلك لم يبق له من فلاندر الا مدائن ليل ودواي واورشيه .

﴿ فصل ﴾

﴿ في آخر الكابيين من السلسلة الاصلية (١٣١٤ - ١٣٢٨) ﴾

دخله فارس في سنة ١٢٠٠ استقفاً يدعى برنارساسه
ليخاطبه في هذا الشأن فسمح بانفه امام الملك وأهانته فالتقى القبض
عليه فخرمه البابا (١٣٠١) ففقد فيايب أول جمعية للنواب (١٣٠٢)
وكانوا ثلاثة أقسام الشرفاء والسكينة ومنه وبني الشعب فوافقته على
ما فعل وما أراد فاصدر منشوراً يقضي بخضوع الساطة الروحية
للساطة الزمنية وتهدد البابا بأنه يعطي تاج فرنسا لامبراطور المانيا
وفي سنة ١٣٠٣ قام رجل متشرع يدعى غليوم نوغاره واتهم البابا
بالخروج عن المذهب الصحيح ثم متشرع آخر وعرض على الملك
ان يعتمد مجعماً يدعو اليه بونيفاس الثامن لمحاكمته . ولكن الملك
ارسل غليوم نوغاره الى البابا ليناقشه في الدين بشدة ويخينه وكان
هذا الرسول مصطحباً رجلاً ايطالياً فلما اشتدت المحاوره بين البابا
وغليوم ضرب الايطالي البابا بقفازه الحديدي على وجهه فلم يلبث
ان مات من حنقه (١٣٠٣) وتوصل الملك الى استخلافه باحد
صناعه وهو بنوا الحادي عشر ثم باخر وهو اكليميندوس الخامس
الذي نقل الكرسي المقدس من رومه الى افينيون (١٣٠٩) وكانت
مدة اقامته وانامة خلفائه فيها سبعين سنه دعوها باسم بابل لشدة
ما احتملوا فيها من مضايقات فرنسا .

﴿ فصل ﴾

﴿ في اهلاك الرهبان الهيكليين (تاملية) ﴾

ثم زوج كبير ابنته من وارثة نافاريا وشامبانيا تمهيداً لضمها الى التاج أيضاً
وفي عهد هذا الملك ذبح الفرنسيون في صقليا وكانت علامة
هذه المذبحة قرع الاجراس للدعوة الى صلاة المساء (١٢٨٢) واذ
كان ملك اراغون احد المحركين لهذه الثورة أقام عليه فيليب حرباً
لم تنته الا في سنة ١٢٩١ بمقد معاهدة للصلح .

وفي سنة ١٢٨٥ توفي ملك فرنسا . وخلفه ابنه فيليب الرابع
الملقب ليل وعزز المملكة في داخلها . ووقعت خصومة بين فلاحين
فرنسيين وانكليز فجرت حرباً بين الدولتين ضم فيليب فيها مقاطعة
فلاندر وجبس حاكمها في قلعة اللوفر .

﴿ فصل ﴾

﴿ في الخصومة بين الملك والبابا ﴾

واحتاج فيليب الى النقود لتبابعة هذه الحرب وللقيام بنفقات
حكومته التي زادت حاجتها بمقدار ما اتسع نطاقها فاستباح أموال
اليهود . وجعل يخفض قيمة النقود ويرفعها وفرض عوائد على الكهنة
فاحتج عليه البابا بونيفاس الثامن وحرّم كل كاهن يؤدي ما عليه من
الضريبة بدون اذنه كما حرّم من يضع ضريبة كهذه « ايا كان »
(١٢٩٦) . فعاقبه فيليب على هذه المقاومة بان حضر على جميع الناس
اخراج النقود من المملكة بدون اذنه وبهذه الوسيلة قطع عن البابا

وعضدهم فيها هنري الثالث ملك انكلترا وعلى اثرها عقد مع هذا الملك معاهدة رد له بمقتضاها ليموزين وبرينفور وكيرسي واجينوا بشرط ان تكون له السطة العليا عليها واستبقى لنفسه نورمنديا وتورينو وانجوا وبواتو ومانه . وعلى هذا المثال عامل ملك أراغون فانه ترك له كونتية برشلونه مقابل تنازله لاعن جميع حقوقه في املاكه الموجودة في فرنسا (١٢٥٨) .

وان فضائل لويس جعلته المتقدم بين ملوك اوروبا وقد تولى الوساطة بين اينوسان الرابع وفريدريك الثاني ثم بين ملك انكلترا وبارونيته الذين ثاروا عليه عند ما وضع دستور او كسفورد . وقد ذكرنا ما كان من شأن هذا الملك في تجريدته الصليبتين . اما في داخلته فقد صرف همه لدفع المظالم وصدقتن الشرفاء وأمر بكف البراز القضائي في أملاكه وسن القوانين ونشط الادباء وأرباب الفنون وكان أول من دعا المتقدمين من الشعب الى مجلس استشارته .

﴿ فصل ﴾

﴿ في فيليب الثالث (١٢٧٠) وفيليب الرابع (١٢٨٥) ﴾

لما رجع فيليب الثالث من تونس الى فرنسا بجثة أبيه كان عمه الفونس قد مات فورث املاكه الواسعة وضمها الى املاك التاج

انكثرا انتصاراً لجماعة البارونية الذين كانوا ثأرين عليه ثم أرسله
ابوه للاشتراك في حرب الجنوب (البيجو) فافتتح افينيون ونيم
والبي وكاركاسون وعند رجوعه توفي باصابة وبائية (١٢٢٦). وكان
ابنه لويس طفلاً فاراد البارونية ان ينزعوا الوصاية من يده
بلانش دي كاستييا واعتصبوا عليها ثم انتهت المشكاة بفوز
الملكة (١٢٣١)

وكان ريموند السابع في سنة ١٢٢٩ قد وقع على معاهدة
باريس وترك بمقتضاها كل ولاية لنجدوك السفلى لفرنسا. وجعل
الولاية العليا ميراً لابنته الوحيدة التي كانت خطيبة النونس شقيق
الملك كونت دي بواتو واوفرنيا. ومنح قسماً من بروفسا العليا
للبابا. وكان روبرت الشقيق الآخر للملك لويس صاحب كونتية
ارتوا في سنة ١٢٣٧ ثم استراد عليها انجو ومانه. وفي سنة ١٢٤٦
استراد بروفسا بتزوجه من ابنة صاحبها وفي سنة ١٢٦٨ جلس على
سير مملكة نابولي بعد انتصاره على آل سواب فازدادت بهذه
الاملاك الجديدة عظمة آل فرنسا

﴿ فصل ﴾

﴿ في موقعة تابليرج (١٢٤٢) ﴾

وفي سنة ١٢٢٤ أخذ القديس لويس ثورة قام بها الشرفاء

ان يمثل لدى محكمة للاجابة عما جناه فأبى فعاقبه فيليب بان أخذ كل صرا كزه في نورمانديا والحق بريتونيا باملاكه (١٢٠٤) وعلى أثر ذلك احتل البواتو وتورينو وأنجو فمتحالف عليه سان تير وصهره اوتون دي برونسويك امبراطور المانيا وشرفاء هولانده فالتقاهم فيليب بمجيش جرار وانتصر عليهم في بوفين انتصاراً دوى في أطراف البلاد دوىاً عظيماً (١٢١٤) وقبل وفاته (١٢٢٣) اعترف له بالسيادة أموري دي مونفور فامتدت بذلك أملاك تاج فرنسا من البيريناي الى البحر المتوسط . وفي عهد فيليب تحولت مدرسة باريس الى كلية ووضعت المملكة تحت نظام وقيود قانونية وسورت مدينة باريس وحليت في داخلها .

وكان فيليب قد تزوج (١١٩٣) باينجبورج من آل دنبرك ثم هجرها وأحل محلها معشوقة له فغضب البابا وأنذره طويلاً ثم حرمه فعاد الى زوجته المحللة بمقتضى قرار مجمع سواسون (١٢٠١) وفي آخر حرب البيجوا الصابية التي تقدم ذكرها أرسل فيليب ابنه ليشارك فيها واما هو بنفسه فلم يدخل فيها .

﴿ فصل ﴾

﴿ في لويس الثامن (١٢٢٣) والتديس لويس (١٢٢٤) ﴾

قبل ان يركب هذا الملك تخت فرنسا حارب يوحنا ملك

دانجو ودوق نورمانديا ووارث تاج انكلترا فانحصرت أملاك
لويس السابع بين هذه الاملاك الواسعة ولكنه كان له حق
السيادة عليها ولم يكتف بذلك بل حالف الكهنة ليكونوا أعوانا
له على خصمه عند تمهيس الحاجة .

﴿ فصل ﴾

﴿ في فيليب ارغسطس - ١١٨٠ ﴾

هذا الملك آخر من توج من آل كابت قبل جلوسه على
العرش . واول ما فعله انه طرد اليهود وسلبهم اموالهم وسلم
المراطقه للكنيسة ليستهيلها اليه وأخذ يشهر حروبا صغيرة على
الشرفاء الصغار فاكسب بها عمالات فرماندوا وقالوا واميانوا
ثم ذهب للحرب الصابية ورجع منها بعد قليل وأتفق مع يوحنا
سان تير شقيق ريكاردوس ملك انكلترا على خلعه وان كان ريكاردوس
عند ما خرج من الحبس رجع الى انكلترا مغضبا ثم أتى فرنسا وأثار
الحرب في جنوبها فتدخل البابا اينوسان الثالث وجعل المملوكين
يتهادن ان خمس سنين وبعد الهدنة شهرين اصاب ريكاردوس وهو
يحاصر احد حصون ليموزين سهم قتله (١١٩٩).

وكان الحق بتاج انكلترا لابن أخ يوحنا سان تير فاغتصبه
يوحنا وقتل ابن أخيه (١٢٠٣) فكلف فيليب اوغسطس القتال

وقد حارب هذا الملك الباسل أكثر الشرفاء الصغار الذين كانوا يقطعون الطريق على التجار فقهرهم وأيد نهضة الشعب لطلب استقلال المدائن في غير أملاكه وحارب ملك انكلترا هنري الاول ليجمله على اقطاع نورمانديا لابن أخيه غليوم كلينون فلم يفلح (١١١٩) وفي سنة ١١٢٤ حارب هنري الخامس امبراطور المانيا ففاز عليه وأكره الفلمنك على قبول كلفين كونتاً عليهم (١١٢٦) وجعل غليوم التاسع دوق اكينانيا تحت سيادته. وزوج ابنه لويس من ابنة هذا الدوق التي كانت وارثته الوحيدة .

﴿ فصل ﴾

﴿ في لويس السابع (١١٣٧ - ١١٨٠) ﴾

ولما تم هذا الزواج للويس السابع أضاف الى أملاك أبيه اكينانيا وبواتو وليموزين وبوردليز واجانيسيس ودوقية غسقونية وأصبحت له السيادة على بوفور وأوفرنيه ومارشه وسنتونج وانغوموا وغيرها . وحدث انه في محاربه لكونت شامبانيا أحرق ١٣٠٠ نفس في كنيسة فترى فندم على ما فعل وسافر الى الحرب الصليبية للتكفير عن جنايته غير انه لما رجع طلق امرأته وردد لها أملاكها الواسعة فأخر بذلك تمام توحيد السلطة في فرنسا الى ثلاثة قرون . وتزوجت الملكة الطالق بهنري بلاتجنه كونت

— ❧ الباب الواحد والاربعون ❧ —

{ في انضمام اشقات مملكة فرنسا (٩٨٧ - ١٣٢٨) }

{ فصل ❧ }

{ في المتقدمين من آل كابت (٩٨٧ - ١١٠٨) }

كانت أسرة كابت على ضعف شديد في أول أمرها وقد قضى هونوس كابت تسع سني ملكه (٩٨٧ - ٩٩٦) في منازعة آخر سليل لاكارلوفنجيين والسمي لاخضاع أهل الجنوب. وقبل وفاته توج ابنه روبرت ليتحقق وراثته له. وقد عرض بعد ذلك على روبرت تاج إيطاليا فرفضه ليتزرع اشؤون مملكته واستولى بالارث على دوقية بورغنديون (١٠٠٢)

وخلف روبرت هذا هنري الاول (١٠٣١) ثم فيليب الاول (١٠٦٠) فلم يفعلوا فعلاً يذكروا لكن اتباع فيليب من الاقطاعيين حاربوا الصايبيين وافتتحوا انكاترا بغير ان يشترك معهم. وبقيت الملكية من القرن التاسع الى القرن الثاني عشر اسما بلا مسمى ثم بدأت الثورة التي توحدت معها السلطة في البلاد بيد فيليب أوغسطس. ومعلوم ان الوحدة الحقيقية لم تتم الا في عهد لويس الرابع عشر.

{ فصل ❧ }

{ في لويس السمين (١١٠٨ - ١١٣٧) }

ان عهد لويس السادس كان بدء النهضة الملكية في فرنسا بعد تولي آل كابت

فلاحين وشركاء في المزارع فاخذ السادات يعترفونهم وشرعت المحاكم
تقبل شهادتهم واصبحت لهم حقوق كما كانت عليهم واجبات

﴿ فصل ﴾

﴿ في التقدم العقلي ﴾

لما زادت الثروة وانتشرت كثرت الحاجات النمساوية ففتحت
المدارس والكلية الكبرى نظير كلية باريس (١٢٠٠)
ومونيليه واورليان وكبرديج واوكسفورد وسالامنك ونبغ جماعة
من اكابر العلماء في اللاهوت كتوما الاكوييني وبونانوتورا وفي الفلسفة
والعلوم الطبيعية وغيرها كالبرت الكبير الالماني وروجر باكون
الانكليزي ودنس سكوت الانكليزي وفنسان بوفي صاحب
موسوعات العلوم في ذلك العصر وكان باكون قد اكتشف البارود
والزجاج المجسم للمرئيات وهذا جل ما باغه أهل زمانه من التقدم
في المعارف الطبيعية :

وكذلك وجدت جماعة من كبار الادباء والكتاب والشعراء
في فرنسا والمانيا وانكلترا وإيطاليا .

أما الهندسة البنائية وتزويقها وزخارفها فبلغت الكمال في
القرن الثالث عشر. تشهد بذلك اكثر الكنائس والقصور الباقية
في أوروبا الى هذا اليوم

✽ الباب الرابعون ✽

﴿ في الحالة الاجتماعية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ﴾

﴿ فصل ﴾

﴿ في تقدم سكان المدن ﴾

نتج من استقلال الشرفاء باقطاعاتهم والنزاع الذي قام بين البابا والامبراطور والحروب الصليبية المختلفة ان عامة سكان المدن التي كانت مسترقة كما كان الفلاحون والشركاء مسترقين في القرى تنهت ونهضت وأخذت ثورتارة وتجامل أخرى لتستمنح من الامتيازات ما يؤمنها على ارواحها وأموالها وأعراضها فنالت مطالبها شيئاً بعد شيء ونشأت طبقة جديدة من الناس هي طبقة الرجال الاحرار على مثل ما كانوا في رومه فجدوا في طاب العلم والمكاسب بالتجارة والصناعة والزراعة وتألقت منهم شركات ذات اموال طائلة وبأس مرهوب وأصبح لهم شأن في الممالك ففي فرنسا تألف منهم فريق في مجلس النيابة عن الامة وكان يعرف بالفريق الثالث لمجيئه في الترتيب بعد الكهنة والشرفاء وفي انكلترا انتدب منهم نواب للبرلمان منذ سنة ١٢٦٤ وفي ايطاليا انقوا الجمهوريات والعصابة اللابردية التي انتصرت على باربروس .

وفي القرن الثاني عشر أفادت هذه النهضة المسترقين من

مراكش ومزقوا الجيش النصراني في موقعة الزلقة واخذ الخلافة
يوسف ثم استرجع فالانس بعد وفاة السيد (١٠٩٩) وفتح جزائر
باليار وانتصر على الفونس السادس انتصاراً عظيماً في اوكلس سنة
١١٠٨ ولما حاصر طايطة ردت جنوده على اعقابهم مراراً وظنر
عليهم الفونس بن هنري دي بورغوني ظنراً مبيناً في اورديك
(١١٣٩) فأضاف ضفاف نهر التاغوس وبعض المراكز مما وراءه
الى البورتغال وكان قد لقب نفسه ملكاً عليها قبل منازاته للمغاربة
وفي القرن التالي (١٢١٠) دخل اسبانيا ٤٠٠٠٠٠ من
المراكشيين الموحدين فتحالف الملوك الاسبانيون عليهم ووقعوا بهم
في معركة لاس نافاس دي تولوزو. ولم يلبثوا ان اخذوا منهم
قرطبة (١٢٤٦) واشبيليا (١٢٤٨) ومرسيه (١٢٦٦) بعد ان فتحوا
جزائر باليار (١٢٤٤) وهكذا حصروهم في مملكة غرناطة الصغيرة
فتركوهم فيها قرنين كاملين لاشغالهم بمسائل خارجية طرأت عليهم
ولم يعودوا الى محاربتهم الا في سنة ١٤٩٢ وقد أعدنا وصف هذه
الحوادث بالايجاز ليعلم وجه قيام الافرنج بها.



أسس عمالات شمالي نهر الابرفنشآت منها في سنة ٨٣١ بلدان
 مسيحية مستقلة كما ملكة نافاريا وكونتية برشلونه ثم نشأت فيها
 بين هذين البلدين بلدان أخرى ذات صولة فكان مجموع هذه
 الممالك والولايات المستقلة المسيحية نظير سلسلة مستندة الى الجبل
 معززة به. وفي آخر القرن التاسع وصل الفونس الكبير ملك
 اوفنديا الى نهر الدورو وتجاوزه. الا ان خلافة قرطبة استرجعت
 صولتها في القرن العاشر بسيف عبد الرحمن الثالث الذي غلب
 المسيحيين وردهم على اعقابهم ثم بسيف المنصور الذي أخذهم
 على نهر الابرو والدورو وظهر عليهم في خمسين موقعة ولكنه
 انكسر في موقعة كبيرة بعد سنة ٩٩٨ وزالت بزواله عظمة الخلافة
 وفي القرن الحادي عشر انقسمت خلافة قرطبة وتقدم النصارى.
 وكانوا قد تحالفوا وعادوا الى الجهاد فاستولى الفونس السادس على
 طليطله (١٠٨٥) وأعادها كرسيًا للملك كما كانت في عهد الويزيقوط.
 وبعد ذلك بخمس سنين زحف هنري دي بورغوني شقيق روبرت
 ملك فرنسا فاستولى على مصاب الدورو فاقطعه الفونس اياها كونتية
 وفي الوقت نفسه كان رودريك دي بيفار المشهور بالسيد يتقدم غانما
 منصوراً على ساحل البحر المتوسط حتى أخذ فالانس (١٠٩٤) وفي
 سنة ١١١٨ فتح الفونس الاول ملك ارغوان مدينة سرغسطه. فاستنجد
 العرب بالمغاربة الافريقيين سنة ١٠٨٦ فاتوا بقيادة يوسف صاحب

نبلاء الشمال وأتوا غربي فرنسا في سبيل الله والانعادات الروحية التي منحهم إياها البابا كما منحها للمجاهدين في حروب الشرق الصليبية فذبح خلق كثير في المعارك التي حدثت ونزعت أملاك كثيرين من الشرفاء الغربيين وآل إلى لويس بن فيليب اغسطس ملك فرنسا مع انه لم يشترك في هذه الحرب الا في أواخرها وكانت هذه النتيجة خطوة عظيمة في طريق وحدة فرنسا.

ومن الحروب الصليبية التي كان لها الشأن الكبير في الغرب حرب اسبانيا التي مر بك ذكرها في تاريخ الاندلس . فان كارلوس مارتل وبين القصير لما طردا العرب من فرنسا اكنفيا باقصائهم إلى ما وراء البرانس إلى شبه جزيرة ايبيريا أو اسبانيا فأنحصر فيها المسلمون وأهلها المسيحيون كأنهم في ميدان مسور واستمرت بينهم الحروب سنة قرون . وكانت موقعة شريش التي انتصر فيها طارق على رودريك ملك اليزيقوط سنة ٧١١ أول ما وطد السيادة العربية على اسبانيا توطيداً مكيناً فاضطر بلاح ملك اسنوريا ورفاقه ان يلجأوا إلى ما وراء كانتابرو وهي فرع من جبال البرانس باسبانيا وشيدوا جيهون قاعدة لملاكتهم وفي سنة ٧٦٠ تقدموا خطوة إلى الجنوب فاتخذوا مدينة اوفيدايو عاصمة أخرى لهم ثم مدينة ايون وسميت المملوكة التي قامت فيها باسمها . ولما عظمت شوكة شارلمان حوى هذه البلاد من أعداها وكان قد

واقدم عرفنا فيما سبق قيام رهبنة المرضين المتجندين في القدس
 فانها سميت برهبنة الثوتونيين ولم تلبث ان اُثرت ونمت نمواً عجيباً
 فجعل فريدريك الثاني أميراً من أهل بيته رئيساً لها. وفي سنة ١٢٣٠
 حرض وصي ملك بولونيا هؤلاء الرهبان على تنصير البروسيين فيما
 بين نهري النيامن والنيسنول فاعملوا فيهم السيف وادخلوا من بقي
 منهم في دينهم . وفي ذلك الوقت كان الرهبان المسجون بحملة
 السيف آخذين في تنصير أهل البلاد المجاورة للبروسيين فوقع
 الاتفاق بينهم وبين الثوتونيين على ان يضم الفريقان وتتألف منهما
 رهبنة واحدة وادخلوا بروسيا واسنونيا وليفونيا وكورلاندا في
 ساسلة البلاد الاوروبية المسيحية المنمدنة وبقيت لهم السطوة الكبرى
 في الشمال الى القرن الخامس عشر .

وكان سكان غرب فرنسا قد ذهبوا في الدين مذهب
 ابعدهم كثيراً عن الاورثوذكسية وسعوا بالاليجو نسبة الى مدينة
 الب التي كانت محور رحاهم فنخوف اينوسان الثالث من سريان
 عدوى هذه الافكار وأنفذ رسولا الى ريموند السادس كونت
 دي تولوز يأمره بان « يدوس برجله ذلك العش الذي يخرج منه
 الفساد » فأبى وذهب أحد أتباعه بدون علم منه فقتل رسول البابا
 (١٢٠٨) فقام عند ذلك جمهور من الرهبان يعظون بوجوب اقامة
 حرب دينية « صابية » على أولئك الاشرار وافتأهم فوب كثير من

وسار الى فلسطين ففضى فيها ثلاث سنين ينفق ماله على تحصين المدائن ويبدل نفوذه في التوفيق بين المتناظرين. وبعد هذه الحملة بست عشرة سنة جرد حملة ثانية فاقعه اخوه كارلوس دانجوس ملك صقليا في سنة ١٢٧٠ بوجوب محاربة مساهمي تونس لانهم كانوا يهددون مملكته الحديثة العهد فحاضر تونس واصاب جيشه الجوع والطاعون تحت أسوارها ومات لويس نفسه بهذا الوباء فباع امرأه الصالح للمسلمين وكان اكثرهم رجحا في هذا السوق ملك صقليا وكانت هذه التجريدة خاتمة الحروب الصليبية في الشرق. على ان هذه الحروب مع ما جرته من البلايا العظيمة جاءت بنتائج حسنة منها حصول الاتصال بين اوروبا وآسيا ومنها ضعف شوكة الشرفاء ونهضة العامة من فلاحين وشركاء للخروج من الرق الذي كانوا فيه ومنها اتساع نطاق التجارة واجتلاب انواع جديدة من المزدوعات والسلع الى اوربا.

﴿ فصل ﴾

﴿ في الحروب الصليبية التي وقعت في الغرب ﴾

تبينا مما تقدم ان الحروب الصليبية التي جرت في الشرق لم يفلح فيها القائمون بها بخلاف ما وقع من مثلها في الغرب فقد نشأت عنها مملكتان جديدتان هما بروسيا واسبانيا وتمت بها وحدة فرنسا

نتج من العبث الذي تقدم ذكره ان القدس لم تخلص وان
 بارونية الارض المقدسة استهروا يوالون الاستغاثة والاستنجاد
 فارسل اندراوس ملك هنغاريا تجريدة خامسة على مصر فلم تفلح
 فاتى فريديك الثاني امبراطور المانيا في مقدمة التجريدة السادسة
 ووعده هذنة عشر سنين مع الملك الكامل على ان يسلم له القدس
 وبيت لحم والناصره وصيدا وانما فعل ملك مصر ذلك بدون قتال
 لتخوفه من قرب اغارة القبائل الخوازمية عليه . وذهب فريديك
 الى القدس فوضع تاجها على رأسه (١٢٢٩) . ثم لم يكدي تقفل راجعاً
 حتى سار التركان في فرارهم من وجه المغول وجانكيزخان الى
 الشام فسحقوا جيشاً صليبياً لقوه بغزه واخذوا المدينة المقدسة
 فلما علم البابا اينوسان بما حل من البلاء الجديد دعا اوروبا فلم يجبه الا
 القديس لويس وكان قد نذر في مرض اشتد عليه ان ينقل القدس
 اذا شفي . فركب البحر في مقدمة جيش عظيم (١٢٤٨) وقضى
 الشتاء في قبرس . وادرك فيها ان اولياء امر القدس في مصر فقصدهم
 واستولى على دمياط ولكن حركته البطيئة اولدت الشقاق
 والعصيان بين العساكر كما دفعتهم الى الفاحشة والعريضة فتنفت
 بينهم الامراض بسببها ونشأ عن ذلك كله انهم قهروا بقرب
 المنصورة وعادوا على أعقابهم يفتريهم الطاعون ويوقعهم المسلمون
 حتى استأسروا الملك فافتدى نفسه بمليون دينار قسطنطيني ذهباً

مملكته وبقي ريكاردوس في فلسطين فلم يستطع ان يسترجع القدس
وبينما هو راجع الى بلاده هبت عاصفة طرحتة على شواطئ
دلماسيا فر من المانيا فاعتقله فيها ليوبولد دوق النمسا لانه كان قد
التى رايته في احد خنادق عكاء ولم يطلقه الا بفدية فاحشة

﴿ فصل ﴾

﴿ في التجريدة الرابعة (١٢٠٢) وتولى اللاتين سلطنة الشرق ﴾

هذه التجريدة دعا اليها اينوسان الثالث وفولك كاهن نوبلي
فلما استعدت للسفر طلبت سفان من البندقية فأعطتها اياها على
شرط ان تفتح لها بها حصن زارا الذي كان في قبضة المجر فأجبت
الى ما سألته . ثم ان رجلا يدعى الكسيس وهو ابن امبراطور
رومي معزول أوهم قواد التجريدة ان القسطنطينية مفتاح القدس
وانه اذا أعيد الى سرير أبيه بانعم اربهم فقصدها واذ رأوا ما هي
عليه من الفوضى دخلوها عنوة واقتسموا السلطنة ممالك ودوقيات
وماركيزيات ولقب المتقدم في الحملة بودوين كونت دي فلاندر
بامبراطور رومانيا . واستمرت هذه السلطنة في أيدي اللاتين
سبعاً وخمسين سنة (١٢٠٤ - ١٢٦١) على ما سبق لنا تفصيله .

﴿ فصل ﴾

﴿ في التجريدات الاخيرة (١٢٢٩ - ١٢٧٠) وذكر القديس لويس ﴾

غوبانه وجمهور من الشرفاء الفرنسيين وكونراد الثالث امبراطور
المانيا . اما كونراد فتوغل بجيشه في اسيا الصغرى وفقده كله في
مضائق جبل طورس وعاد في نفر عدد الاصابع الى القسطنطينية
وكان ملك فرنسا قد وصلها فلما علم بما جرى لزميله لزم الشاطئ
ولكن الاتراك قتلوا برمي السهام عدداً كبيراً من جيشه في
سياسيا ومع ذلك ادرك انطاكية وزحف منها على دمشق وحاصرها
فلم يحل بطائل ثم عاد الى مملكته ولم يحن من عنائه كله الاطلاق امراته
وفي سنة ١١٨٧ فتح صلاح الدين الايوبي القدس بعد
جعل مصر والشام مملكة له . فاهتزت اوروبا لهذا النبأ وفرض
البابا على جميع الاراضي حتى الكنسية منها ضريبة عشرية لمقاومة
صلاح الدين وأعدت تجريدة جسيمة يتقدمها اقوى ملوك الغرب
وهم فيليب اوغسطس وريكاردوس قلب الاسد وفريدريك باربروس
(١١٨٩) اما فريدريك امبراطور ألمانيا فدخل آسيا عن طريق
البحر والقسطنطينية وغرق في الشالوف وسحق جيشه . واما فيليب
ملك فرنسا وريكاردوس ملك انكلترا فركب البحر احدهما من
جينوا والآخر من مرسيلىا والتقيافي صقايما واخذوا يختصمان فيها
ثم قصد ريكاردوس جزيرة قبرس لاختضاع رجل اغتصب سرير
الملك فيها ولحق بفيليب الى عكا فحاصرها مدة سنتين ثم غضب
ملك فرنسا لما كان بين الصليبيين من التخاذل والشقاق فرجع الى

انطاكية . وانتخب غودفروا ملكا عليها فأبى ان يضع التاج على رأسه في المكان الذي « كلل فيه ملك الملوك بالشوك » وبعد ذلك بتقليل ظفر في عسقلان على جيش مصري اتى لمحاربه . ولما رجع حصن القدس ونظمها على الطريقة الاقطاعية واسس امارتي قانس وانطاكية وكونتية طرابلس وماركيزية صور الخ .

وفي سنة ١١٠٠ تأسست رهبنة القديس يوحنا الاورشليمي لتريض العساكر وفي سنة ١١١٨ رهبنة الهيكليين (تامبليه) وكلف رجال هتين الرهبنتين بالدفاع عن البلاد . وعند وفاة غودفروا خلفه بودوين الاول (١١٠٠ - ١١١٨) ثم بودوين الثاني دي بورج (١١١٨ - ١١٣١) واستوايا على القيصرية واللاذقية وصور وصيدا وعكا وبيروت وغيرها الا ان الشقاق لم يلبث ان وقع بين الصليبيين فشغلهم فزحف نور الدين سلطان سوريا الأتبيكي على قانس وذبح سكانها (١١٤٤) .

﴿ فصل ﴾

* (في التجريدتين الثانية والثالثة (١١٤٧ - ١١٨٩) *

وحمت هذه المذبحة اوربا على تجديد الحرب الصليبية فمنهض لما لويس السابع ملك فرنسا تكذيرا عما جناه من قتل ١٣٠٠ نفس احراقا بالنار في كنيسة فيتري . وقامت معه امرأته ايلينورا دي

بطرس الناسك وكانت مؤنثة من العامة والفقراء والاطفال والشيوخ والنساء فتوفي معظمها في بلاد المجر ولم يجتز سائرها القسطنطينية حتى توفاهم الله في آسيا الصغرى .

وفي السنة التالية { ١٠٩٦ } اجتمعت أربعة جيوش كبيرة للشرفاء يقود أحدها غودفروا دي بويون وأوستاش دي بورغوني وبودوين دي بوج وثانيها هو غوس الكبير كونت فرماندوا واتيان دي بلوا وروبرت بن غليوم الفاتح وثالثها ريمونندي سنجيل كونت تولوز ورابعها بوهيموند أمير تارنتا. وسارت هذه الجيوش في ثلاث طرق مختلفة منواعدة على اللقاء في القسطنطينية ومنها تقدمت بحراً وحاصرت نيقية فدخل آسيا الصغرى ثم التقت عساكر قاييخ أرسلان صاحب مملكة الروم فقهرته وتوغلت في صحراء إفريقية فأصابها فيها الجوع والظم فأهلكا السواد الأعظم منها وأماتت الخيول كلها ومع ذلك أخذ بودوين قانس { ادرفه } على الفرات الأعلى وتقدم معظم الجيش الى طرسوس ففتحها ثم حاصروا النطاكية (١٠٩٨) حصاراً طويلاً ذاقوا فيه كل ضروب الآلام ولم تفتح أبوابها لهم الا بعد ان استنفد بوهيموند جميع الحيل والوسائل فلقبه اخوانه أميراً عليها ولم يلبثوا ان حاصروهم فيها مئتا الف مقاتل أرسلهم الخليفة من بغداد فانتصروا عليهم وساروا الى القدس وكان غير باق منهم الا خمسون الفاً فدخلوها في ١٥ يايو من سنة ١٠٩٩ بعد حصار شاق كحصار

قد ضعفت الى حد انها لم تقو على صد غارة الاتراك عن احدى
 عمالاتها ففتحوها واستتبدها وجعلوها احدى تلك الممالك
 الخمس . لا جرم أنه قام في القسطنطينية لذلك العهد ملوك حكماء
 باسلون من السلالة المقدونية كنيسافور فوكاس وجان ذيميسيس
 وبازيل الثاني وانتصروا على البلغار والروس والعرب غير ان احد
 خلفائهم وهو رومان ديوجون وقع في ايدي الاتراك بعد ان
 ظهر عليهم ثلاث مرار ظهوراً باهراً فاقر خلته القيصر اليكسيس
 بضعفه وعجزه عن مقاومتهم واتمس النجدة من الغرب .
 وكان البابا سيانستر الثاني قد خاطب الشعوب الغربية منذ
 بدء القرن الحادي عشر بضرورة انقاذ القبر المقدس (١٠٠٢) فكثير
 عدد الذاهبين الى حج القدس وكانوا يرجعون ويشكون ظلم الاتراك
 وقسوتهم في تلك الارض . ثم قام غرينغوريوس السابع يدعو الناس
 الى الجهاد كدعوة سيانستر ولكن المسيحيين لم ينهضوا نهضة
 حقيقية الا في عهد اوردبان الثاني فعقد مجمعين حضر اولهما سفراء
 من قبل اليكسيس كومنين امبراطور الشرق وازدحم ثانيهما
 بالوافدين من كل جانب فأثرت فيهم فصاحة البابا وخطابة بطرس
 الناسك وكان عائداً حديثاً من حج القدس فما افترقوا الا وقد
 نادوا « كذا أراد الله » ووضعوا الصليبان الحمراء على ملابسهم علامة
 الجهاد الصايبي (١٠٩٥) فانطلقت التجربة الاولى تحت قيادة

يؤيد سلطته على ايطاليا فغضب البابا وكان يظن انه يتمازل عنها
ورجع الى آل سواب فأقام على الامبراطورية فريدريك الثاني بن
هنري السادس على شرط ان يتخلى عن جزيرتي صقليا فاخلف
وعده وعبأ جيشاً من العرب ليؤيد بهم عرشه فيما لو حرمه البابا
وخذله الجنود المسيحيون ولكن البابا دعاه للحرب الصليبية فتردد
عن الاجابة فاندروه بالحرمان فسافر وعقد معاهدة مع السودان
فتحت له أبواب القدس فدخلها وتزوج ملكاً عليها وعاد بدون
قتال (١٢٢٨) وكان البابا غريغوريوس في غيابه قد عصب عليه
العصابة اللومباردية وحرص عليه ابنه ورمى مملكة نابولي بجيش
لاحد صنائعه . ففاز فريدريك على الجميع فحرمه البابا ومنح تاجه
لروبرت دارتوا اخي ملك فرنسا فابي لويس التاسع ان يأذن بذلك
واجاب البابا على ما كتبه اليه في هذا المعنى « انك ستدوس جميع
الملوك بقدميك اذا فزت على الامبراطور » فدعا غريغوريوس
رؤساء الدين لعقد مؤتمر في سنة ١٢٤١ فالتقت سنائن فريدريك
باسطول جينوا وكان آتياً بالمدعويين للمؤتمر وكسرتة واسرت
نفرأ منهم . فمات غريغوريوس حنقاً وخلفه اينوسان الرابع سنة
١٢٤٢ ففر الى ايون وعقد فيها مؤتمراً اوقع به الحرمان على فريدريك
ودعا المؤمنين لمحاربتة (١٢٤٤) فكتب فريدريك الى ملوك
اوروبا « اني اذا هلكت هاكنم جميعاً » واطلق العرب على وسط

عليه في لينغناو (١١٧٦) وبعد ذلك بسبع سنين حسمت معاهدة
كونستانس خصومة ايطاليا والسلطنة وعادت ايطاليا الى نظامها
الاولى ولم تبق للامبراطور فيها الا بعض الحقوق القليلة

على ان باربروس لم يصبه من الفشل في خارج ايطاليا ما اصابه
فيها بل اكره ملكي الدانيرك وبولونيا على الاعتراف بسيادته
وانغصب أملاك هنري الملقب بالاسد دوق ساكس وبافاريا وكان
يزوره السفراء الاجانب لحضور المجتمعات الشوروية الحافلة التي
كان يعقدها واشهرها مجتمع ماينس الذي احتشد فيه اربعون الف
فارس نسيب (شفالیه) في سنة ١١٨٤

ثم غرق باربروس في نهر الشالوف بالشام مدة الحرب الصليبية
الثالثة فخلفه ابنه هنري السادس (١١٩٠) وكان متزوجا بكونستانس
ابنة ملك صقليا ووارثته. ولما كان آل سواب قد فقدوا ما بقي لهم
من السطة في شمال ايطاليا منحهم املاكا واسوة في جنوبها
وحصر أملاك الكرسي المقدس بين أملاكه نخاف البابا اينوسان
الثالث من هذا الجواب وعزم على الانتقام (١١٩٨ - ١٢١٦).
ولما أمكنته الفرصة أخذ بنصرة أوتون من آل برونسويك على
فيايب السوابي وارث هنري السادس فكان حينئذ بدء الحرب
الشهيرة بين الكاثوليكين اعوان الكنيسة والجيليين اعوان
الامبراطورية. غير ان أوتون لم يتخلص من مناظره حتى أخذ

ابنه فقتله ولقب نفسه بهنري الخامس وأنهى خصومة الاقطاعات الكنسية بما عقده من اتفاق ورمس (١١٢٢) القاضي بان يمنح الامبراطور الاقطاع من وجهه الديوي ويمنحه البابا من وجهه الديني. وكانت في ايطاليا خاتون نييله ذات أملاك واسعة وثروة فاحشة تدعى الكونته ماتيدا فتوفيت في عزه هنري الخامس فورثها بحق القربي والسلطة الامبراطورية ثم أدركه أجله وانقرض بموته آل فرانكونيا (١١٢٥)

﴿ فصل ﴾

﴿ في آل هوهنستوفن ﴾

فوقع التاج لكونراد الثالث (١١٣٨) من آل سواب فاتصر على خصمه هنري الملقب بالمتعاضم دوق ساكس وبافاريا ثم سافر للحرب الصليبية وتوفي على أثر عودته خلفه ابنه فريدريك الاول باربروس (١١٥٢) فأيد سلطته في ايطاليا وقسم اقطاعاتها الكبرى الى اقطاعات صغيرة ومدائن ذات نظمات جمهورية. فقام في رومه رجل يدعى ارنالدو دي بريسيا وطرده البابا منها ليحرقها فأحرقه فريدريك وأعاد البابا ثم استبد فنارت عليه ميلانو فدمرها (١١٦٢) ووزع أرضها على جاراتها ثم عاد الى المانيا فتألفت على الاثر العصاة اللومباردية لمحاربهه بتعصيد البابا فرجع لينكل بالتأمنين بها فظهروا

ذلك الفساد الى هنري المذكور وكتب اليه يمنعه في المستقبل عن منح الاساقفة اقطاعات كنسية ويدعوه الى رومه للاجابة عن سوء تصرفه . فغضب الامبراطور وعقد مجمع ورمس مؤلفاً من ٢٤ اسقفاً (١٠٧٦) واستصدر منه حكماً بتزليل البابا فاصدر البابا أمراً بعزل الامبراطور وحرمانه الديني ولما كان السكسونيون والسوايون ذوي عداوة قديمة لآل فرانكونيا عقدوا مجتمع تريبور فقرروا كف الامبراطور عن تأدية وظيفته وتهديده بالعزل ان لم يصالح البابا . فانصاع هنري وذهب الى رومه وانتظر حافياً مع شدة البرد ثلاثة ايام حتى اذن له البابا بمقابلته وعفا عنه فرجع متميزاً غيظاً وشهر الحرب على السوايين فقتل رودولف سيدهم الاكبر وكسر جنوده واستتب له الشوكة في جميع المانيا (١٠٨٠) فعاد الى ايطاليا واخذ رومه وعين اسقف رافينا خليفة لبطرس الرسول تحت اسم اكليماندوس الثالث وكاد يقبض على غريغوريوس لو لم ينقذه انورمانديون الذين كانوا قد افتتحو ايطاليا الجنوبية . وتوفي هذا البابا في منفا سنة ١٠٨٥

﴿ فصل ﴾

﴿ في اتفاق ورمس (١١٢٢) ﴾

بعد هذا التموز العظيم لهنري الرابع حرشت الكنيسة عليه

هم الذين ينتخبون البابا وان سائر الكهنة والشعب الروماني يوافقون موافقة على الانتخاب . وان الامبراطور يكون له حق التثبيت وانه يفضل اختيار البابا من الكهنة الرومانيين . ثم استصدر أمراً آخر يحظر على الكهنة قبول إقطاع كنسي من غير اهل الكهنوت . وبهذين الامرين تحرر البابا من التبعية الفعلية للامبراطور وجعل في يده زمام الادارة الزمنية للكنيسة

﴿ فصل ﴾

﴿ في غريغوريوس السابع وهنري الرابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥) ﴾

انتخب هيلدبرند الكرسي البابوية تحت اسم غريغوريوس السابع (١٠٧٣) فاراد اتمام مقاصده وكانت اربعة: تحرير البابوية من السيادة الالمانية . اصلاح الكنيسة في نظامها واخلاقها . تحريرها في كل مكان من السطة الزمنية الحاكمة . تسويدها على الملوك والشعوب بدعوى تخليص نفوسهم من عقاب الآخرة .

اما الاول فكان قد تم بموجب الامر المصدر له البابا نقولا الثاني على ما رأيناه آنفاً واما الثاني فأتمه غريغوريوس بنفسه . واما الثالث فكان عقدة الاشكال وعليه قام اخلاف الشهير المتعلق بالاقطاعات . وبيانه أن الكهنوت الالمانى فسد وحدث فيه يشويش كبير حين كان هنري الرابع قاصراً فانتسب غريغوريوس

إيطاليا وكان باقياً للروم . فكبر شأنه في أوروبا واسكن خلفاءه أوتون الثاني والثالث وهنري الثاني { ٩٧٣ - ١٠٢٤ } . لم يحتفظوا بآثاره . وفي سنة ١٠٢٤ عاد التاج الامبراطوري الى آل فرانكونيا وتقلده كونراد الثاني فضرب الجزية على اللاتيزيين ونصرهم واکره ملك بولونيا على الاعتراف بسيادته واسر ملك بوهيميا وضم ولايتي بورغونيا الى سلطنته بموجب اتفاق عقده مع ملك آرن . ثم اضعف شوكة الشرفاء في ايطاليا حيث اصدر أمراً يجعل كل صاحب اقطاع تابعاً مباشرة له فانقطعت وساطة الاكابر منهم بينه وبين الاصاغر . وفي سنة ١٠٢٩ خلفه ابنه هنري الثالث فضرب الجزية على ملك بوهيميا . وارجع ملك المجر الى اللب روابل وكان قد طرد منها فاعترف بسيادته واعاد السطوة الدوقية الى بافاريا وسواب وكارنتيا ليصلح بها شؤونها التي فسدت ومد سيادته على البابوية نفسها في ايطاليا .

﴿ فصل ﴾

﴿ في القسيس هيلدبرند ﴾

كان هذا الراهب مستشاراً لجملة من البابوات راغباً في انقاذ ايطاليا من الحكم الالمانى وفي سنة ١٠٥٩ حمل نيقولا الثاني على اصدار امر يقضي بان الكرادلة المقيمين في الاراضي الرومانية

وقبل وفاته اوصى بانتخاب دوق ساكس المنتصر عليه ملكاً
 فخصن بلاده من كل جانب وفي سنة ٩٢٦ وضع النون القاضي
 بالخدمة العسكرية على كل شاب تجاوز السادسة عشرة من العمر
 وانشأ القلاع والمعقل وظهر على المجر في مرسبورج { ٩٣٤ } فكان
 ذلك اكبر مهد لراحة بلاده منهم. ولما خلفه ابنه اوتون الاول الملقب
 بالكبير حاربهم وفاز عليهم في موقعة اوجسبرج (٩٥٥) وحملهم على
 السكنى في الارض التي هم فيها الى الآن

وكان دوق بافاريا ودوق فرنكونيا قد ثارا عليه بمساعدة
 لويس الرابع ملك فرنسا فدحرهما ودخل الى باريس . وأعظم عمل
 قام به انه أعاد السلطنة الالمانية فان تاج ايطاليا الذي تتوج به
 أرنولف كان قد وقع لبيرنجه الاول واستقل به في ايطاليا زمنا ثم
 قتل غيلة في خلال فتنة عظيمة ولم يفكر أحد من الشرفاء
 المتحاربين في تقاد التاج مدة الاضطراب . ولكن رجلا يدعى
 المريكز دينراي أراد ان يكرمه أرملة بيرانجه على الزواج بانه يجلس
 على العرش فأبت واستجارت باوتون فأجارها وتزوج بها هو نفسه
 وتتوج ملكاً على ايطاليا في ميلانو وامبراطورا في رومه (٩٦٢)
 وتعهد للبابوية بان يبتقى لها ما وهبها اياه شارلمان من الاملاك فتعهد
 له شعب رومه بان لا ينتخب أحداً للبابوية الا بحضور رسول من قبله .
 وبعد ذلك زوج ابنه من ابنة قيصر القسطنطينية واستمنحه جنوبي

الصابية . وفي أواخر القرن الحادي عشر أقبل الناس قليلاً على الآداب والعلوم وتساجلوا في الآراء والافكار . وأحسن ما برع فيه الصناع في هذه الازمان صناعة الهندسة البنائية .



— — — — —
 ❧ الباب الثامن والثلاثون ❧

❧ في الامبراطورية الجرمانية وما جرى من التنازع بينها وبين الكهنوت ❧

❧ فصل ❧

❧ في ذكر المانيا من سنة ٨٨٧ الى سنة ١٠٥٦ ❧

عند ما خلعت المانيا ملكها كارلوس السمين { ٨٨٧ } جلس على عرشها ارنواف من نسل شارلمان واهم اعماله ان ملك ايطاليا استنجد به لمقاومة احد المطالبين بسريره فسير اليه جيشاً ثم غدر به فخلعه ووضع على رأسه تاج ايطاليا ولقب نفسه بالامبراطور (٨٩٦) وبعد ذلك خلفه ابنه لويس الملقب بالطفل وبوفاته انقرضت سلالة شارلمان الالمانية . ومن ذلك الوقت أخذ الالمانيون ينتخبون ملكهم انتخاباً . وفي سنة ٩١١ اتخب كونراد الاول سيد فرنكونيا فاخذ يناوي الشرفاء الكبار لينزع منهم املاكهم ويضمها الى املاكه فانصر عليه احدهم وهو هنري دوق ساكس في اهرسبورغ فعدل عن محاربه وجرى على دوق لورينا فسلمه الالزاس وقتل مديري مقاطعة النواب واستولى عليها .

أما مملكة جرمانيا فكانت منقسمة الى تسعة أقسام كدوقية ساكس ونظيراتها وأما مملكة آرل فالى ثلاثة وأما إيطاليا فالى جملة أعمال مستقلة منها لومبارديا وتوسكانا والأقسام الكنسية والأقسام الأربعة النورماندية .

وكانت في الجانب المسيحي من اسبانيا مملكة قشتاله وايون وكونتية البورتغال التابعة لها ومملكة نافاريا واراغون. وفي بريطانيا العظمى مملكتا انكلترا وغاليا. وبين بحر الشمال والباطيك الثلاث الايالات السكندنافية وهي اسوج ونروج والدينرك وللسلافين مملكتا سلافونيا وبولونيا وجراندوقية روسيا التي كانت مقسومة الى أمارات كثيرة وجراندوقية ليتوانيا. وفي سنة الف أهدى البابا تاج ملك المجر الى القديس ايان الذي نصر أهلها.

﴿ فصل ﴾

﴿ في حالة الحضارة من القرن التاسع الى القرن الثاني عشر ﴾

لم تقم قائمة للمعارف بعد كارلوس الكبير الذي عمل على انهاضها . وفي القرن العاشر اشتدت المصائب على الناس حتى ظنوا انهم في نهاية العالم فامتنعوا عن البناء ولم يعملوا عملاً يذكر فلما انقضت سنة الف ورأوا ان الدنيا باقية عادت اليهم حركة الحياة وابتدوا كنائس كثيرة ثم استنهضتهم دعوة سيلفستروس الثاني الى الحرب

وكان لهم حق الامتلاك وكانوا يعاملون بالين قليلاً من معاملة
الفلاحين .

﴿ فصل ﴾

﴿ في الاقطاعات الكبرى بفرنسا والمانيا وايطاليا ﴾

لم يتم النظام الذي نسميه اصطلاحاً بالاقطاعي الا في آخر
القرن الحادي عشر وقد ساد في جميع ولايات الساطنة الكارلوفنجية
غير ان اسماء ممالك فرنسا والمانيا وايطاليا بقيت محفوظة وانما كانت
اسماء رنانة كبيرة بلا مسميات

ومن هذه الممالك الثلاث واحدة لم تلبث ان زالت سنة ٩٢٤
وهي ايطاليا وأخرى انحطت انحطاطاً شديداً وهي فرنسا واما
الثالثة وهي المانيا فقد ازهرت ونمت وعزت حتى جعلها ملكها
اوتون الاول بما اضافه اليها من الاملاك الواسعة سلطنة اشبه بسلطنة
كارلوس الكبير .

وكانت لملك فرنسا دوقية فرنسا وحواليها املاك متسعة
لحمة من السادة الذين كانوا يضارعونه صولة وثروة . ثم كانت
بين اللوار والبيريني اربع عمالات كبيرة كالتقدم ذكرها وكان
اصحاب هذه الاملاك يدعون بانداد الملك وكان لسته من الاساقفة
هذا اللقب ايضاً .

ويزوج ابنته البكر . وكان التابع يقدر على استتباع آخرين .
 اما السيد فكان من واجباته ان لا يجرم التابع الارض التي
 اقطعه اياها بلا موجب وان يدافع عنه اذا سطا عليه عدو وان يقضي
 له أو عليه بالعدل . وكان التابع يستأنف حكم السيد الى من هو اعلى
 منه اذا لم يرض به وكان له فضلا عن ذلك حق المبارزة او التقاضي
 مع خصمه بالسيف وقد كثر استعمال القاضي بالمبارزة حتى ان
 الكنيسة عينت اياماً من الاسبوع سميتها هدنة الله أمرت ان
 لا يكون فيها براز تخفيفاً لويلات هذه العادة الوحشية (١٠٤١) .
 وكان القضاء على انواع اعلى ومتوسط وادنى . وكان الاعلى يتناول
 الحكم بالاعدام ولم يكن ممنوحاً الا لذوي الاقطاعات الكبرى .
 وكان من الحقوق السيادية ضرب النقود وسن القوانين . وكان
 الاساقفة ينالون احياناً القاب الكونتية ويكونون السادة على المدينة
 وجميع الشرفاء التابعين لبرشياتهم . وقد ملكت الكنيسة في
 ذلك العهد نحو خمس الاراضي في فرنسا وانكثرت اوثالها في المانيا .
 وكان تحت طبقة الشرفاء والمحاربين الفلاحون والشركاء اما
 الفلاحون فكانوا يحرثون الارض للسيد ولا يحق لهم امتلاك شيء
 وان امتلكوه فلا سيد ان يساهم اياه حين يشاء واما الشركاء
 فكانوا يلزمون الارض التي يحرثونها للسيد ويقدمون له ايراداً
 معيناً في السنة ولو زاد ايراد تلك الارض عن القدر المتفق عليه

وأينا السلطنة فيما سبق تنقسم الى ممالك وسنرى الممالك تنقسم
الى اعمال مستقلة يستبد بها الذين يتولونها لتساهل الملوك
الكارلوفنجيين المتأخرين وتخويلهم عملهم حتى توارث مناصبهم
والاقطاعات المتعلقة بها. فلم تلبث كل ارض ان اصبحت مملوكة
لسيد شريف كما اصبحت كل سيد تابعا لاعظم منه ينتمي اليه ويشد
ازره به. وعلى هذا النمط تم استقلال الاعمال المذكورة لازدياد صولة
أربابها ونمو شكوتهم بقدر ما ضعفت قوة الملوك وقلت أموالهم
وجنودهم. وكان من أعظم الممهدات لقيام الدول الاقطاعية الصغيرة
ما منح الملوك لأكبر اصحاب الاقطاعات من حق جباية الضرائب
لانفسهم وتولى القضاء بين تابعيهم فضلا عن حق الايراث.

وكان كل رجل ينتمي الى سيد بان يفهم له يمين الامانة فيقطعه
مولاه أرضاً ويتطلب منه مقابلة لذلك واجبات معنوية منها احترامه
واكرامه ومساعدته بنصائحه وواجبات حسية أولها تجنيده فلاحيه
للخدمة العسكرية مدة معلومة في كل سنة وعند الاقتضاء وثانيتها
امداد السيد بالرأى عند جلوسه للقضاء وثالثها تأدية مال لاقتداء
السيد ان كان معتقلاً واهداء النقود اليه حين يقبل ابنه سيف الفارس

كتاب

مرآة الأيام

في ملخص التاريخ العام

بقلم

« خليل مطران »

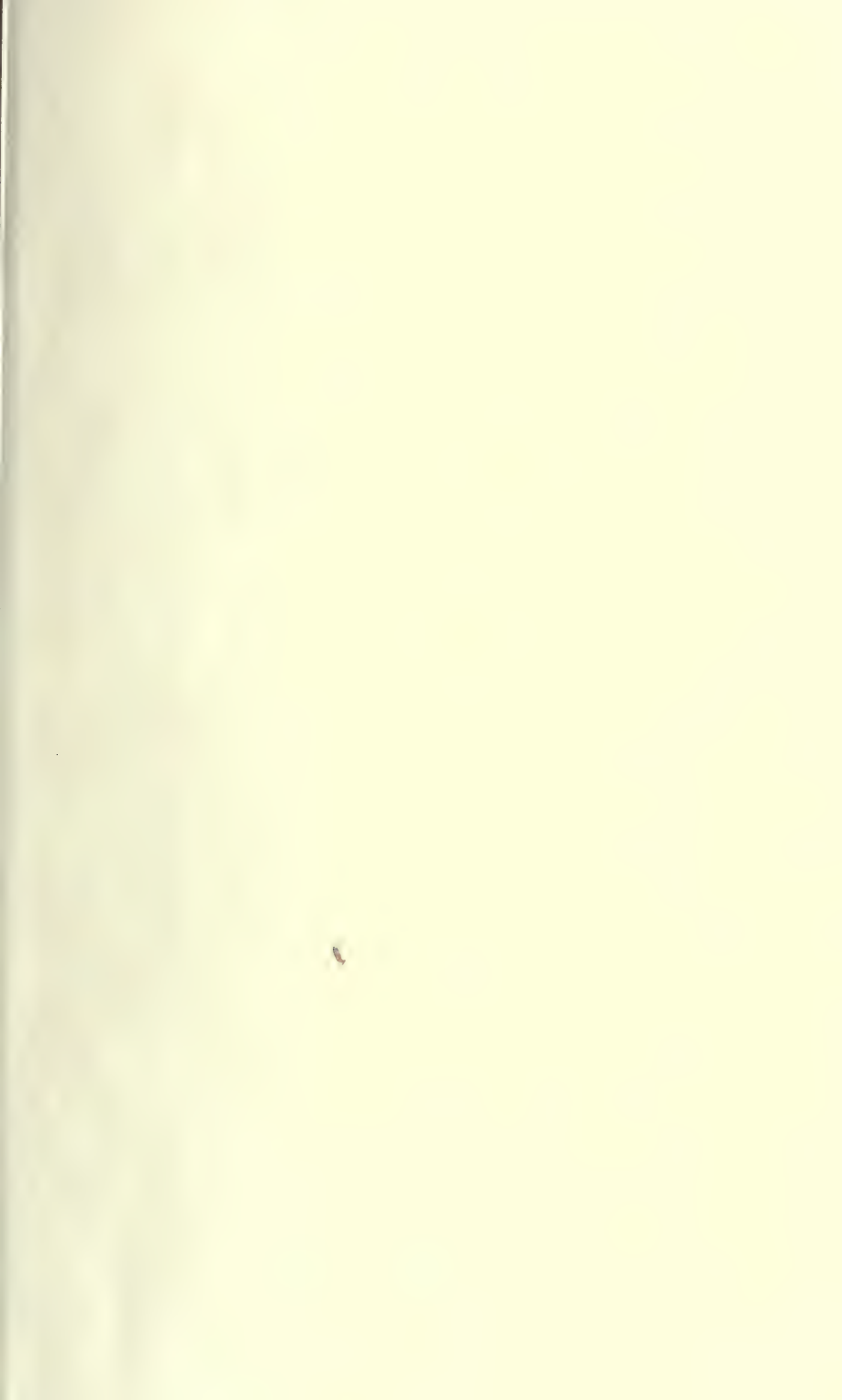
صاحب جريدة الجوائب والمجلة المصرية

الجزء الثاني

حقوق إعادة الطبع محفوظة

طبع بمطبعة الجوائب المصرية

« سنة ١٩٥٥ »



PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

D
20
M98
1905
v.2

Mutran, Khalil
Kitab mir'at al-ayyam

